المقتضب في لهجات العرب

تأليف
الدكتور
محمد رياض كريم
كلية اللغة العربية بالزقازيق
جامعة الأزهر
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بالأحساء
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

١٤١٧هـ-١٩٩٦م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أفصح العرب أجمعين سيدنا محمد النبى العربى الأمين.

وبعد

فإن البحث فى اللهجات العربية وبيان خصائصها وسماتها لأمر مهم في الوقوف على أصول اللغة العربية وجذورها، ومعرفة أسرار تطورها، وأثر الأزمان والبيئات فيها، وإن كان البحث فيها أمراً ليس سهلاً ميسوراً، إذ يكتنفه كثير من الصعوبات، لفقدان كثير من الكتب التى ألفها القدماء وحملت عنوان اللغات، سواء منها ما تعلق باللغات فى القرآن الكريم أو باللغات عامة، ومنها كتب لأئمة اللغة، مثل الأصمعى، وأبى زيد، وأبى عبيدة، ويونس، والفراء، وابن دريد، وغيرهم، فلم ينته إلينا من تراث القدماء دراسات مستفيضة مستقصية للهجات، تجمع متناثرها، وتضم متفرقها، وتلم شتاتها في مؤلف مستقل مع الشرح والتحليل لها، وعزوها إلي الناطقين بها من القبائل العربية القديمة، لذا على الباحث فى اللهجات العربية القديمة أن يطالع كتباً كثيرة في فنون من العلم مختلفة، فيطالع كتباً فى اللغة والأدب والتفسير والقراءات والتاريخ والجغرافيا وغير ذلك، إذ ورد كثير من اللهجات متناثراً فى بطون كثير من تلك الكتب، وقد تجد لهجة غير معزوة إلي أصحابها فى رواية ما فى كتاب، وقد تجدها معزوة إلى أصحابها فى كتاب آخر، ولهذا مطلوب من الباحث أن يسيح فى الكتب سياحة واسعة، ولا يقصر جهده فى البحث على بعض الكتب دون بعض، ومما يؤكد ذلك ويؤيده أنه وقع لى نص فى كتاب المزهر للسيوطى

يحتوى على ثلاث لهجات غير معزوة هو «قال ابن خالويه في شرح الفصيح: أخبرنا ابن دريد عن أبى حاتم عن الأصمعى قال : اختلف رجلان فى الصقر، فقال أحدهما بالسين، وقال الآخر بالصاد، فتحاكما إلى أعرابى ثالث فقال : أما أنا فأقول : الزقر، بالزاى.

قال ابن خالويه : فدل على أنها ثلاث لغات[١]».

وظلت هذه اللهجات الثلاثة لدىّ بلا عزو إلى أن وقع لى بأخرة نص في كتاب ألف باء للبلوى معزوة فيه، ونصه :«جاء فى الصقر من قول الأصمعى اختلف رجل من مضر ورجل من ربيعة، فقال المضرى: السقر، وقال الربعى: الصقر، فأقبل رجل من قضاعة فأخبراه، فقال : لا أقول كما قلتما، إنما هو الزقر»[٢].

فاستبان لى أن السين لمضر، والصاد لربيعة، والزاى لقضاعة.

ومما يلقى بعبء ثقيل على الباحث فى اللهجات العربية القديمة أيضاً تلك الروايات المتناقضة والمتضاربة في تعريف الظاهرة اللهجية ووصفها لنقص فى استقرائها، أو بتر فى نصوصها، أو تحريف فى أصلها، مما يجعل الباحث يحار فى استخلاص الحقيقة العلمية لتلك اللهجة، وخير مثال لذلك ما تجده فى كتابنا هذا فى حديثنا عن ظاهرة العنعنة.

ومما لاشك فيه أن جمع اللغة المشتمل على جمع اللهجات على الرغم من الجهود الجبارة التى بذلها علماء اللغة القدامى لم يقم على الاستقراء التام، فقد ضاع كثير من مفردات اللغة وأساليبها بسبب الاستقراء الناقص فى الجمع، وبسبب المقاييس الزمانية والمكانية

---

(١) المزهر: ١/٤٧٥.

(٢) ألف باء: ٢/٣٦٤.

المتشددة التى طبقها علماؤنا القدامى- رحمهم الله- في جمع اللغة، حرصاً منهم على سلامتها وتوخياً منهم للحذر والحيطة من أن يدخل فى اللغة ما فسد منها أو شابهُ شبهة فساد، وتمكن من الألسنة بسبب الاختلاط بالأعاجم، لاسيما بعد انتشار الإسلام، ودخول كثير من الأمم فيه، ولذا كان قول أبى عمرو بن العلاء: «ما انتهى إليكم مما قالت العرب إلا أقله، ولو جاءكم وافرا لجاءكم علم وشعر كثير»[١] فى غاية الصدق.

وإن البحث فى اللهجات العربية القديمة أيضاً يمكننا من حل كثير من المشكلات النحوية التى حاول بعض علماء النحو تخريجها على وجه من العربية مقبول ولا يخلو مثله من تكلف، ولا يعرى من تعسف، ولو خرج مثله على أنه لهجة قوم لبطلت تلك التأويلات المتكلفة، والتخريجات المتعسفة التى سلك سبيلها بعض النحاة، ومن ذلك تخريجهم قراءة قول الله عز وجل: (إِنَّ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ)[٢] بتشديد نون إن.

فقد قيل: إن (إنّ) بمعنى نعم كما فى قول ابن الزبير - رضى الله عنهما- لرجل قال له: لعن الله ناقة حملتنى إليك: إنّ وراكبها. أى: نعم ولعن الله راكبها. وهذان مبتدأ وساحران خبر لمبتدأ محذوف، أى: لهما ساحران، والجملة خبر هذان، ولا يكون (الساحران) خبر (هذان)، لأن لام الابتداء لا تدخل على خبر المبتدأ.

---

(١) الاقتراح للسيوطى: ص ٢٣.

(٢) طه/٦٣.

وقيل : إن الأصل إنه هذان لهما ساحران، فالهاء ضمير الشأن، ومابعدها مبتدأ وخبر، والجملة فى موضع رفع على أنها خبر إن، ثم حذف المبتدأ وحذف ضمير الشأن.

وقيل : إنه لما ثنى (هذا) اجتمع ألفان ألف هذا وألف التثنية فوجب حذف واحدة منهما لالتقاء الساكنين، فمن قدر المحذوفة ألف هذا والباقية ألف التثنية قلبها فى الجر والنصب ياء، ومن قدر العكس لم يغير الألف عن لفظها.

وقيل : إنه لما كان الإعراب لا يظهر فى الواحد وهو (هذا) جعل كذلك في التثنية ، ليكون المثنى كالمفرد، لأنه فرع عليه[1].

وقد نسب إلى بلحارث بن كعب وخثعم وزبيد وكنانة وبنى العنبر وبنى هجيم وعذرة وبطون من ربيعة وبكر بن وائل إلزام المثنى الألف فى جميع أحوال إعرابه مخالفين فى ذلك جمهور العرب.

فلو خرجت هذه القراءة على لهجة هؤلاء لكان أولى، ولما كانت تلك الأقوال التى لم تخل من تكلف وتعسف.

ولذا جاء فى مفاتيح الغيب لفخر الدين الرازى أن الوجه الأقوى أنها لغة لبعض العرب[2].

ولذلك وجدنا بعض المنصفين من علماء اللغة يستند إلى تلك اللهجات مهما كان شأنها في تصويب بعض الاستعمالات اللغوية التى يرفضها بعض اللغويين، كابن السيد الذى يعلق على تخطئة ابن قتيبة وبعض اللغويين لقول العامة : (ماء مالح) بقوله : «قول العامة لا يعد خطأ، وإنما يجب أن يقال : إنها لغة قليلة»[3].

---

(١) انظر : شرح شذور الذهب لابن هشام : ص ٤٨، ٤٩.

(٢) مفاتيح الغيب : ٦٣٩/٢٠.

(٣) الاقتضاب: ٢٢٣/٢.

وكشهاب الدين الخفاجي الذي يقول تعليقاً على قول الخاصة : (شُلّت يداه) بالبناء للمجهول الذي يخطئه الحريري في درة الغواص في أوهام الخواص :«ما أنكره مسموع على رداءته، وكفى به سندا لمن استعمله»(١). وسبقهما ابن جني الذي يرى أن اللغات كلها حجة ويقول :«وكيف تصرفت الحال فالناطق على قياس لغة من لغات العرب مصيب غير مخطئ وإن كان غير ما جاء به خيرا منه»(٢).

وجاء في الاقتراح للسيوطي نقلاً عن شرح التسهيل لأبي حيان أن كل ما كان لغة لقبيلة قيس عليه(٣).

هذا وإن البحث في اللهجات العربية الحديثة يوقفنا على ما يرجع منها إلى اللهجات القديمة ويمت لها بسبب، بل يمكننا من معرفة هجرات بعض القبائل العربية من شبه الجزيرة العربية ومنازلها في الأقاليم المفتوحة التي انتشر فيها نور الإسلام وذلك لوجود بقايا الظواهر اللهجية الخاصة بتلك القبائل في تلك الأقاليم.

وعلى أية حال فإن دراسة اللهجات العربية دراسة لها ثمرتها في دراسة اللغة وأصولها.

هذا، وكتابنا هذا يتكون من سبعة فصول، تحدثت في الفصل الأول عن شبه جزيرة العرب لنقف على الوطن الأول لنشأة هذه اللهجات، وفي الفصل الثاني تحدثت عن العرب والقبائل العربية حتى نقف على أصحاب اللهجات العربية القدامى ومنازلهم، وفي الفصل الثالث تحدثت عن أهمية دراسة اللهجات والصعوبات التي تواجه الباحثين في

---

(١) شرح درة الغواص لشهاب الدين الخفاجي بتحقيقنا : ص ٢٢٠.

(٢) الخصائص لابن جني : ١٢/٢.

(٣) الاقتراح : ص ٧٨.

اللهجات العربية القديمة وأصالة كلمة اللغة فى العربية وتفنيد دعوى من زعم أنها غير عربية، كما تحدثت عن اشتقاقها وتعريف القدماء والمحدثين لها، وتحدثت عن اشتقاق اللهجة وتعريفها وأهم الصفات الصوتية التى تؤدى إلي الخلف بين لهجات اللغة الواحدة، والعلاقة بين اللغة واللهجة والتوزيع الجغرافى للغة واللهجة، وأهم العوامل التى تؤدى إلى تفرع اللغة إلى لهجات، والعوامل التى تؤدى إلى التوحيد اللغوى وتكوين اللغة المشتركة، وعناصر اختلاف النطق في البلاد العربية ووسائل توحيده.

وفى الفصل الرابع تحدث عن العربية البائدة والعربية الباقية وأوجه الاتفاق والافتراق بينهما، وتحدثت عن صراع لهجات العرب وتغلب لهجة قريش على غيرها من اللهجات والعوامل التى ساعدت على ذلك، وما استفادته من صراعها معها، وناقشت رأى من زعم من الباحثين أن تفضيل القدماء للهجة قريش إنما يرجع إلى أن النبى صلى الله عليه وسلم من قريش، ثم تحدثت عن نظرة القدماء للهجات واختلاف نظرتهم لها باختلاف العصور والعوامل السياسية والاجتماعية.

وفى الفصل الخامس تحدثت عن مصادر الاحتجاج اللغوى ومقاييسه الزمانية والمكانية والقبلية عند علماء اللغة وناقشت دعوة إعادة النظر فى مقاييس الاحتجاج.

وفى الفصل السادس تحدثت عن مظاهر اختلاف اللهجات فتحدثت عن الإبدال ووقوعه فى الحروف والحركات وانضواء كثير من اللهجات القديمة تحته، وتحدثت عن مظاهر الاختلاف في الإعراب بين اللهجات، وعن التردد بين الإعراب والبناء، والزيادة والنقصان

والاختلاف فى هيئة النطق، والتفخيم والترقيق، والفتح والإمالة، والفك والإدغام. وقد حاولت الربط بين بعض اللهجات العربية القديمة واللهجات التى تجرى على ألسنه العامة اليوم فى المملكة العربية السعودية موطن العربية ولهجاتها القديم وفى مصر وغيرها من البلاد العربية، كما اجتهدت فى التوفيق بين الآراء المتضاربة فى وصف بعض الظواهر اللهجية مرجحاً ما أراه جديراً بالترجيح.

وفى الفصل السابع تحدثت عن ظاهرة المشترك اللفظى والتضاد والترادف لعلاقتها باللهجات العربية وقد صححت رأى أبى على الفارسى فى وقوع الترادف فى اللغة مما ورد فى بعض كتبه وأثبت أنه لا ينكر وقوع الترادف فى اللغة خلافاً لما شاع عنه.

والله أسأل أن يجعل هذا في ميزان حسنات أعمالنا وأن يرزقنا دائماً التوفيق والسداد فى القول والعمل، إنه نعم المولى ونعم النصير.

د. محمد رياض السيد كريم
الأستاذ المساعد بكلية اللغة العربية بالزقازيق
جامعة الأزهر
والأستاذ المشارك بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية بالأحساء
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

محلة منوف فى يوم السبت
٢٠ من يوليو ١٩٩٦م
٤ من ربيع الأول ١٤١٧هـ

الفصل الأول

شبه جزيرة العرب

مما لاشك فيه أن للبيئة والمكان أثراً واضحاً في حياة السكان وفى ألوان معيشتهم، كما يظهر هذا الأثر في ملامح الوجوه، ولون البشرة، وطريقة الأداء اللغوى، فكأن المكان كما يسم الوجوه والجسوم يسم الألسنة أيضاً بسمات خاصة، لذا كانت دراسة المكان الذي تحيا بين جنباته لغة من اللغات لها أهميتها، ولها فائدتها.

ولما كنا بصدد دراسة اللهجات العربية فإن إلقاء الضوء على شبه جزيرة العرب والقبائل العربية التى أقامت بها أمر مهم، لاسيما« أن الدرس اللغوى الحديث يعتمد اعتماداً كبيراً على الجغرافيا اللغوية Linguistic Geography.

وارتباط دراسة اللهجات على وجه الخصوص بهذه الجغرافيا أصبح من القوة بحيث يقرر كارول Caroll أن هذا المصطلح قد تطور إلى أن أطلق عليه اللغويون المحدثون الجغرافيا اللهجية Dialect Geography أو علم اللهجات Dialectology .

ولقد أبان شنيجر العالم السويسرى عن أهمية هذا الفرع لدراسة العربية وتطورها بقوله : وبالنسبة للغة العربية نقول : إن القيام بعمل أطلس لغوى سيحدث ثورة فى كل الدراسات الخاصة بفقه اللغة السامية، لأنه سيكمل من غير شك الدراسات التى تعتمد على النصوص القديمة بكشفه عن التطورات المتعلقة باللهجات وباللغات الشعبية العصرية، وسيكون لهذا الأطلس الفضل فى اطلاعنا على تاريخ علم الأصوات والتغيرات التى أصابت اللغة فى الأماكن المختلفة التى

غذتها وعن مدى انتشارها وتأثرها بالمراكز الثقافية وتنوع مفرداتها إلى غير ذلك من المكتشفات التى لا يمكن أن تتم إلا إذا جمعت هذه المواد »[١].

والقبائل العربية التى عاشت في شبه الجزيرة العربية لم تجتمع كلها فى مكان واحد فى شبه الجزيرة، وإنما تفرقت فى أنحائها، ومنها من عاش حياة مستقرة في الحضر، ومنها من عاش متنقلاً في البادية يطلب الماء والكلأ.

ولا ريب أن القبائل التى عاشت فى البادية لها طرائقها الخاصة فى الأداء اللغوى التى تختلف عن تلك التى لقبائل الحضر مما كان له أكبر الأثر فى تعدد اللهجات العربية وخصائص تلك اللهجات.

ومن هنا كانت دراسة البيئة الجغرافية لشبه الجزيرة العربية ضرورة لمن يتصدى لدراسة اللهجات العربية حتى يمكن التمييز فى حدود إمكانات الدرس اللغوى بين لهجة نشأت فى البادية ولهجة نشأت فى الحضر.

موقع شبه الجزيرة العربية

تقع شبه الجزيرة العربية فى الطرف الغربى لقارة آسيا وتمتد من الشمال الغربى إلى الجنوب الشرقى بين مسطحين مائيين كبيرين هما البحر الأحمر الذى كان يعرف ببحر القلزم غرباً وخليج عمان والخليج العربى شرقاً، ويقع إلى جنوبها البحر العربى والمحيط الهندى وإلى

(١) د. عبده الراجحى: اللهجات العربية فى القراءات القرآنية (نشر دار المعارف ١٩٦٩) ص ٧، ٨.

شمال شبه الجزيرة يمتد الهلال الخصيب، ذراعه الشرقى الحوض الأدنى والأوسط لنهرى دجلة والفرات، وذراعه الغربى السهول الساحلية لشرقى البحر الأبيض المتوسط والسهول والوديان الداخلية لبلاد الشام.

وقبيل ظهور الإسلام كانت الإمبراطورية الساسانية تشغل الذراع الشرقى للهلال الخصيب، والإمبراطورية البيزنطية والرومانية تشغل الذراع الغربى له، هاتان الإمبراطويتان اللتان شبت الحرب بينهما وظلت سجالاً، يهزم الفرس مرة وأخرى يهزم الروم(١).

أقسامها

قسمت شبه جزيرة العرب إلى خمسة أقسام هى :

(أ) اليمن :

وهى فى الجنوب وتنقسم إلى حضرموت ومهرة ونجران وعمان والشحر، وقد يسمى شحرعمان(٢).

واليمن من أخصب بقاع شبه الجزيرة، لجودة أرضها وكثرة مياهها، فهى ليست منطقة بداوة بل منطقة تحضر واستقرار وقد سميت اليمن الخضراء، لكثرة أشجارها وثمارها وزروعها(٣) ، قال الكلاعى :

---

(١) د. محمود أبو العلا : دراسات فى جغرافية العالم الإسلامى (نشر دار الكتاب العربى ط ١ ١٩٥٦ ص ٥، ٦، ٧).

(٢) د. ج. هيوارث دن : الأدب العربى وتاريخه فى العصر الجاهلى (مكتبة الثقافة العربية) ص ٢٢.

(٣) اللهجات العربية فى القراءات القرآنية : ١٦.

هى الخضراءُ فاسأل عن رُباها　　يخبّرك اليقينَ المخبرونا
ويعطرها المهيمنُ فــى زمــانٍ　　به كلُّ البريّةِ يظمــؤونا[(١)]

ويدل على تحضرها كثرة مدنها التى يعددها الهمدانى[(٢)] مثل صنعاء، وصعدة، وخيوان، وريدة، وذمار، وخبأ، وعدن، ولحج، والحصيب، وأم جحدم[(٣)].

(٢) الحجاز

الحجاز «عند علماء المنازل والديار القدامى هو سلسلة جبال السروات المقبلة من اليمن إلي قرب الشام الحاجزة بين نجد وتهامة... فما سال من قمة هذه الجبال مغرباً ينصب في تهامة، وما سال مشرقاً ينصب في نجد، بعد أن يحسر الجبال خلفه من الجهتين.

أما ما اشتملت عليه هذه الجبال من مدن وقرى وسكان فهو حجازى، قال ياقوت[(٤)]: والحجاز جبل ممتدل حال بين الغور غور تهامة ونجد، فكأنه منع كل واحد منهما أن يختلط بالآخر فهو حاجز بينهما.

---

(١) المختار من كتاب بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب لمحمود شكرى الألوسى (مطبعة الصاوى الحديثة) ص ٤٣.

(٢) هو الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمدانى اليمنى المعروف بابن الحائك المتوفى سنة ٣٣٤هـ، من مصنفاته : صفة جزيرة العرب (هدية العارفين ٦٩/١ وبروكلمان ٢٤٩/٤).

(٣) اللهجات العربية فى القراءات القرآنية : ص ١٦، ١٧.

(٤) هو ياقوت بن عبد الله الرومى الحموى الأديب المؤرخ المتوفى بحلب سنة ٦٢٦هـ من مصنفاته : معجم البلدان. (هدية العارفين : ٥١٣/٢).

وقال الأصمعي [١] : الحجاز من تخوم صنعاء من العبلاء وتَبالة إلى تخوم الشام، وإنما سمى حجازا لأنه حجز تهامة ونجد، فمكة تهامية، والمدينة حجازية، والطائف حجازية، وقال هشام الكلبى [٢]: ذلك أن جبل السراة وهو أعظم جبال العرب وأذكرها أقبل من قعرة اليمن حتى بلغ أطراف بوادى الشام فسمته العرب حجازاً، لأنه حجز بين الغور، وهو تهامة، وهو هابط، وبين نجد وهو ظاهر، فصار ما خلف ذلك الجبل فى غربيه إلى أسياف البحر من بلاد الأشعريين وعك وكنانة وغيرها وما دونها إلى ذات عرق والجحفة وما صاقبها وغار من أرضها الغور غور تهامة، وتهامة تجمع ذلك كله، وصار ما دون ذلك الجبل فى شرقيه من صحارى نجد إلى أطراف العراق والسماوة وما يليها نجدا، ونجد تجمع ذلك كله، وصار الجبل نفسه، وهو سراته، وهو الحجاز وما احتجز به فى شرقيه من الجبال وانحاز إلى ناحية فيد والجبلين إلي المدينة ومن بلاد مذحج تثليث وما دونها إلى ناحية فيد حجازاً.

هذا هو المتعارف عليه قديماً... ولقد توسع أخيراً فى إطلاق هذه التسمية فشملت مكة وجدة والمدينة وينبع والليث وما بينها وما جاورها يمناً وشاماً، فأصبح اصطلاحاً متعارفاً عليه، وحقيقة لا مشاحة فيهـــا،

---

(١) هو عبد الملك بن قريب بن أصمع الباهلى من أكابر علماء اللغة. مات سنة ٢١٣هـ. (نزهة الألباء: ص ٢١٢- ووفيات الأعيان: ٣٤٤/٢).

(٢) هو هشام بن محمد بن السائب الكلبى، عالم بأخبار العرب وأيامها. من مصنفاته: كتاب الأقاليم وكتاب البلدان الكبير. مات سنة ٢٠٦هـ. (الفهرست: ص ٢٤٠ وهدية العارفين: ٥٠٨/٦).

ولعل سبب هذا الإطلاق شمولها جميعاً بإدارة موحدة مركزها مكة منذ تمت التقسيمات فى البلاد العربية إلى ولايات عبر القرون الماضية[١].

وفى الحجاز مناطق استقرار كثيرة، ففيه من البلاد المشهورة المدينة النبوية على ساكنها أفضل الصلاة وأكمل السلام، وهى بلدة طيبة مباركة، كثيرة الخيرات، عذبة المياه، وافرة النخيل والثمار، وهى من البلاد القديمة الوضع والتأسيس، وكانت تسمى يثرب، وإليها كانت هجرة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم.

وفى الحجاز أيضاً من البلاد الطائف، وهى بطن من جبل غزوان بشرقي مكة، وهو شديد البرد كثير الفواكه لما فيه من كثرة البساتين التى تسقيها العيون والجداول المنحدرة من الجبال، وأهلها من ثقيف.

وفي الحجاز أيضاً خيبر، وهى مدينة كبيرة ذات حصون ومزارع وكان فيها قبائل من اليهود المتعربة، وكانوا يوصفون بالمكر والخبث.

وفيه عكاظ، وهى نخل فى واد بين الطائف ومكة ولكنه إلى الطائف أقرب، وبه كانت تقوم سوق العرب المعروفة بهذا الاسم[٢]، تلك السوق التى كانت منتدى للأدب، ومعرضا للتجارة، ومجمعاً للغة، ومؤتمراً للسياسة والرأى، كانت تنصب فيها قبة من أدم للنابغة الذبيانى لينتظم حوله عقد الشعراء من القبائل المختلفة، يعرضون عليه حصاد عامهم مما هذبته القرائح، وأبدعته الأفكار من فن القول، ويزدحم شداة الشعر ومريدوه حول قبته الحمراء يتبارون في عرض تجاربهم الشعرية،

---

(١) عبد الله بن محمد بن خميس : المجاز بين اليمامه والحجاز (مطبعة نهضة مصر) ص ٣٢٨، ٣٢٩.

(٢) المختار من كتاب بلوغ الأرب فى معرفة أحوال العرب : ص ٤٠، ٤١.

ينتظرون حكماً منه يتناقله أهل عكاظ، كما كانت تنصب فى هذه السوق المنابر لحكماء العرب، أو يقفون على جمالهم يخطبون ويعظون، ويذكرون العرب بأيام الله وما هنالك من بعث وحساب،، وما فطرت عليه هذه العوالم العظيمة من أسرار، ومن هؤلاء حكيم العرب قس بن ساعدة الإيادى[١] الذى ألقى خطبته المشهورة فى تلك السوق[٢].

---

(١) المجاز بين اليمامة والحجاز : ص ٢٤٤، ٢٤٥.

(٢) وقف قس فى هذه السوق على جمل أورق، وتضام الناس حوله، وجعل يقول فيهم : أيها الناس،اسمعوا وعوا، من عاش مات، ومن مات فات، وكل ما هو آت آت، ليل داج، ونهار ساج، وسماء ذات أبراج، ونجوم تزهر، وبحار تزخر وجبال مرساة، وأرض مدحاة، وأنهار مجراة، إن فى السماء لخبرا، وإن في الأرض لعبرا، ما بال الناس يذهبون ولا يرجعون؟ أرضوا فأقاموا أم تركوا فناموا؟ يقسم قس بالله قسماً لا إثم فيه إن لله دينا هو أرضى لكم، وأفضل من دينكم الذى أنتم عليه، إنكم لتأتون من الأمر منكراً.

فى الذاهبين الأولـين من القرون لنا بصائر
لما رأيت مواردا للموت ليس لها مصادر
ورأيت قومى نحوها تمضى الأكابر والأصاغر
أيقنت أنى لا محا له حيث صار القوم صائر

وقد سمع هذا الرسول الأمين صلى الله عليه وسلم منه في سوق عكاظ وهو غلام، وقال بعد أربعين سنة من هذا المشهد لوفد إياد قوم قس حين قدموا عليه يبايعونه على الإسلام: كأنى أنظر إليه بسوق عكاظ على جمل له أورق وهو يتكلم بكلام عليه حلاوة ما أجدنى أحفظه. فقال رجل من القوم : أنا أحفظه يا رسول الله. فتلاه عليه. فلما انتهى قال النبى صلى الله عليه وسلم: يرحم الله قسا، إنى لأرجو أن يبعث يوم القيام أمة وحده. (المجاز بين اليمامة والحجاز : ص ٢٤٤، ٢٤٥).

وقد ظلت سوق عكاظ مستمرة بعد ظهور الإسلام إلي ظهور الخوارج الحرورية مع المختار بن عوف حيث نهبوها سنة ١٢٩هـ. ومن ثم توقفت إلى اليوم[١].

وفى الحجاز أيضاً كانت تنتشر الواحات، ومنها فدك والسوارقية وكانت تتخلله أودية عديدة، منها وادى إضم ووادى نخال، ووادى بدا، ووادى القرى.

فالحجاز لهذا يكفل لساكنيه الاستقرار والتحضر[٢].

(٣) تهامة

تطلق تهامة على الساحل المحصور بين البحر الأحمر وجبال السراة أو الحجاز، ولانخفاض أرضها قيل لها الغور والسافلة، ويغلب إطلاق لفظ تهامة على الجزء الواقع فى حدود اليمن، فيقال له تهامة اليمن، ويغلب إطلاق لفظ الغور على الجزء الشمالى الواقع شمال الجحفة، ويطلق لفظ الغور أو تهامة على الجزء الأوسط[٣].

وقد مر آنفاً أن مكة تهامية، يقول محمود شكرى الألوسى: (والقول بأنها من الحجاز مردود)[٤] وذكر من بلاد تهامة ينبع وهى على مقربة من البحر، وجدّة، وتبوك[٥].

---

(١) المصدر السابق : ص ٢٤٧.

(٢) اللهجات العربية فى القراءات القرآنية : ص ١٥.

(٣) اللهجات العربية فى القراءات القرآنية : ص١٨، ١٩.

(٤) المختار من كتاب بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب ص ٤١.

(٥) نفسه : ص ٤١، ٤٢.

وطبيعة أرض تهامة وموقعها، ووجود بعض البلاد التجارية المهمة بها مثل مكة أباح لساكنيها الاستقرار خصوصاً فى الجنوب حيث الخصوبة والماء كما أن قوعها على ساحل البحر جعل بعض أهلها يتجهون إلى الملاحة[١].

(٤) نجـــد

تقع نجد بين الشام والعراق واليمامة والحجاز، وهى أطيب أرض فى شبه الجزيرة العربية، وقد ترنم كثير من الشعراء برباها وطيب هوائها، وبها أرض العالية التي كان يحميها كليب بن ربيعة وفيها قتل، ونشبت بسبب ذلك حرب البسوس التى يضرب بشؤمها المثل[٢].

«وفى نجد مناطق تتوافر فيها المياه، وبخاصة في الشمال في منطقة وادى الرمة، ومنطقة الحرار، لكن معظم المنطقة صحراء، وأهلها بدو رحل»[٣].

(٥) العروض

وهى اليمامة إلى البحرين[٤]، وهى منطقة واحدة متميزة تقع بين الحجاز ونجد واليمن والخليج العربى، ومعظم الأرض فيها صحراء وبخاصة

---

(١) اللهجات العربية فى القرءات القرآنية : ص ١٧.

(٢) الأدب العربى وتاريخه فى العصر الجاهلى ص ٢٢، ٢٣.

(٣) اللهجات العربية فى القرءات القرآنية : ص١٨، ١٩.

(٤) المختار من كتاب بلوغ الأرب فى معرفة أحوال العرب ص ٤٠.

البعيدة عن الساحل، لذا كان أهلها من البدو يرتحلون سعياً وراء الماء والرزق[١].

وفى ضوء ما سبق يمكن تصور مناطق الاستقرار والحضر ومناطق البداوة فى شبه الجزيرة العربية.ففى اليمن وبعض تهامة والحجاز توجد مناطق الحضر، وفى نجد والعروض توجد مناطق البداوة.

---

(١) اللهجات العربية فى القرءات القرآنية : ص١٨.


نهر دجلة
الجزيرة
نهر الفرات
بادية الشام
الخليج العربي
نجد
يثرب
مكة
العروض
عمان
صنعاء
اليمن
البحر العربي
خليج عدن
المحيط الهندي
شبه جزيرة العرب

الفصل الثانى

العــــــرب

العـرب أحـد الشـعـوب التى اصطلح عـلى تسـمـيـتـهـا بالشـعـوب السامية نسبة إلى سام بن نوح عليه السلام، إذ يطلق لقب الساميين على الشعـوب الآرامية والفـينقـيـة والعـبرية والعربيـة واليـمنيـة والبـابليـة- الأشورية وما تفرع من هذه الشعوب.

وأول من استـخدم هذا الوصف في إطلاقـه على الشعـوب السـابقـة العـالم الألمانى شلوتزر Schlozer فى أواخر القرن الثـامن عـشر. وقد اقـتـبسـه مما ورد في سفر التكوين بصـدد أولاد نوح الثلاثة سام، وحام، ويافث، والشعوب التى انحدرت من كل ولد منهم.

وقد لوحظ أن سفر التكوين اعـتـمـد فى تقـسيـمه هذا على الروابط السـيـاسـيـة والثـقـافـيـة والجـغرافـيـة أكـثر من اعـتـمـاده على صـلات القـرابة والروابط الشعبية، ولذلك عد الليديين والعيـلاميين من السـاميين، لشدة امـتـزاجـهـم بالأشـوريين وخضـوعـهـم لسلطانهم السـيـاسى، مع أنهـمـا من النـاحيـة الشعـبيـة أجنبيـان عن الشعـوب السـاميـة، بل كلاهمـا أجنبى عن الآخر، فالعيلاميون يرجح أنهم من جنس إيرانى، والليديون غير معروفى الأصل، ولكنهم غـير ساميين على وجه اليقين، ولا يجـمعهم بالعيلاميين أصل قـريب، كـمـا عـد السـفـر السـابق الفـينيـقـيين من الشـعـوب الحـامـيـة للصـلات السـيـاسـيـة والثـقـافـيـة التى كـانت تربطهم بالشـعـوب الحـامـيـة المصــرية والبــربرية، ولما كــان بينهم وبين العــبــريين من عــداء وحــروب واختلاف فى النظم الاجتماعيـة والسياسيـة والدينية، مع أنهم من أخلص الساميين نسباً، وأقربهم رحماً إلى العبريين أنفسهم.

وعلى الرغم من ذلك لم يجد العلماء غضاضة في اقتباس كلمة الساميين من هذا السفر بيد أنهم حددوا مدلولها، ولم يجاروه في استخدامها، فلم يطلقوها على الشعوب التي ظهر لهم أنها أجنبية عن الساميين، وأضافوا إليها الشعوب السامية التي سكت عنها أو عدها من فصائل أخرى حتى استقر مدلولها في عرفهم على الشعوب السابق ذكرها في صدر حديثنا [١].

وقد اختلف الباحثون في تحديد موطن الساميين الأصلي ولم يصلوا فيه إلى رأي يقيني، والراجح أنه كان في القسم الجنوبي الغربي من شبه الجزيرة العربية (بلاد الحجاز ونجد واليمن وما إلى ذلك) [٢].

وقد مال إلى هذا الرأي عدد كبير من قدامى المستشرقين ومحدثيهم وفي مقدمتهم رينان الفرنسي وبروكلمان الألماني.

وهذا الرأي أصح الآراء، وأقواها سندا، وأكثرها اتفاقاً مع آثار هذه الأمم وحقائق التاريخ، ويؤيده أن الهجرة في هذه البلاد كانت تتجه دائما في العصور السابقة للتاريخ وفي العصور التاريخية من القسم الجنوبي

---

(١) د. وافي : فقه اللغة (نشر دار نهضة مصر ط٨) ص ٦، ٧.

(٢) قيل : إن موطن الساميين الأصلي بلاد الحبشة ومنه نزحوا إلى القسم الجنوبي بشبه الجزيرة العربية عن طريق باب المندب، ومن جنوب شبه الجزيرة انتشروا في مختلف أنحائها.

وقيل : إن موطنهم الأصلي كان شمال أفريقية ومنه نزحوا إلى آسيا عن طريق برزخ السويس.

وقيل: إن موطنهم الأصلي كان بلاد أرمينية بالقرب من حدود كردستان.

وقيل: إن موطنهم الأصلي كان جنوب العراق.

وقيل: إن موطنهم الأصلي كان بلاد كنعان. (انظر فقه اللغة للدكتور/ وافي : ص ١٠، ١١).

الغربى من شبه الجزيرة العربيـة إلى الشمـال والشرق (سوريا- والعراق وما إليها) (١).

«ففى موجات متتالية خرج من جزيرة العرب البابليون والكنعانيون والآراميون، وذلك على مثال الغزو الإسلامى في القرن السابع الميلادى» (٢).

وعلى كل حال فالعرب وجدوا في ديارهم قبل أن يعرفوا باسم العرب بين جيرانهم، وليس هذا بغريب، فالهند مثلا كانت عامرة بسكانها قبل أن يسمى نهرها بنهر الهندوس، وقبل أن يطلق اسم هذا النهر على شبه الجزيرة كلها.

والحبشة كانت عامرة بقبائلها المتعددة قبل أن يسميها العرب بهذا الاسم ويقصدون به بلاد الأحباش أى السكان المختلطين، وقبل أن يسميها اليونان باسم أثيوبية، أى بلاد الوجوه المحترقة، وقبل أن يسميها العبرانيون باسم بلاد الكوشيين، لأنهم ينسبون أهلها إلي كوش بن حام بن نوح.

وقد مضى على العرب أكثر من ألفى سنة وهم معروفون بهذا الاسم الذي يطلقونه على أنفسهم ويطلقه عليهم غيرهم، ولا يزال أصل التسمية وتاريخ إطلاقها غير معروفين على التحقيق إلي اليوم.

هل أطلق عليهم اسم العرب لأنهم كانوا يسكنون موقع الغرب من أمة أخرى يحل فيها حرف العين محل حرف الغين كمايحدث فى بعض اللهجات ؟

---

(١) د. وافى : فقة اللغة : ص ١١، ١٢.

(٢) العرب فى سوريا قبل الإسلام لرنيه ديسو ترجمة عبد الحميد الدواخلى (نشر الدار القومية للطباعة والنشر) ص ٢٠.

هل أطلق عليهم هذا الاسم من العرابة بمعنى الجفاف أو الصحراء في لغة بعض الساميين بشمال الجزيرة؟

هل أطلق عليهم نسبة إلي يعرب بن قحطان أو نسبة إلى عربة من أرض تهامة كما يقول ياقوت ؟

إن مؤرخى العرب يختلفون في ذلك كما يختلف فيه غيرهم[١].

طبقات العرب

اصطلح المؤرخون على تقسيم العرب إلي طبقتين، هما :

١- العرب البائدة.

٢- العرب الباقية.

والعرب الباقية قسمت إلي :

١- عربة عاربة.

٢- عرب مستعربة.

أولاً: العرب البائدة

وهم الذين بادوا وهلكوا ودرست آثارهم، ولم يبق من أخبارهم إلا القليل مما حكته الكتب السماوية أو بعض النقوش التى عثر عليها بعض المستشرقين، وأشهر قبائل العرب البائدة ما يلى :

(١) عاد

وهم بنو عاد بن عَوْص بن إِرَم بن سام بن نوح عليه السلام، ومساكنهم كانت بالأحقاف بين اليمن وعمان من البحرين إلى حضر موت والشحر، وهم الذين أرسل الله إليهم هودا عليه السلام فلم يؤمنوا

(١) العقاد : الثقافة العربية أسبق من ثقافة اليونان والعبريين (مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب) ص ٨، ٩، ١٠.

فأهلكهم بالريح كما قص علينا القرآن الكريم [١]، يقول الحق تبارك وتعالى ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ﴾ [٢].

وقد ذكر أستاذنا الدكتور إبراهيم نجا ـ رحمه الله ـ أن الله تعالى نجى هودا ومن آمن معه ونزلوا بحضر موت وأطلق عليهم عاد الثانية، ولكن العلماء اختلفوا في شأنها، وقال: والمتبادر أنها هلكت بالتدريج [٣].

(٢) ثمود

وهم بنو ثمود بن جاثر - ويقال: كاثر، بالكاف بدل الجيم - ابن إرم بن سام بن نوح عليه السلام، وكانت مساكنهم بالحجر ووادى القرى بين الحجاز والشام، وهم الذين أرسل الله إليهم صالحاً عليه السلام فلم يؤمنوا، فأهلكهم الله تعالي وقد قص القرآن الكريم قصتهم مع صالح عليه السلام وهلاكهم.

(٣) العمالقة

وهم بنو عمليق - ويقال عملاق - بن لاوذ بن إرم بن سام بن نوح عليه السلام، ويضرب بهم المثل في الطول والجثمان، وقد تفرقت منهم أمم فى البلاد كان منهم أهل عمان، والبحرين، والحجاز، وملوك العراق، والجزيرة وجبابرة الشام، وفراعنة مصر (الهكسوس).

---

(١) القلقشندى: صبح الأعشى: (المطبعة الأميرية بالقاهرة ١٩١٣م) ٣١٣/١.

(٢) سورة الحاقة / ٦، ٧، ٨.

(٣) د. نجا: اللهجات العربية (مطبعة السعادة بمصر) ص ٤٥.

(٤) طَسْم وجَدِيس

وهما قبيلتان من نسل إرم بن سام بن نوح عليه السلام، قيل: كانت مساكن طسم بالأحقاف باليمن. وقيل : كانت ديارهم باليمامة. وكانت مساكن جديس بجوارهم، وكانت الحرب بينهما سبباً في هلاكهما.

(٥) عَبْد ضَخْم

وهم بنو عبد ضخم بن إرم بن سام بن نوح عليه السلام، كانوا يسكنون الطائف فهلكوا فيمن هلك، ويقال : إنهم أول من كتب بالخط العربى.

(٦) جُرْهُم الأولى

كانوا على عهد عاد فبادوا.

(٧) مَدْيَن

وهم بنو مدين بن إبراهيم عليه السلام، وكانت ديارهم ديار عاد وأرض معان من أطراف الشام مما يلى الحجاز، بعث الله تعالى إليهم شعيباً عليه السلام فلم يؤمنوا [١].

(٨) معين

كانت تسكن بلاد اليمن قبل سبأ بعدة قرون، وقد كشفت بحوث المستشرقين فى بلاد اليمن عنها، ويرجح المؤرخون أنها كانت معاصرة للأسرة العشرين في تاريخ مصر القديم [٢].

---

(١) القلقشندى : صبح الأعشى : ٣١٣/١، ٣١٤.

(٢) د. نجا : اللهجات العربية : ص ٤٧.

ثانياً : العرب الباقية

(١) العرب العاربة

هم الخلص من العرب، جاء فى لسان العرب :«العرب العاربة: هم الخلص منهم، وأخذ من لفظه فأكد به، كقولك : ليل لائل، تقول : عرب عاربة وعَرْباء»[١].

وهم بنو قَحْطان بن عابَر بن شالَخ بن أَرْفَخْشَذ بن سام بن نوح عليه السلام، وهم عرب اليمن، وتسمى عربيتهم بالقحطانية أو العربية الجنوبية، والمشهور منهم شعبان :[٢]

الشعب الأول : جُرْهُم

وهم بنو جرهم بن قحطان، وهم غير جرهم الأولى المقدم ذكرها فى جملة العرب البائدة.

وكانت منازلهم أولاً اليمن، ثم انتقلوا إلى الحجاز فنزلوه فأقاموا به حتى كان من نزول إسماعيل عليه السلام مع أبيه مكة ما كان فنزلوا عليه بمكة واستوطنوها.

الشعب الثانى : يَعْرُب

وهم بنو يعرب بن قحطان المقدم ذكره، ويقال : إن العرب إنما سميت عربا به، كما مر، وهو أصل عرب اليمن الذين أقاموا به، ومنه تناسلوا فولد له يشجب، وولد يَشْجُب سبأ ومن سبأ تفرعت جميع قبائلهم.

ويرجع المشهور فيه إلى قبيلتين، هما حِمْير وكَهْلان.

---

(١) ابن منظور: لسان العرب تحقيق عبد الله الكبير وآخرين (ط دار المعارف)، مادة (عرب) ص ٢٨٦٣.

(٢) الشعب : هو النسب الأبعد الذى تنسب إليه القبائل كعدنان، ويجمع على شعوب، وسمى شعبا لأن القبائل تتشعب منه. (صبح الأعشى : ١ : ٣٠٨).

أولاً : حِمْيَر

وهم بنو حمير بن سبأ، ومن حمير قبائل قُضاعة، وهو قضاعة بن مالك بن عمرو بن مُرّة بن زيد بن مالك بن حمير، وقيل: قضاعة بن مالك بن حمير. وذهب بعض النسابة إلي أن قضاعة من العدنانية. والصحيح كما قال السُّهَيْلِيُّ[1] أن أم قضاعة وهى جكرة مات عنها مالك بن حمير وهى حامل فتزوجها مَعَدٌّ بن عدنان، فولدت قضاعة على فراشه فتبناه فنسب إليه. وكان قضاعة مالكاً لبلاد الشِّحْر.

والمشهور من قبائل قضاعة مايلى :

(١) بَلِـــيّ

وكانت مساكنهم «تقع بين المدينة ووادى القرى من منقطع دار جهينة إلى حدود دار جذام بالنبك على شاطئ البحر ثم عبنونا من خلفها، ثم لها ميامن البر إلى حد تبوك، ثم إلى جبال السراة، ثم إلى مَعان، ثم راجعاً إلى أبلة.... قال ابن خلدون [٢] كانت مواطنهم شمالى جُهينة إلى عقبة أبلة على العدوة الشرقية من بحر القُلْزُم[٣].

---

(١) هو أبو زيد عبد الرحمن بن عبد الله السهيلى الأندلسى المتوفى سنة ٥٨١هـ. من مصنفاته : الروض الأنف في شرح سيرة ابن هشام. (هدية العارفين: ٥٢٠/١).

(٢) هو عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون الأشبيلى، ولد بتونس سنة ٧٣٢هـ وتوفى بالقاهرة سنة ٨٠٨ من مصنفاته: عنوان العبر وديوان المبتدأ والخبر فى أيام العرب والعجم. (هدية العارفين : ٥٢٩/١).

(٣) كحالة : معجم قبائل العرب (ط.مؤسسة الرسالة بيروت ١٩٨٢م ط٣) : ١/ ١٠٥.

ولهم بقايا ببلاد الصعيد الأعلى من الديار المصرية وبالحجاز وغيرهما.

(٢) جُهَيْنَة

وهى قبيلة عظيمة «وكانت منازلهم أطراف الحجاز من جهة الشمال حيث بحر جُدّة»(١).

ولهم بقايا بصعيد مصر وبالحجاز وغيرهما.

(٣) كَلْب

وكانت منازلهم فى الجاهلية دُومة الجندل وتَبوك وأطراف الشام.

(٤) بَهْراء

وكانت منازلهم شمالى منازل بلىّ من الينبع إلى عقبة أيلة، ثم جاور البحر الأحمر منهم خلق كثير وانتشروا ما بين بلاد الحبشة وصعيد مصر، وكثروا هنالك وغلبوا على بلاد النوبة.

(٥) عُذْرَة

وهم الذين ينسب إليهم العشق والتتيم، ومنهم جميل صاحب بثينة،وعروة بن حزام صاحب عفراء. وقيل لرجل منهم : ما بال العشق يقتلكم يا بنى عذرة؟ قال : لأن فينا جمالاً وعفّة.

ولهمَ بقايا بالدقهلية وغيرها من الديار المصرية وبقايا بالشام أيضاً.

---

(١) اللهجات العربية في القراءات القرآنية: ص ٢٤ نقلاً عن قلائد الجمان للقلقشندى.

(٦) بنونَهْــد

وكانت منازلهم باليمن.

(٧) جَــرْم

وهم غير الذين ببلاد غزة فأولئك هم جرم طيئ.

(٨) مَهْــرة

«كانوا يقيمون باليمن ... وتنسب إليهم الإبل المهرية»[١].

ثانياً : كَهْلان

وهم بنو كـهـلان بن سبـأ وكـانوا مـتـداولين الملك باليـمن مع بنى حمير.

والمشهور من قبائلهم مايلي :

(١) الأَزْد

وهم ثلاثة أقسام :

أ) أَزْدُ شَنُوءة

وهم بنو نصـر بن الأزد، وشنوءة لقب لنصـر غلب عليـه «وكـانت منازلهم السراة»[٢].

ب) أَزْدُ السراة

والسراة موضع بأطراف اليمن نزل به فرقة منهم فعرفوا به.

جـ) أَزْدُ عُمان

وعُـمـان مدينة بالبـحرين نزلها قـوم منهم فـعـرفوا بهـا، ومن بطون الأَزْدِ:

---

(١) كحالة : معجم قبائل العرب : ٣/ ١١٥٠.

(٢) كحالة :معجم قبائل العرب :١/ ١٥.

١- غَسّان

وسموا كذلك لنزولهم على ماء اسمه غسان على القرب من بلاد اليمن، فشربوا منه فسموا به، وفى ذلك يقول بعض الأنصار :

إِمَّا سَأَلْتَ فَإِنَّا مَعْشَرٌ نُجُبٌ الأَزْدُ نِسْبَتُنَا والماءُ غَسّانُ

ولغسان هؤلاء كان ملك العرب بالشام.

٢- الأَوْسُ والخَزْرَجُ

وكانت منازلهم يثرب، وكان منهم أنصار النبى صلى الله عليه وسلم، وقد ذُكر أن منهم جماعة بِمَنْفَلُوط من صعيد مصر من عقب حسّان بن ثابت وسعد بن مُعاذ سيد الأوس رضى الله عنهما.

٣- خُزاعة

«كانوا بأنحاء مكة فى مَرّ الظَّهْران وما يليه»[1].

(٢) طَــــيِّئ

كانت منازلهم باليمن، ثم خرجوا منها على إثر خروج الأزد عند تفرقهم بسيل العَرِم، فنزلوا بنجد والحجاز على القرب من بنى أسد، ثم غلبوا بنى أسد على جبلى أجأ وسلمى من بلاد نجد فنزلوهما فعرفا بجبلى طيئ.

ومن بطون طيئ الكثيرة :

---

(١) كحالة : معجم قبائل العرب : ٣٣٩/١.

١- جَديلة

وجديلة أمهم عرفوا بها، وهى جديلة بنت سبيع بن عمرو من حمير.

٢- جَـرْم

وهم الذين ببلاد غزة من البلاد الشامية.

ومن بطون طئ أيضاً : ثُعَل، وغَزِيّة، ونَبْهان، وبَوْلان.

(٣) مَذْحِج

قيل : سُمُّوا بذلك لأنهم تحالفوا عند شجرة اسمها مذحج فسموا باسمها. «وهى من القبائل اليمنية التى ظلت مستقرة باليمن»[١].

ومن بطونها الكثيرة.

١- سعد العَشيرة

وهم بنو سعد العشيرة، وسُمّى بذلك لأنه لم يمت حتى ركب معه من ولده وولد ولده ثلاثمائة رجل، فكان إذا سئل عنهم يقول هؤلاء عشيرتى دفعاً للعين عنهم، فقيل له سعد العشيرة.

ومن بطون سعد العَشيرة زُبَيْد.

٢- بنو الحارث

وديارهم بنواحى نجران من اليمن، ويقال لهم : بَلْحارث بن كعب.

ومن بطون مذحج أيضاً : جنب، وعنس، والنخع.

(٤) هَمْدان

وكانت ديارهم باليمن من شرقيه، ولما جاء الإسلام تفرق من تفرق منهم وبقى من بقى باليمن.

---

(١) اللهجات العربية في القراءات القرآنية : ٢٧.

(٥) كِنْـــدَة

وبلادهم كانت باليمن في جهة حضرموت، وكان لهم ملك باليمن والحجاز.

(٦) أَنْمـــار

وهم بنو أنمار بن أراش بن عمرو بن الغوث بن نَبْت بن مالك بن زيد بن كهلان. ولهم بطنان، هما :

١- بَجِيلة

وبجيلة أمهم عُرفوا بها ، وهي بجيلة بنت صَعْب بن سعد العشيرة، وكانت بلادهم فى سروات اليمن والحجاز إلى تَبالة ثم أفترقوا أيام الفتح الإسلامى في الآفاق فلم يبق فى مواطنهم إلا القليل.

٢- خَثْعَم

وكانت مساكنهم مع إخوتهم بجيلة بسروات اليمن، فافترقوا في الفتوحات الإسلامية، فلم يبق منهم فى موطنهم إلا القليل. ويقال : إن بجيلة وخثعم من العدنانية، لأن نِزار بن معدّ بن عَدْنان ولد له مُضَر وربيعة وإياد وأنمار، وولد لأنمار بجيلة وخثعم فصاروا إلى اليمن.

(٧) جُـــذام

من القبائل اليمنية التى هاجرت من اليمن إلى الشمال، إذ «كانت تنزل جذام بجبال حسمى، ومساكنها بين مدين إلى تبوك»[(١)].

قيل: أول من سكن مصر من العرب من جذام حين جاءوا فى الفتح مع عمرو بن العاص رضى الله عنه، وأقطعوا فيها بلاداً، وقد ذكر

---

(١) كحالة : معجم قبائل العرب : ١/١٧٤.

القلقشندى [١] كثيراً من بطونهم التي نزلت مصر وأقامت بالشرقية والدقهلية في كتابه صبح الأعشى [٢].

(٨) لَخْـم

وهى أيضاً من القبائل اليمنية التى هاجرت إلي الشمال، يقول ابن حزم [٣]: ودار لخم بالشأم بين مصر وبين الشأم حوالى العريش [٤]. وفى معجم قبائل العرب: «كانت مساكنهم متفرقة وأكثرها بين الرملة ومصر والجفار... وقد نزل قوم منهم بمنطقة بيت المقدس فدعيت باسمهم، وتسميها العامة اليوم بيت لحم، ومنهم آل المنذر ملوك العراق» [٥].

وقد شاركوا فى فتح مصر، واختلطوا بأهلها، وقد ذُكر أن سبع أبطن من لخم سكنت صعيد مصر ذكرهم القلقشندى فى صبح الأعشى [٦].

---

(١) هو شهاب الدين أحمد بن على بن أحمد القلقشندى المصرى المتوفى سنة ٨٢١هـ. من مصنفاته: صبح الأعشى فى صناعة الإنشا، وقلائد الجمان في التعريف بقبائل الزمان، ونهاية الأرب في معرفة أنساب قبائل العرب. (هدية العارفين: ١ /١٢٢).

(٢) انظر: صبح الأعشى للقلقشندى: ١/ ٣٣١ ومابعدها.

(٣) هو على بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسى المتوفى سنة ٣٥٦هـ. من مصنفاته: جمهرة أنساب العرب. (هدية العارفين: ١/ ٦٩٠).

(٤) ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، تحقيق هارون (ط. دار المعارف ط٤) ص ٤٢١.

(٥) كحالة: معجم قبائل العرب: ٣/ ١٠١١.

(٦) انظر: صبح الأعشى: ١/٣٣٤، ٣٣٥.

(٩) الأَشْعَرِيّون

وهم من القبائل التى استقرت فى اليمن، وهم رهط أبى موسى الأشعرى صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم.

(١٠) عاملـــة

وهى من القبائل التى هاجرت إلي الشمال، وقد ذُكر أن بجبال عاملة من بلاد الشام عددا كثيراً منهم.

٢) العرب المستعربة

وهم بنو إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام، ويقال لهم العرب المتعربة أيضاً، وقد سموا بذلك لأن لغة إسماعيل عليه السلام كانت العبرانية أو السريانية، فلما نزلت جُرهم من القحطانية عليه وعلى أمه بمكة تزوج منهم، وتعلم منهم هو وبنوه العربية، ويعرف هؤلاء العرب بالعدنانية نسبة إلى عدنان من ولد إسماعيل، إذ قيل: إن من عدا عدنان من ولد إسماعيل قد انقرضوا ولم يبق لهم عقب.

ومنازلهم الأولى في نجد والحجاز وتهامة ممتدة فيما وراء ذلك شمالاً إلى العراق ومشارف الشام.

ومن القبائل العدنانية :

(١) إيـاد

وهم بنو إياد بن نِزار بن مَـعَـدّ بن عَـدْنان، ومنهم قُسّ بن ساعدة الإيادى أحد حكماء العرب، وقد سبقت الإشارة إليه.

وقد نزلوا بأطراف العراق بعد أن فارق إياد الحجاز وسار بأهله إلي هناك.

(٢) رَبيعة

وهم بنو ربيعة بن نزار، ويعرف بربيعة الفرس، لأن أباه نزارا أوصي له من ماله بالخيل.

ولربيعة بطنان، هما أسد وضُبَيْعة، وديارهم بالجزيرة الفراتية وكانت تعرف بديار ربيعة.

ومن أسد:بنو عنزة، وكانت منازلهم خيبر من ضواحى المدينة، وجديلة، وهم بنو جديلة بن أسد.

ومن جديلة:عبد القَيْس، وكانت ديارهم بتهامة حتى خرجوا إلى البحرين وزاحموا من بها من بكر بن وائل وتميم.

ومن جديلة أيضاً:بنو النِّمِر، وكانت ديارهم رأس العين من أعمال الجزيرة الفراتية، وبنو وائل.

ومن وائل:بكر وتَغْلِب.

ومن بكر بن وائل:شيبان، وبنو حنيفة رهط مسيلمة الكذاب، وبنو عجل، وكانت منازلهم من اليمامة إلي البصرة.

(٣) قيس عَيْلان

وهم من مضر بن نزار الذى يعرف بمضر الحمراء، لأن أباه أوصى له من ماله بالذهب وما فى معناه، ولكثرة بطون قيس غلب على سائر العدنانية حتى جعل في مقابل عرب اليمن قاطبة، فيقال : قيس ويمن.

ومن بطون قيس :

ا) هَوازن

وهم الذين أغار عليهم النبى صلى الله عليه وسلم وسباهم.

ومن هوازن

(١) بنو سَعْد

وهم الذين كان رسول الله صلى الله عليه وسلم رضيعاً فيهم.

(٢) بنو عامر بن صَعْصَعة

وهم الذين كان لهم في الإسلام دولة باليمامة وكانت ديارهم حمى ضريّة وهو حمى كُليب، وحمى الرَبَذَة فى جهات المدينة النبوية، وفَدَك والعوالى ثم انتقلوا بعد ذلك إلى الشام، فكان لهم في الجزيرة الفراتية صيت وملكوا حلب ونواحيها وكثيراً من مدن الشام، ثم ضعفوا وزال ملكهم.

ومن بنى عامر بنو عُقَيْل وكانت منازلهم فى البحرين فى كثير من قبائل العرب. وبنو هلال الذين نزل كثير منهم صعيد مصر.

(٣) بنو جُشَم

وكانت مساكنهم بالسروات وهى تلال تفصل بين تهامة ونجد.

(٤) ثَقِيف

وكانت منازلهم بالطائف.

ب) غَطَفان

وهم بنو غطفان بن قيس عَيْلان، وكانت منازلهم مما يلى وادى القرى وجبلى طئ أجأ وسَلْمى، ثم تفرقوا فى الفتوحات الإسلامية، واستولي على مواطنهم هناك قبائل طئ.

ومن بطون غطفان عَبْس التى ينسب إليها الشاعر الفارس عنترة ابن شداد، وذُبيان التى ينسب إليها الشاعر النابغة الذبيانى.

جـ) سُلَيْم

وهم أكبر قبائل قيس، وكانت منازلهم فى عالية نجد بالقرب من خيبر، ومن منازلهم حَرَّة سُلَيْم، وحَرَّة النار بين وادى القرى وتيما.

د) عَدْوان

وكانت منازلهم بالطائف نزلوها بعد إياد والعمالقة، ثم غلبهم عليها ثقيف فخرجوا إلى تهامة.

هـ) باهِلَة

وهم بنو سعد مناة، وباهلة أم سعد مناة عُرفوا بها، وهى باهلة بنت صَعْب بن سعد العشيرة. و«كانوا يقطنون باليمامة»(١).

(٤) خِنْدِف

وهم بنو إلياس بن مضر، وكانت تحت إلياس خندف بنت حُلْوان بن عِمْران بن الحافى بن قُضاعة فعرفوا بها، فقيل لهم: خِنْدِف.

ومنهم :

أ) تميم

وكانت منازلهم بأرض نجد دائرة من هنالك على البصرة واليمامة وامتدت إلى العُذَيْب من أرض الكوفة.

ومن بطون تميم بنو العنبر، وبنو حنظلة وهم أكبر قبيلة فى تميم، ومن بني حنظلة هؤلاء بنو يَرْبُوع.

---

(١) كحالة : معجم قبائل العرب : ٦٠/١.

ب) بنو ضَبَّة

وكانت ديارهم بالناحية الشمالية من نجد بجوار بني تميم، ثم انتقلوا في الإسلام إلي العراق.

جـ) هُذَيْل

وهم بنو هذيل بن مدركة بن إلياس بن مُضَر وهي قبيلة متسعة لها بطون كثيرة، ومساكنهم بالسراة المتصلة بسروات بني جشم التي مر ذكرها آنفاً، «وسراتهم متصلة بجبل غزوان المتصل بالطائف، وكان لهم أماكن ومياه في أسفلها من جهات نجد وتهامة بين مكة والمدينة، ثم تفرقوا بعد الإسلام(١).

د) أَسَد

وهم غير أسد ربيعة السابق ذكرهم، فهؤلاء بنو أسد بن خُزَيْمة بن مدركة بن إلياس بن مُضَر بن نزار، أما أسد ربيعة فهم بنو أسد بن ربيعة بن نزار.

وكانت مساكن بني أسد بن خزيمة مما يلي الكَرْخ من أرض نجد في مجاورة طيئ، ويقال : إن بلاد طيئ كانت لبني أسد فلما خرج بنو طيئ من اليمن تغلبوا على جبلي أجأ وسَلْمى وتفرق بنو أسد بسبب ذلك في الأقطار.

ومن بطون أسد هؤلاء دُودان بن أسد، والكاهلية وهم بنو كاهل بن أسد.

---

(١) كحالة : معجم قبائل العرب : ١٢١٣/٣.

هـ) كِنانــة

وهم بنو كِنانة بن خُــزَيْمة «وكــانوا ينزلون تهــامــة بالقــرب من مكة[١].

وقد ذكر أن منهم جماعـة بالأخميمية من صعيد مصر يعـرفون بكنانة طلحة، وأن منهم طائفة نزلوا دِمْياط وما حولها.

و) قُرَيْش

وهم بنو النَّضْــر بن كنانة[٢]، وكــانت منازلهم في مكة ومــا جاورها.

وبعـد أن ألقينا الضوء على المكان وهو شبه جزيرة العرب وعلى السكان وهم العـرب آن لنا أن ننتـقل إلى الحديث عن اللهـجـات، تلك اللهجات التى لا تنفصل عن المكان والسكان.

---

(١) اللهجات العربية فى القراءات القرآنية : ص ٣٤.

(٢) اعـتـمدنا فى حديثنا عن العـرب العـاربة والمسـتـعربة على مـا جـاء فى صبح الأعشى للقلقشندى (١/ ٣١٥ ومابعدها) ما عدا ما أشرنا إلى مصادره في موضعه.



قبائل العرب
فى
شبه الجزيرة العربية

الفصل الثالث
اللغة واللهجة

أهمية دراسة اللهجات

تعد دراسة اللهجات على الرغم من أهميتها من أحدث الاتجاهات في البحوث اللغوية، فلقد ظهرت هذه الدراسة ونمت في الجامعات الأوربية خلال القرنين التاسع عشر والعشرين حتى أصبحت الآن عنصراً مهما بين الدراسات اللغوية الحديثة، وأسست لها في بعض الجامعات الراقية فروع خاصة بدراستها تعنى بشرحها، وتحليل خصائصها، وتسجيل نماذج منها تسجيلاً صوتياً يبقى على مر الزمن.

وعلى الرغم من كثرة ما ألفه علماء العربية القدامى فى كل فرع من فروع اللغة فإن اللهجات العربية لم تظفر منهم بمؤلف مستقل يجمع شتاتها، ويشرح غامضها، وإنما ظلت متناثرة في روايات نجدها في بطون كتب اللغة والأدب والقراءات والتاريخ وغيرها.

وكان أول مؤلف في اللهجات العربية تلك الرسالة الصغيرة المسماة «مميزات لغات العرب» لحفنى ناصف التى ألقاها فى مؤتمر المستشرقين الذى انعقد بمدينة فينا فى أوائل سنة ١٣٠٤هـ[١].

وترجع أهمية دراسة اللهجات العربية إلي مايلى :

١- دراسة اللهجات العربية تعين الباحث اللغوى على تصور وفهم التطور اللغوى للعربية وتأصيل الدرس اللغوى.

---

(١) د. إبراهيم أنيس : فى اللهجات العربية (نشر مكتبة الأنجلو المصرية ط٤) ص ٩، ١٠.

ولذا يجب أن تدرس اللهجات العربية القديمة من مصادرها المختلفة، من القراءات القرآنية، ومن الروايات المتناثرة فى بطون كتب اللغة والأدب والتاريخ وغيرها، ومن الآثار والنقوش فى شبه الجزيرة العربية للوقوف على تصور التطور اللغوى فيها.

٢- تفيد دراسة اللهجات العربية القديمة فى الإجابة على السؤال التالى :

هل العربية الفصحى ولغة الشعر عبارة عن حصيلة لهجات عدة أو أنها لهجة قبيلة معينة سادت واتخذها الشعراء قالباً ينظمون فيه أشعارهم ؟

٣- تفيد دراسة اللهجات العربية القديمة في معرفة مصادر القراءات القرآنية المختلفة التى رويت لنا غير منسوبة إلى لهجة معينة.

٤- التوسع فى دراسة جميع اللهجات العربية القديمة يزيد لغتنا ثروة ويمنحها قوة.

٥- البحث فى اللهجات العربية في الوطن العربى يرشدنا إلي معرفة مصادر هذه اللهجات وأن كثيراً منها يرجع إلى لهجات القبائل العربية القديمة.

فالنطق الدارج فى جمهورية مصر العربية مثلا لكلمة سكرى هو سكرانة يرجع إلى لهجة بنى أسد.

والنطق لكلمتى مدين ومعيب هو مديون ومعيوب يرجع إلى لهجة تميم التى تتم اسم المفعول من الفعل الثلاثى الأجوف اليائى.

والنطق لكلمة شَعير وكلمة رَغيف هو شِعير ورِغيف (بكسر الفاء) يرجع إلى لهجة تميم حيث يكسرون أول فَعيل إذا كان ثانيه حرفاً من أحرف الحلق.

والنطق للام الجر بالكسر فى نحو المالُ لك وله يرجع إلي لهجة قُضاعة.

والنطق الدارج للضميرين هُوَ وهِيَ هو . هُوَّ وهِيَّ (بتشديد الواو والياء) يرجع إلى لهجة هَمْدان.

٦- دراسة اللهجات الحديثة فى الوطن العربى تمكننا من الوقوف على الانحرافات المختلفة فى النطق والتحوير في الأداء، وبذلك يسهل توحيد اللهجات فى لغة مشتركة واحدة والقضاء على اللهجات الإقليمية[1].

٧- يمكننا عن طريق دراسة اللهجات العربية الحديثة أن نتعرف على ما جدّ فيها من مادة، وعلى المصدر الذى دخلت منه إليها، خصوصاً بعد أن أصبح لعلم اللغة الحديث مناهجه فى جمع المادة اللغوية وتحليلها على المستويات الصوتية والنحوية والقاموسية، وبعد أن ظهرت المخترعات المختلفة التى تمدنا بوسائل حديثة ودقيقة للتسجيل والتحليل.

٨- اللهجات العربية الحديثة هى المستودع الذى ترسبت فيه ظواهر لغوية كثيرة انقرضت من الاستعمال الأدبى وقد يكون بعض هذه الظواهر باقياً من بعض اللهجات الجاهلية أو الإسلامية، وقد يكون بعضها عربياً فصيحاً ندر استعماله، وبواسطة المادة اللغوية المتخلفة فى اللهجات الحديثة ودراستها يمكن أن نهتدى

---

(١) د.إبراهيم أبو سكين : اللهجات العربية (مطبعة الفاروق الحديثة ١٩٨٦م) ص ٤، ٥ ود. رمضان عبد التواب فصول فى فقه العربية (نشر مكتبة دار التراث بالقاهرة ١٩٧٧م ط١) ص ٥٩، ٦٠ واللهجات العربية فى القراءات القرآنية ص ٢٠٦.

إلي أصل بعض مواد اللغة العربية أو نتعرف على الطريق الذي سلكته ظاهرة لغوية ما حتى تطورت واتخذت مظهراً آخر في العربية الفصحى.

ولذا يمكن القول بأن الأبحاث اللغوية التاريخية تعتمد بصفة أساسية على اللهجات الحديثة .(١)

صعوبة البحث فى اللهجات العربية القديمة

ثمة صعوبات كثيرة تواجه الباحثين في اللهجات العربية القديمة أهمها يرجع إلى مايلي :

١- إهمال علماء اللغة القدامى دراسة اللهجات وإفرادها بمؤلف مستقل يجمع شتاتها ، ويشرح غامضها ، ويظهر الخصائص الصوتية والتعبيرية لها ، خوفاً من إثارة العصبية القبلية لاسيما بعد أن ضم الإسلام الحنيف العرب تحت لوائه واتسعت رقعة الدولة الإسلامية جعل هذه اللهجات تصل إلينا متناثرة فى بطون الكتب مبتورة حينا وممسوخة حيناً آخر.

لذا فإن دراسة اللهجات العربية القديمة تتطلب تصفح جميع المؤلفات العربية فى كل فن من فنون العلم لأن الاهتمام بالمسائل اللغوية لم يقتصر على اللغويين والنحويين بل تجاوزهما إلي الجغرافيين والمؤرخين والفلاسفة والأطباء والرياضيين، ومن ثم فإن كثيراً من الملاحظات المهمة عن اللهجات العربية يعثر عليها فى غير كتب اللغويين أيضاً.

---

(١) د. عبد الرحمن أيوب : العربية ولهجاتها (مطابع سجل العرب ١٩٦٨ ط ١) ص ٣٥.

٢- إغفال علماء اللغة ذكر القبائل التى تنتمى إليها اللهجات أحياناً، والاكتفاء باطلاق اسم اللغة عليها دون نسبة.
وذلك راجع إلى سوء التحرى للهجات العربية مقيدة بالبيئة أو الإقليم.
وكذا اختلافهم فى تعيين القبيلة التى تنتمى إليها لهجة من اللهجات.
وهذا بلاشك يتطلب جهداً من الباحث لعزو اللهجات المجهولة لأصحابها، والتوفيق بين أوجه الخلاف السائدة بين اللغويين فى نسبة لهجة من اللهجات إلى قبائل عدة.

٣- إطلاق علماء اللغة القدماء كلمة لغة لتدل فى أحيان كثيرة على لهجة قبيلة من القبائل وإطلاقها فى أحيان أخرى لتدل على عيوب النطق (اللثغة) وعدم التمييز بين الإطلاقين عندهم.

٤- التصحيف والتحريف اللذان ابتليت بهما الكتب العربية طمسا كثيراً من المعالم الصحيحة لبعض اللهجات العربية التى دونت فى كتب اللغة والأدب والتاريخ وغيرها.

٥- وصف اللغويين اللهجات العربية غير القرشية بأوصاف مختلفة مثل : فصيحة، أو قبيحة، أو رديئة، أو ضعيفة، أو شاذة، وذلك لعدهم لهجة قريش أفصح اللهجات.

٦- اهتمام المسلمين بلغة قريش لأنها لغة القرآن الكريم والحديث الشريف، وقد ذهب فى هذه اللغة عناصر متعددة من لهجات العرب المختلفة بعضها يوجد فى كتب القراءات كالحُجَّة لأبى على

الفارسى[١] والمحتسب لابن جنى[٢] وغيرهما، وأقحموا على الفصحى خصائص وسمات اللهجات المختلفة حين استنبطوا قواعدهم النحوية والصرفية[٣].

اللغـــة

اللغة ضرورة اجتماعية لا يستغنى عنها البشر، ومنذ التقى الإنسان بغيره وهو يحتاج إلى وسيلة للتفاهم، ومن أرقى الوسائل التى وصل إليها الإنسان فى تفاهمه مع أخيه اللغة الصوتية.

وقد لوحظ أن كلمة (اللغة) لم تعرف عند العرب قبل انتهاء القرن الثانى الهجرى، وكان العالم باللغة عندهم يطلق عليه اسم الراوية، ثم عرف باسم اللغوى في القرن الرابع الهجرى، ومن الذين أطلق عليهم هذا اللقب الجديد أبو الطيب اللغوى[٤]،

---

(١) هو أبو على الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسى إمام وقته فى علم النحو، من تلميذه ابن جنى، من مصنفاته الحجة فى علل القراءات السبع. مات ببغداد سنة ٣٧٧هـ (نزهة الألباء ص ٣١٥).

(٢) هو أبو الفتح عثمان بن جنى الموصلى، كان إماماً فى اللغة، بارعاً فى النحو والتصريف، من مصنفاته:الخصائص، وسر صناعة الإعراب، والمحتسب فى تبيين وجوه شواذ القراءات مات ببغداد سنة ٣٩٢هـ. (نزهة الألباء : ص ٣٣٢ وهدية العارفين: ١/٦٥٢).

(٣) د. إبراهيم أبو سكين : اللهجات العربية : ص ٥، ٦ ود. رمضان عبد التواب: فصول فى فقه العربية ص ٦٠، ٦١.

(٤) هو أبو الطيب عبد الواحد بن على الحلبى المتوفى سنة ٣٥١هـ. من مصنفاته : الإبدال: (هدية العارفين : ١/٦٣٣).

وابن دُرَيْدٍ[١]، والأزهري[٢]، ولم تظهر كلمة (اللغة) في آداب العرب إلا في القرن الثامن الهجري، فقد كان أول ورودها - على ما يعلم- في شعر لصَفِيّ الدين الحِلِّي المتوفى سنة ٧٥٠هـ[٣] حيث يقول :

بِقَدْرِ لُغَاتِ المَرْءِ يَكْثُرُ نَفْعُهُ
وتلك له عند المُلِمَّاتِ أَعْوانُ
تَهافَتْ على حِفْظِ اللُّغاتِ وفَهْمِها
فكلُّ لسانٍ في الحقيقةِ إنسانُ

ولم ترد كلمة لغة في القرآن الكريم، وإنما عبر فيه عن مفهومها بكلمة لسان في عدة مواضع منه، منها قول الحق تبارك وتعالى : (وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ العَالَمِينَ * نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ المُنْذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ)[٤].

ولعل العرب الأولين كانوا يستعملون كلمة (اللسان) بدلا من كلمة (اللغة).

وبناء على عدم ورود كلمة (لغة) في آداب العرب المتقدمين وفي القرآن الكريم، استنتج بعض الباحثين المحدثين أنها دخيلة على العربية، وأنها معربة عن كلمة Logs الأغريقية التى تعنى كلمة أو فكرة.

---

(١) هو أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، أحد أئمة اللغة، من مصنفاته : جمهرة اللغة. مات ببغداد سنة ٣٢١هـ (نزهة الألباء ص ٢٥٦).

(٢) هو أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري، من أكابر أئمة اللغة. من مصنفاته : تهذيب اللغة. مات بهراة سنة ٣٧٠هـ (نزهة الألباء : ص ٣٢٣).

(٣) هو صفي الدين عبد العزيز بن علي بن الحسين الحلي المتوفى سنة ٧٥٠هـ. من مصنفاته: الدر النفيس في أقسام التجنيس، وديوان شعره. (هدية العارفين: ١/٥٨٢).

(٤) الشعراء/١٩٢، ١٩٣، ١٩٤، ١٩٥.

ولكن ما يؤكد عربية هذه الكلمة وجود مادة (ل غ و) فى الآداب العربية، وفى القرآن الكريم، وهى تعنى الأصوات الإنسانية وغيرها وما يمكن أن يشبهها من معان مختلفة.

فقد ورد اللغا بمعنى الهذيان وقول الباطل، فى قول العجاج[١]:

وَرُبَّ أَسْرَابِ حَجِيجٍ كُظَّمِ[٢] * عَنِ اللَّغا وَرَفَثِ[٣] التَّكَلُّمِ

وورد اللغو بمعنى السقط الذى لا يعتد به من الكلام فى القرآن الكريم فى قول الحق تبارك وتعالى : (وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَاماً)[٤].

وقد ورد لغا بمعنى تكلم في الحديث الشريف :(من قال يوم الجمعة والإمامُ يخطبُ لصاحبه: صَهْ، فقد لَغا)[٥].

وقد ورد فى المعاجم العربية لَغَا يَلْغُو، إذا تحدث،ولَغِيَ يَلْغَى، إذا لَهِجَ، مع تصرفات أخرى للمادة ونصوص كثيرة موثوق بها، مما يثبت عربية هذه الكلمة[٦].

---

(١) هو عبد الله بن رؤبة بن لبيد التميمى، أحد الرجاز المجيدين. مات سنة ٩٧هـ. (الشعر والشعراء : ٢/٥٩٥، والأعلام : ٢/٥٥٦).

(٢) كظم : ساكتون. (اللسان : كظم).

(٣) الرفث : الفحش من القول، وكلام النساء فى الجماع. (اللسان : رفث).

(٤) الفرقان : ٧٢.

(٥) الزمخشرى : الفائق فى غريب الحديث (تحقيق على البجاوى ومحمد أبو الفضل ط عيسي الحلبى ط٢) : ٣/٣٢٢.

(٦) د. عبد الغفار هلال : اللغة العربية خصائصها وسماتها (مطبعة الحضارة العربية ط١. ١٩٧٦م) ص ٦٨، ٦٩.

اشتقاق اللغة

هى عند بعض علماء اللغة مأخوذة من لغا فلان بمعنى تكلم ونطق، ففى لسان العرب :«هى فُعْلَةٌ مِنْ لَغَوْتُ أى تكلمت»(١).

وفى أساس البلاغة :«لَغَوْتُ بكذا : لفظتُ به وتكلمتُ، وإذا أردت أن تسمع من الأعراب فاستلغهم... وتقول : اسمع لَغْواهم ولا تخف طغواهم، ومنه اللغة، وتقول : لغة العرب أفصح اللغات، وبلاغتها أتمُّ البلاغات»(٢).

وعند بعضهم مأخوذة من لَغِيَ بالشئ يَلْغَى لَغاً: لَهِجَ به وأولع به، ففى المصباح المنير: «لَغِيَ بالأمر يَلْغَى من باب تعب: لَهِجَ به، ويقال: اشتقاق اللغة من ذلك، وحذفت اللام وعُوّض عنها الهاء، وأصلها لُغْوَةٌ مثال غُرْفَةٍ»(٣).

ويرى فريق آخر أنها مأخوذة من قولهم : لغا فلان عن الصواب وعن الطريق : مال عنه، ففى لسان العرب :«لَغا فلان عن الصواب وعن الطريق، إذا مال عنه... واللغة أخذت من هذا، لأن هؤلاء تكلموا بكلام مالوا فيه عن لغة هؤلاء الآخرين»(٤).

يقول الزمخشرى(٥) فى أساس البلاغة :«ومن المجاز: لغا عن الطريق وعن الصواب : مال عنه»(٦).

---

(١) اللسان : ل غ و.

(٢) الزمخشرى : أساس البلاغة : ل غ و .

(٣) الفيومى : المصباح المنير : ل غ و.

(٤) لسان العرب : ل غ و.

(٥) هو جار الله أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد الزمخشرى المتوفى سنة ٥٤٨هـ من مصنفاته : أساس البلاغة (هدية العارفين : ٢/٢٠٤).

(٦) أساس البلاغة : ل غ و.

ونحن نرجح الاشتقاق الأول، لأنه صريح فى الدلالة على معنى اللغة وهو الأصل.

تعريف اللغة

اختلفت أنظار العلماء للغة وفاقاً للمناهج التى يدرسونها،ففريق يعرفها على أساس عقلى أو نفسى، فهى عندهم : استعمال رموز صوتية منظمة للتعبير عن الأفكارونقلها من شخص إلى آخر.

ومن هذا الفريق العالم الأمريكى سابير.

ويلاحظ على هذا التعريف أنه أهمل استخدام اللغة فى التعبير عن الشعور والعواطف، واستخدامها للترفيه والتسلية وقصرها على التعبير عن الأفكار فقط.

وفريق آخر وهم علماء الفلسفة والمنطق نظروا إليها باعتبار وظائفها.

يقول الأستاذ جفونز : للغة ثلاث وظائف :

١- كونها وسيلة للتوصيل.

٢- كونها مساعدا آلياً للتفكير.

٣- كونها أداة للتسجيل والرجوع.

وهؤلاء أيضاً قصروا وظيفة اللغة على نقل الأفكار كالفريق السابق.

أما علماء الاجتماع فقد نظروا إلي وظيفتها فى المجتمع فعرفها العالم الأمريكى ادجار ستريتفنت بأنها : نظام من رموز ملفوظة عرفية بوساطتها يتعاون ويتعامل أعضاء المجموعة الاجتماعية المعينة[١].

---

(١) د. نجا: اللهجات العربية : ص ٥، ٦.

وعرفها اللغوى العبقرى ابن جنى بأنها (أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم)[١].

قال ابن سِيدَه[٢] تعليقاً على هذا التعريف بعد أن ذكره: «وهذا حد دائر على محدود محيط به لا يلحقه خلل إذ كل صوت يعبر به عن المعنى المقصود في النفس لغة، وكل لغة فهي صوت يعبر به عن المعني المتصور فى النفس[٣].

وعلق عليه الدكتور محمود حجازى بقوله: «وهذا التعريف دقيق، ويتفق فى جوهره مع عناصر تعريف اللغة عند الباحثين المعاصرين، فهو يؤكد من جانب الطبيعة الصوتية للرموز اللغوية، ويبين أيضاً أن وظيفتها الاجتماعية هى التعبير ونقل الفكر فى إطار البيئة اللغوية، ويذكر كذلك أنها تؤدى وظيفتها في مجتمع بعينه فلكل قوم لغتهم»[٤].

وبهذا يظهر لنا دقة تعريف القدماء للغة.

---

(١) ابن جنى : الخصائص (تحقيق محمد على النجار. دار الهدى للطباعة والنشر- بيروت ط ١): ٣٣/١.

(٢) هو أبو الحسن على بن إسماعيل بن سيده، الضرير الأندلسى اللغوى المتوفى سنة ٤٥٨ هـ من مصنفاته : المحكم والمخصص. (هدية العارفين: ٦٩١/١).

(٣) ابن سيده : المخصص (ط. بولاق): ٦/١.

(٤) د. محمود حجازى : اللغة العربية عبر القرون (مطابع دار الكاتب العربى ١٩٦٨م) : ص ٤.

اللهجـة

اشتقاقها:

جاء في لسان العرب: «لَهِجَ بالأمر لَهَجاً أُولِعَ به واعتاده، واللَّهَجُ بالشيء: الولوع به.. والفَصِيلُ يَلْهَجُ أُمَّهُ إذا تناول ضَرْعَها يمتصُّهُ.. ولَهِجَ الفصيلُ بأُمِّهِ يَلْهَجُ، إذا اعتاد رَضاعها»[(١)].

وجاء في المصباح المنير: «لَهِجَ الفَصِيلُ بِضَرْعِ أُمِّهِ: لَزِمَهُ»[(٢)].

واللهجة صالحة لأن تؤخذ من لَهِجَ بالمعنى الأول، وهو الولوع والاعتياد، أو الثاني وهو تناول الضَّرْعِ وامتصاصه واعتياد الرضاعة والملازمة، وان كان الثاني أسبق من الأول، لأنه حِسِّيٌّ ويلزمه الولوع خصوصاً إذا نظرنا إلى أن الفصيل كما جاء في القاموس «وَلَدُ الناقةِ إذا فُصِلَ عَنْ أُمِّهِ»[(٣)] فكأنه على الرغم من فصاله عن أمّه مولع بلبنها. واللهجة التي تعني طريقة معينة في أداء اللغة تحمل معنى الولوع بهذه الطريقة التي تؤخذ من القوم الذين ينتمي إليهم صاحبها ويتعود الأداء بها.

وقد أطلقت اللهجة على اللسان، وعلى طرفه، وأطلقت أيضاً علي جرس الكلام، ولغة الإنسان التي جبل عليها فاعتادها ونشأ عليها، كما ورد في لسان العرب[(٤)].

---

(١) لسان العرب: ل هـ ج.

(٢) المصباح المنير: ل هـ ج.

(٣) الفيروزابادي: القاموس المحيط: ف ص ل.

(٤) انظر لسان العرب ل هـ ج..

ولا تخفى علينا العلاقة بين اللسان وتناول الفصيل ضرع أمه ليمتصه، كما لا تخفى علينا العلاقة بين اللسان ولغة الإنسان وجرس الكلام.

جاء في تاج العروس:«ويقال : فلان فصيح اللهجة وهى لغته التى جبل عليها واعتادها ونشأ عليها، وبهذا ظهر أن إنكار شيخنا على من فسرها باللغة لا الجارحة قصور ظاهر كما لا يخفى[١] ».

«واللهجة بفتح الهاء، وإسكانها لغة»[٢].

تعريفها

هى في الاصطلاح العلمى الحديث مجموعة من الصفات اللغوية تنتمى إلى بيئة خاصة، ويشترك فى هذه الصفات جميع أفراد هذه البيئة.

وتلك الصفات التى تتميز بها اللهجة تكاد تنحصر فى الأصوات وطبيعتها وكيفية صدورها، فالذى يفرق بين لهجة وأخرى هو بعض الاختلاف الصوتى فى غالب الأحيان، فيروى مثلاً أن قبيلة تميم كانوا يقولون في فُزْتُ : فُزْدُ، كما يروى أن «الأَجْلَحَ» وهو الأصلع ينطق بها «الأجله» عند بنى سعد.

وقد تتميز اللهجة بقليل من صفات ترجع إلي بنية الكلمة ونسجها، أو معانى بعض الكلمات. فيروي أن بعضا من تميم كانوا يقولون مديون وغيرهم يقول مدين في اسم المفعول من الفعل الثلاثى الأجوف اليائى، وأن بنى أسد كانوا يقولون :«سكرانة» بدلا من «سكرى» التى كان ينطق بها سائر العرب.

---

(١) الزبيدى : تاج العروس : ل هـ ج.

(٢) المصباح المنير : ل هـ ج.

كما ورد أن كلمة «الهِجْرِسِ» عند أهل الحجاز بمعنى القرد وعند تميم بمعنى الثعلب.

ويجب أن تكون هذه الصفات الخاصة التى ترجع إلي بنية الكلمة ودلالتها من القلة بحيث لا تجعل اللهجة غريبة على أخواتها بعيدة عنها عسرة الفهم على أبناء اللهجات الأخرى في نفس اللغة، لأنه متى كثرت هذه الصفات الخاصة بعدت باللهجة عن أخواتها، فلا تلبث أن تستقل وتصبح لغة قائمة بذاتها [١].

وأهم الصفات الصوتية التى تؤدى إلي الخلف بين لهجات اللغة الواحدة مايلى :

١- الاختلاف فى مخرج بعض الأصوات اللغوية، كالجيم العربية والجيم القاهرية، فالأولى من وسط اللسان مع ما يحاذيه من الحنك الأعلى، والثانية من أقصى اللسان مع ما يحاذيه من الحنك الأعلى.

٢- الاختلاف فى وضع أعضاء النطق مع بعض الأصوات، مما يترتب عليه الخلاف فى نطق الحرف نفسه، كترقيق حرف عند قبيلة وتفخيمه عند قبيلة أخرى.

٣- الاختلاف فى مقاييس أصوات اللين، وهى حروف المد عند القدماء، فإن أى انحراف فيها يؤدى إلى اختلاف النطق بين الناطقين بها، ولذا فإن لها أثرا كبيراً فى تعلم اللغات، لشيوعها فى الكلام، ووضوحها فى السمع، وبروز الخلل منها عند أى انحراف يصيب نطقها.

---

(١) د. أنيس : فى اللهجات العربية : ص ١٦، ١٧.

٤- التباين فى النغمة الموسيقية للكلام، فكل بيئة لها نغمتها الخاصة فى النطق.

٥- الاختلاف فى قوانين التفاعل بين الأصوات المتجاورة حين تتأثر ببعضها، كقلب الواو تاء إذا وقعت فاء لافتعل، فجمهرة العرب تقول: اتصل والحجازيون يتركون الواو متأثرة بالحركات السابقة عليها، فتقلب إلي حروف مجانسة لتلك الحركات، فيقولون : ايتصل(١).

وليس من الضرورى أن توجد كل هذه الفروق ممثلة فى لهجات لغة من اللغات، بل قد يوجد بعضها فقط، وتتباعد اللهجات أو تتقارب على قدر اشتمالها على تلك الصفات، وعلى قدر شيوع هذه الصفات فيها(٢).

العلاقة بين اللغة واللهجة

اللغة أعم من اللهجة والعلاقة بينهما هى العلاقة بين العام والخاص، فاللغة عادة تشتمل على عدة لهجات لكل منها ما يميزها، وجميع هذه اللهجات تشترك فى مجموعة من الصفات اللغوية والعادات الكلامية التى تؤلف لغة مستقلة عن غيرها من اللغات(٣).

واللهجة تتولد من اللغة وتتفرع منها، وإذا ما تهيأت الأسباب للهجة أن تنمو وتكتمل وتفى بحاجات المجتمع الذى تعيش فيه فإن

---

(١) د. نجا: اللهجات العربية : ص ٩، ١٠. ود. أنيس: فى اللهجات العربية ص ١٩.

(٢) د. أنيس : فى اللهجات العربية : ص ١٩.

(٣) نفسه : ص ١٦.

العوامل اللغوية تحتم على الباحثين إطلاق اسم اللغة على تلك اللهجة[(١)]. فاللغة تشبه تلك الشجرة التى تتدلى فروعها إلى أسفل فتلامس التربة وترسل فى الأرض جذوراً تصبح أشجاراً كبيرة فيما بعد، وقد تموت الشجرة الأم ولكن من فروعها تنشأ أشجار جديدة، وإذا قلنا إن اللغة تموت كما تموت الأشجار فالمقصود بالموت التغيير الكلى الذى يطرأ على المجتمع، والتحول الجذرى في الحياة، وفى الظروف المحيطة بالحياة، إلى حد نستطيع فيه القول بأن لغة اليوم مغايرة للغة الأمس، أليست العربية والعبرية والبابلية والفينيقية تمثل فروعاً لشجرة واحدة أصبحت أشجاراً جديدة تتفرع من جديد؟[(٢)].

واللغة واللهجة ترتبطان بالصوت، وإن كانت جهة الارتباط مختلفة، فاللغة ترتبط به من حيث وفاؤه بالمطلوب منه في إفادة المعنى الموضوع إزاءه، وتمييزه عما عداه تمييزا تاما، واللهجة ترتبط به من حيث صورة النطق وهيئته[(٣)].

ويبدو لى أن القدماء من علماء العربية كانوا على طريق مستقيمة حين كانوا يطلقون اللغة على اللهجة، فقد سبق ما جاء فى المصباح المنير «لَغِىَ بالأمر يَلْغَى من باب تَعِبَ : لَهِجَ به، ويقال : اشتقاق اللغة من ذلك» فَفُسِّرَ اللغوُ بالأمر باللَّهَجِ به، فلعلهم قد نظروا إلى تلك الصلة بينهما.

---

(١) د. نجا : اللهجات العربية : ص ١١.

(٢) د. أنيس فريحة : نظريات فى اللغة (دار الكتاب اللبنانى- بيروت ١٩٧٣م ط١) ص ٤٩، ٥٠.

(٣) د. نجا : اللهجات العربية : ص ١١.

ولم يزل أثر ذلك الاستعمال القديم موجوداً إلى اليوم على ألسنة العامة عندنا، فيقولون: «فُلَانْ لَغوتُهْ كِدِهْ»، ويقصدون لهجته.

وقد سمعتُ بمَحَطِّ مدينة الزقازيق رجلاً يقول لآخر : «لَغوتْنا راجِلْ جَدَعْ، ولَغْوة الصعايدة رادِلْ دَدَعْ» وهو ينكر عليه، فراح يحتكم إلي ثالث. وقد سرنى حديث الرجلين عن اللغات أى اللهجات.

التوزيع الجغرافى للغة واللهجة

ليس من اليسير التحديد الدقيق للحدود الجغرافية التى تفصل بين اللغات، أو بين لهجات اللغة الواحدة، لأنه وإن أمكن وجود فواصل جغرافية بين بعض اللغات فليس من السهولة وجود تلك الفواصل بين اللهجات للتداخل القوى بينها، بل إنه توجد أماكن دون فواصل ويتكلم بعضها بلغة وبعضها الآخر بلغة أخرى، كما يشاهد ذلك في القرى الشمالية الواقعة على الحدود بين سوريا وتركيا فإن أبناء هذه القرى يتكلمون العربية والتركية جنباً إلى جنب مما يوجد صعوبة فى رسم الحد الجغرافى الفاصل بين الناطقين بتلك اللغات، وكما هو حاصل فى سويسرا، فإن فيها أربع لغات قومية، هى الألمانية، والفرنسية، والإيطالية والرومانية، فلكل منطقة لغة خاصة، ولكن الاختلاط الاجتماعي والوحدة السياسية أديا إلى تداخل الحدود بين هذه اللغات ولذلك يصعب رسم خطوط جغرافية تميز بين حدود هذه اللغات للترابط بين أفراد هذه الأمة، ولذا يمكن أن يكون الفاصل فى مثل هذه الحالة وأضرابها قرية أو شارعاً.

وإذا بدت لنا صعوبة رسم خط جغرافى في بعض الحالات التى ترتبط فيها اللغات ارتباطاً وثيقاً، فإن ذلك يعطينا صورة واضحة عن

صعوبة رسم هذا الخط الذى يوضح الحدود بين لهجات اللغة الواحدة للتشابك القوى والترابط الشديد بين أبناء الأمة على الرغم من توزعهم اللهجى.

وقد أدت تلك الصعوبات إلى قول بعض اللغويين إنه لا توجد ظواهر لغوية صوتية ونحوية ومعجمية تميز تميزاً تاماً بين منطقة وأخرى، ولذا اتجه فريق من هؤلاء العلماء إلى نفى وجود لهجات فى اللغة الواحدة لصعوبة التمييز، ومن هؤلاء «جاستن بارى» فقد قال : ليست هناك حدود حقيقية تفصل الفرنسيين أهل الشمال من أهل الجنوب، إن لغتنا العامية تنتشر فى طول البلاد وعرضها بصورة تشبه لوحة ذات ألوان مختلفة، ولكنها جميعاً يتداخل بعضها ببعض بدرجة لا تسمح برؤية الانتقال التدريجى من نقطة إلي أخرى.

ويؤيد تلك الوجهة «جوهان شميدت» صاحب نظرية الموجة التى يري فيها أن كل ظاهرة لغوية تنتشر كالموجة فوق كل منطقة، وأن كل موجة من هذا النوع ليست لها حدود معينة في تقدمها التدريجى، وقد استخلص «شميدت» هذه النظرية من دراسته التى أجراها فى اللغات الهندية الأوربية، حيث لم يجد اتحاداً بين خطوط توزيع الظواهر اللغوية المختلفة بدرجة تسمح بالقول بوجود لهجات مختلفة.

وقد عارض «مييه» وجهة «شميدت» فى نفى اللهجات الهندية الأوربية بناء على التداخل المقام بين اللهجات الذى يجعل الصعوبة قائمة فى وضع خطوط دقيقة للهجات المختلفة، وبنى «مييه» رأيه علي أنه من الممكن القول بوجود لهجات مختلفة مهما اتحدت تلك اللهجات، ويتحقق ذلك بالتعرف على السمات والخصائص التى تتحد فى

منطقة ولا توجد فى منطقة أخرى، وعلى ذلك فإن الرسم الجغرافى لا يتحقق بناء على أمكنة من قرى أو شوارع، وإنما تحدده السمات والخصائص.

وبهذا يتضح لنا أن اللهجات فى اللغة العربية الواقعة بين الأمم المتعاقبة هى لهجات وليست لغات فالعربية السورية والعربية العراقية والعربية الأردنية هى لهجات للغة العربية(١).

ورأى «ميه» السابق هو الرأى المختار، فعن طريق الأطالس اللغوية أمكن رسم الحدود اللغوية للهجة فى اللغات الغالية الرومانية على أساس رسم حدود الظواهر اللهجية، فكل لهجة تبدو فى صورة مجموع يحمل صفات خاصة تناقض بها اللهجات الأخرى.

وبهذه الطريقة أصبحت معرفة الأحداث اللغوية وحدودها سهلة ويسيرة، فما على الباحث إلا أن يتصفح الخرائط ليجد أمامه الحدود الخاصة بكل حدث لغوى، لأن لكل حدث لغوى مجال انتشاره الخاص بـه(٢).

---

(١) د. نجا: اللهجات العربية : ص ١٤ ومابعدها.

(٢) د. إبراهيم أبو سكين : اللهجات العربية : ص ٢٦.

أسباب وجود اللهجات

من أهم العوامل التى تؤدى إلى تفرع اللغة إلى لهجات مايلي :

١- انتشار اللغة في مناطق واسعة، فمن المقرر في نواميس اللغات أنه متى انتشرت اللغة فى مناطق واسعة من الأرض وتكلم بها طوائف مختلفة من الناس استحال عليها الاحتفاظ بوحدتها الأولى أمدا طويلاً بل لا تلبث أن تتشعب إلى لهجات، وتسلك كل لهجة من هذه اللهجات فى سبيل تطورها منهجاً يختلف عن منهج غيرها، ولا تنفك مسافة الخلف تتسع بينها حتى تصير كل لهجة منها لهجة متميزة غير مفهومه إلا لأهلها وبذلك يتولد عن اللغة الأولى فصيلة أو شعبة من اللهجات يختلف بعضها عن بعض في كثير من الوجوه ولكنها تظل مع ذلك متفقة فى وجوه أخرى.

ولهذا القانون خضعت اللغات الإنسانية من مبدأ نشأتها إلى العصر الحاضر، وكثيراً ما يبقي الأصل الأول مدة كبيرة لغة أدب وكتابة بين الشعوب الناطقة باللهجات المتفرعة منه، فقد بقيت اللاتينية مدة ما لغة أدب وكتابة بين الشعوب الناطقة باللغات المتفرعة منها (الفرنسية، الإيطالية، الإسبانية والبرتغالية، لغة رومانيا....) ولكنها تنحت عن ذلك بعد أن اكتمل نمو هذه اللغات. وقد اتسعت مسافة الخلف بين اللهجات المتفرعة من العربية حتى أصبح بعضها شبه غريب عن بعض، فلهجة العراق ولهجات شمال أفريقيا فى العصر الحاضر مثلا يجد المصرى بعض الصعوبة فى فهمها غير أنه قد خفف من أثر هذا الانقسام اللغوى بقاء العربية الأولى بين هذه الشعوب لغة أدب وكتابة ودين.

ولانتشار اللغة أسباب كثيرة يرجع أهمها إلى مايلى :

أ) أن تشتبك اللغة فى صراع مع لغة أو لغات أخرى، وتقضى نواميس الصراع اللغوى أن يكتب لها النصر، فتحتل مناطق اللغة أو اللغات المقهورة، فيتسع بذلك مدى انتشارها ،وتدخل أمم جديدة فى عداد الناطقين بها كما حدث للاتينية في العصور القديمة، وكما حدث للألمانية إذ طغت على مساحة واسعة من المناطق المجاورة لها بأوربا الوسطى، وكما حدث للعربية، إذ تغلبت علي كثير من اللغات السامية الأخرى، وعلى اللغات القبطية والبربرية والكوشية.

ب) أن ينتشر أفراد شعب ما على إثر هجرة أو غزو فى مناطق جديدة بعيدة عن أوطانهم الأولى، وتتكون من سلالتهم بهذه المناطق أمة أو أمم كثيرة السكان فيتسع بذلك مدى انتشار لغتهم، وتتعدد الجماعات الناطقة بها ويكثر أفرادها، فقد نجم عن هجرة الفرنسيين إلى قسم من كندا أن أصبحت الفرنسية لغة لهذا القسم كما نجم عن استعمار الإنجليز السكون لأمريكا الشمالية واستراليا ونيوزيلندا وجنوب أفريقيا أن انتشرت الإنجليزية فى هذه المناطق الشاسعة، فبلغ عدد الناطقين بها نحو ثلاثمائة مليون موزعين على مختلف قارات الأرض.

جـ) أن يتاح لجماعة ما أسباب مواتية للنمو الطبيعى في أوطانها الأصلية نفسها، فيأخذ عدد أفرادها وطوائفها فى الزيادة المطردة، وتنشط حركة العمران فى بلادها فتكثر فيها المدن والقرى، وتتعدد الأقاليم والمناطق فيتسع تبعاً لذلك نطاق لغتها ومدى انتشارها، كما حدث لليابانية والفرنسية والإيطالية، فبفضل هذا العامل بلغ عدد الناطقين باليابانية ما يزيد على ٧٠ مليونا.

٢- العوامل الاجتماعية السياسية التي تتعلق باستقلال المناطق التي انتشرت فيها اللغة بعضها عن بعض وضعف السلطان المركزي الذي كان يجمعها ويوثق ما بينها من علاقات، فإذا ما انقسمت دولة إلى دويلات أدى ذلك إلى انفصام الوحدة الفكرية واللغوية، فإن انفصام الوحدة السياسية يؤدي إلى ذلك.

٣- العوامل الاجتماعية النفسية الأدبية، وتمثل فيما بين سكان المناطق المختلفة من فروق النظم الاجتماعية والعرف والتقاليد والعادات ومبلغ الثقافة ومناحي التفكير والوجدان، فمن الواضح أن الاختلاف في هذه الأمور يتردد صداه في أداة التعبير.

٤- العوامل الجغرافية، وتتمثل فيما بين سكان المناطق المختلفة من فروق في الجو وطبيعة البلاد وبيئتها وشكلها وموقعها وما إلى ذلك، وفيما يفصل كل منطقة عن غيرها من جبال وأنهار وبحار وبحيرات، فاختلاف المناطق في ذلك يؤدي عاجلاً أو آجلاً إلى فروق وفواصل في اللغات(١).

ويشير المرحوم مصطفى صادق الرافعي في كتابه (تاريخ آداب العرب) إلى أهمية طبيعة الإقليم وأثره في النطق الإنساني فيقول: «وعلى هذا تجد منطق الإنجليزي لعهدنا كأنه نفخ آلة تدار بالفحم الحجري، وتكاد تحسب منطق الفرنسوي غناء موسيقيّا، وهكذا مما لو تدبرت حقيقة الاختلاف فيه لرأيتها دلالة طبيعية على اختلاف الأقاليم، كأن الطبيعة تسم الألسنة كما تسم الوجوه،

---

(١) د. وافي: علم اللغة (دار نهضة مصر للطبع والنشر ط٧): ص ١٦٩ ومابعدها.

وكأنها مصنع إنسانى فلا يخرج منه كل إنسان إلا برَقْمِه وسمته[١].

٥- العوامل الشعبية، وتتمثل فيما بين سكان المناطق المختلفة من فروق الأجناس والفصائل الإنسانية التى ينتمون إليها والأصول التى انحدروا منها، فمن الواضح أن لهذه الفروق آثارا بليغة فى تفرع اللغة الواحدة إلى لهجات ولغات.

٦- اختلاف أعضاء النطق باختلاف الشعوب، فمن المقرر أن هذه الأعضاء تختلف فى بنيتها واستعدادها ومنهج تطورها تبعاً لاختلاف الشعوب والتى تنتقل بطريق الوراثة من السلف إلي الخلف.

٧- التطور الطبعى المطرد لأعضاء النطق، فمن المقرر أن أعضاء النطق فى الإنسان في تطور طبعى مطرد فى بنيتها واستعدادها ومنهج أدائها لوظائفها فحناجرنا وحبالنا الصوتية وألسنتنا وحلوقنا وسائر أعضاء نطقنا تختلف عما كانت عليه عند آبائنا الأولين، إن لم تكن فى بنيتها الطبعية فعلى الأقل في استعدادتها، بل إنها لتختلف فى ذلك عما كانت عليه عند آبائنا الأولين.

وغنى عن البيان أن كل تطور يحدث فى أعضاء النطق أو استعداداتها يتبعه تطور فى أصوات الكلمات، فتنحرف هذه الأصوات عن الصورة التى كانت عليها إلي صورة أخرى أكثر منها ملاءمة مع الحالة التى انتهت إليها أعضاء النطق.

---

(١) الرافعى : تاريخ آداب العرب (مطبعة الأخبار بمصر ١٩١٢): ١/٢٦٥.

ومن آثارهذا ما حدث للعربية في أصوات الجيم والثاء والذال والظاء والقاف، فقد أصبحت هذه الأصوات ثقيلة على اللسان في كثير من البلاد العربية، وأصبح نطقها على الوجه الصحيح يتطلب تلقيناً خاصًا وجهدا إراديا وقيادة مقصودة لحركات المخارج، ولعدم ملاءمتها للحالة التى انتهت إليها أعضاء النطق فى هذه البلاد أخذت تتحول منذ أمد بعيد إلي أصوات أخرى قريبة منها، فصوت الجيم الذى كان ينطق به «معطشا» بعض «التعطيش» في العربية الفصحى قد تحول فى معظم المناطق المصرية إلى جيم غير «معطشة» وفي معظم المناطق السورية والمغربية إلى جيم «معطشة» كل «التعطيش». والثاء قد تحولت إلى تاء فى معظم المناطق المصرية وفى بلاد أخرى مثل : ثعلب وثعبان وثلاثة وثمانية التى تنطق تعلب وتعبان وتلاته وتمانيه. والذال قد تحولت فى كثير من المناطق العربية إلى دال في معظم الكلمات، مثل ذراع، ذهب ذبح، فيقال : دراع دهب دبح، وإلى زاى في بعض الكلمات مثل ذنب، ذهن، فيقال: زنب، زهن. والظاء قد تحولت إلى ضاد فى مظعم الكلمات، مثل: ظل، ظهر، فيقال: ضل، ضهر، وإلى زاى مفخمة فى بعض الكلمات مثل: ظالم، وظريف، وأظن. والقاف قد تحولت إلى همزة فى بعض اللهجات المصرية والسورية وغيرها فيقال : نطأ، آل، عأد، بدلاً من نطق، قال، عقد، وإلى جيم غير «معطشة» فى معظم اللهجات العامية فى مصر وغيرها من البلاد العربية، فيقال فى الكلمات السابقة: نطج، جال عجد. ولا يزال صوت القاف محتفظاً بنطقه الصحيح فى كثير من الكلمات فى عامية العراق وتونس وبعض بلاد سوريا وعامية رشيد.

كما أن صوت الثاء والظاء والذال لم يزل ينطق نطقاً صحيحاً في عامية الحجاز ونجد والعراق والمغرب.

٨- الأخطاء السمعية وسقوط الأصوات الضعيفة، فقد يحيط بالصوت بعض مؤثرات تعمل على ضعفه بالتدريج كوقوعه فى آخر الكلمة وزيادتة عن بنيتها، وعدم توقف المعنى المقصود عليه، فيتضاءل جرسه شيئاً فشيئا حتى يصل في عصر ما إلى درجة لا يكاد يتبينه فيها السمع، فحينئذ يكون عرضة للسقوط، وذلك أن معظم الصغار فى هذا العصر لا يكادون يتبينونه فى نطق الكبار، فينطقون بالكلمات مجردة منه.

٩- موقع الصوت فى الكلمة يعرضه لكثير من صنوف التطور والانحراف، وأكثر ما يكون ذلك فى الأصوات الواقعة في أواخر الكلمات، سواء أكانت هذه الأصوات أصوات مد أو أصواتاً ساكنة.

وكان لهذا العامل والذى قبله مع غيرهما أثر كبير فى سقوط علامات الإعراب بالحركات من جميع اللهجات العربية العامية اليوم المتشعبة من الفصحى.

١٠- تناوب الأصوات المتحدة النوع القريبة المخرج، وحلول بعضها محل بعض، فمن ملاحظة ظواهر التطور في مختلف اللغات الإنسانية تبين أن الأصوات المتحدة النوع، القريبة المخرج، تميل بطبعها إلى التناوب وحلول بعضها محل بعض، فكل صوت لين عرضة بطبعه لأن ينحرف إلى صوت لين آخر، وكل صوت ساكن عرضة بطبعه لأن ينحرف إلي صوت ساكن متحد معه فى مخرجه أو قريب منه.

وقد كان لهذا القانون آثار ذات بال فى انشعاب اللهجات العامية عن العربية وفي تطورها من ناحية الأصوات وقواعد الصرف ووزن الكلمات.

١١- تغير مدلول الكلمة في انتقالها من السلف إلي الخلف فكثيراً ما ينجم عن هذا الانتقال تطور فى معانى المفردات، ويساعد على ذلك كثرة استخدام بعض المفردات فى غير ما وضعت له عن طريق المجاز، فقد يكثر استخدام الكلمة في جيل ما فى بعض ما تدل عليه، أو فى معنى مجازى تربطه بمعناها الأصلي بعض العلاقات، فيعلق المعنى الخاص أو المجازى وحده بأذهان الصغار ويتحول بذلك مدلولها إلى هذا المعني الجديد[1].

تلك هى أهم الأسباب فى نشأة اللهجات فى أى لغة من اللغات وقد توجد كلها فى لغة ما أو بعضها على الأقل.

ولغتنا العربية ليست بدعاً من اللغات فهى كسائر اللغات تخضع للنواميس اللغوية العامة التى تخضع لها تلك اللغات فى حياتها وتطورها.

وإذا تأملنا الأسباب السابقة نجد أنها من أهم عوامل إيجاد اللهجات العربية القديمة والحديثة.

(١) د. وافى : فقة اللغة (دار نهضة مصر ط٨): ص ١٣٤ ومابعدها.

عوامل التوحيد اللغوى وتكوين اللغة المشتركة

كما أن هناك عوامل تؤدى إلى انقسام اللغة الواحدة إلى لهجات كما سبق، فإن ثمة عوامل تؤدى إلى الوحدة اللغوية وتكوين اللغة المشتركة، تلك اللغة التى لايمكن نسبتها لبيئة بعينها أو إقليم بعينه، وإنما تتخلص من الخصائص اللغوية المحلية وتتميز بخصائص لغوية عامة غير مرتبطة بإقليم من الأقاليم أو بيئة من البيئات، وبهذه اللغة المشتركة يستطيع أبناء الأقاليم المختلفة أن يتفاهموا بها دون عسر أو مشقة .

وقد دلت الملاحظة على أنه حين تقوى الصلة بين أفراد الجماعة اللغوية وتسهل بينهم وسائل الاتصال والارتباط مادية كانت أو ثقافية تتكون لهم مع الزمن لغة مشتركة تقرب بينهم وتعينهم علي تفاهم أسرع وأيسر وتقضى لهم مصالحهم الدنيوية، ثم قد تصبح بعد ذلك وسيلة للمتعة حين تتخذ للتعبير عن أحاسيسهم وعواطفهم في كل نتاج أدبى جميل .

ويجمع اللغويون المحدثون على أن أهم معالم كل لغة مشتركة يمكن أن تلخص فى الصفتين التاليتين :

أولاهما : أنها مستوى لغوى أرقى من لهجات الخطاب في غالب الأحوال أى أنها ثابتة الأركان والدعائم قداستقر أمرها على قواعد ونظم لاتسمح لها بالتغير أو التطور إلا فى القليل من الأحيان وبعد أجيال من الاستعمال . وهى لذلك يتخذها الناس مقياساً لحسن القول وإجادة الكلام .

الصفة الثانية : هى التى عبر عنها «هنرى سويت» بقوله : هى اللغة التى لايستطيع السامع أن يحكم علي المنطقة المحلية التي ينتمى إليها المتكلم بها. أى أن اللغة المشتركة وإن تأسست في بدء نشأتها على لهجة منطقة معينة فقد فقدت مع الزمن أو نسى الناس فى أثناء استعمالها كل المنابع التي استمدت منها عناصرها، وأصبح لها كيان مستقل، فلا تذكرنا فى أثناء التكلم بها أو سماعها بمنطقة خاصة أو بطبقة خاصة، بل يشعر كل من السامع والمتكلم أنها ملك الجميع، لايدعيها لأنفسهم قوم بأعينهم، ولاتنسب إلى بيئة معينة، وهى لذلك تكتسب الاحترام من الناس جميعاً فلا يسخر منها أحد ولاينقدها أحد، بل يلجأ إليها الجميع ليتخذوا منها العصا السحرية التى تقضى لهم مصالحهم التى تؤثر فى السامعين تأثيراً قوياً[١].

ومن العوامل التى تساعد علي الوحدة اللغوية وتكوين اللغة المشتركة مايلى :

ا - الدين

الدين عامل مهم من العوامل التى تساعد علي الوحدة اللغوية وإيجاد اللغة المشتركة بما يتمثل فيه من اجتماعات دينية يدعو إليها كالاجتماع فى الحج وصلاة الجماعة والعيدين فى المساجد والندوات الدينية وغير ذلك .

وقد كان للحج قبل الإسلام أثر كبير فى التقارب بين اللهجات العربية حين كانت تفد القبائل إلى مكة لأداء شعائره، بل كان عاملاً من عوامل سيادة لهجة قريش بعد أن اصطفت من تلك اللهجات مااصطفت،

---

(١) د. أنيس: مستقبل اللغة العربية المشتركة (مطبعة الرسالة) ص: ٢، ٥، ٦ .

وتخيرت منها ماتخيرت ، ففى هذه الاجتماعات الدينية يتخلى المجتمعون عن الظواهر اللغوية الخاصة بلهجاتهم، ويستخدمون لغة مشتركة يسهل التفاهم بها فى أمورهم ويفهمها المجتمعون .

٢ - الأدب

للأدب أثر بارز في نشر اللغة المشتركة سواء أكان شعراً أم نثراً، لأن الشعراء والأدباء يهدفون إلى نشر إنتاجهم وماتجود به قرائحهم بلغة يفهمها من يقرأ أو يسمع مايقولون أو يكتبون كى يتحقق لهم مايرجون من علو منزلة وسمو مكانة، ولن يتحقق هدفهم إلا إذا كان بلغة عامة خالية من الخصائص المحلية للهجات .

ولايغيب عنا أثر الأدب فى نشر اللغة المشتركة في العصر الجاهلى حين كان يعرض ماتجود به من قرائح الشعراء فى أسواق الجاهلية، كسوق عكاظ الذى سبقت الإشارة إليه، وسوق مجنة وغيرهما من أسواق العرب ، فقد كان حرص الشعراء علي أن يذيع صيتهم وينتشر شعرهم ، ويعلو ذكرهم، دافعاً إلى صياغة هذا الشعر بلغة يفهمها المجتمعون، لذا كان الأدب من العوامل المهمة فى نشر اللغة المشتركة، ولذا كان ماانتهى إلينا من شعر ونثر مما قالته العرب جاء بلغة موحدة اللهم إلا فى القليل النادر حيث حافظ بعض الشعراء على لهجة إقليمهم، فجاء شعر يمثل لهجة بعض الأقاليم، وهو من أهم المصادر التى يعتمد عليها الباحث اللغوى فى دراسة اللهجات العربية القديمة.

٣ - الخدمة العسكرية والحرب

لاجتماع الجنود في الجيش من شتى البقاع ومختلف الأصقاع دور مهم فى إيجاد اللغة المشتركة، فالاختلاط بينهم يدفعهم إلي التخلى عن

أغلب الخصائص المحلية للهجاتهم فى حديثهم لاسيما تلك التى قد تدعو إلى السخرية منهم أو الاستهزاء بهم، واللجوء إلى لغة مشتركة يتفاهمون، بها وهؤلاء الجنود يعملون تحت قيادة واحدة ولكى ينفذوا مايصدر إليهم من أوامر من هذه القيادة دون تقصير أو إبطاء فلا مناص من إصدار الأوامر إليهم بلغة يفهمها الجميع .

والحرب بما تجره من دمار وهلاك تدفع القيادة المسئولة عن إدارة العمليات العسكرية إلى نقل سكان بعض المدن والمناطق التى تقع فى ميدان القتال ومسرح العمليات العسكرية إلى مناطق أخرى أكثر أمناً حفاظاً على حياتهم ودرءاً للخطر عنهم، كما حدث إبان حرب الاستنزاف بين مصر وإسرائيل قبل حرب العاشر من رمضان المجيدة، إذ تم نقل سكان مناطق قناة السويس إلى داخل مدن وقرى وطننا العزيز، وتم اختلاط هؤلاء السكان بغيرهم من أبناء الوطن .

وهذا الاختلاط يساعد على وجودلغة مشتركة يتم التفاهم بها ، وإلى التخلى عن الخصائص المحلية للهجات المختلفة .

٤ - الإذاعة والتليفزيون

الإذاعة والتليفزيون من وسائل الإعلام الخطيرة التى تساعد على الوحدة اللغوية وإيجاد اللغة المشتركة، فما يذاع فيهما باللغة الأدبية له أثر كبير فى هذا المجال لاسيما إذا حاول المستمعون تقليد المذيع أو المتكلم فيهما ، وبخاصة إذا كان المتكلم من ذوى المكانه المرموقة، فكلمة «بدء» بفتح الباء وسكون الدال كان ينطقها الرئيس الراحل جمال عبد الناصر - رحمه الله - بكسر الباء في خطبه، وقد شاع هذ النطق على ألسنة كثير من المتعلمين ، مما يدل على تأثير الإذاعة والتليفزيون فى نطق المستمعين.

وحسبك أن ترى تقليد كثير من الشباب والأطفال لما يذاع فيهما من أشياء تحظى بإعجابهما .

٥ - الصحافة

اصطلح على تسمية الصحافة بصاحبة الجلالة لما لها من تأثير خطير على الرأى العام، وللصحف والمجلات الدورية دور مهم فى الوحدة اللغوية وتكون اللغة المشتركة، لأن مايكتب فيها من أخبار وآراء يكتب بلغة يفهمها الجميع .

٦ - إقامة المعارض والأسواق

لاشك أن الاختلاط فى الأسواق والمعارض له دور فى الوحدة اللغوية، وكذا الاختلاط الذى يتم فى اللقاءات السياسية والاجتماعية وإقامة المباريات الرياضية، إذ هذا الاختلاط يتطلب وجود لغة مشتركة يتفاهم بها المجتمعون فى تلك الأسواق وتلك المعارض وغيرهما، وهذا يؤدى إلى القضاء على الخصائص المحلية للهجات، ويساعد على الاتجاه نحو اللغة المشتركة التى تحقق الهدف من الاجتماع .

٧ - الزواج المختلط

الزواج المختلط يساعد على تقريب اللهجات والاتجاه نحو اللغة المشتركة، إذ يتم التفاهم بين الأب والأم بلغة مشتركة يتخلى فيها كل منهما عن الخصائص الخاصة بلهجته، وينشأ الأطفال حافظين لهذه اللغة المشتركة بعد سماعهم لها من الآباء والأمهات .

٨ - المدن الكبرى

المدن الكبرى يرتادها كثير من الناس للإقامة بها أو لقضاء حوائجهم، وفى هذه المدن يتجه الجميع إلى لغة مشتركة يتم التفاهم بها بعد التخلص من الخصائص المحلية للبيئات المختلفة التى ينتمون إليها ،وبخاصة إذا كانت تلك اللهجات تجلب لصاحبها حرجا أو تجعله موضع تهكم أو استهزاء أو تخلع عليه وصف التخلف أو التأخر.

٨ - الوحدة السياسية

فى الوحدة السياسية يتم الخضوع لحكومة مركزية تشرف على الأقاليم المختلفة التى ضمتها تلك الوحدة، ولن يتم التفاهم بين سكان هذه الأقاليم وتلك الحكومة.

التفاهم بين سكان هذه الأقاليم وتلك الحكومة إلا إذا كانت هناك لغة مشتركة يمكن التفاهم بها حتى يتم قضاء الحاجات وتنفيذ السياسات المختلفة للدولة وهذا يساعد على التخلى عن الصفات المحلية للهجات الأقاليم المختلفة[١].

١٠ - الجامعات والمدارس

إن انتشار التعليم وانتشار المدارس والجامعات من العوامل المهمة التى تساعد على تكون اللغة المشتركة، إذ فى هذه المدارس والجامعات يتم الاختلاط بين الطلاب وجلهم من بيئات مختلفة، والتفاهم بينهم لن يتم إلا بلغة مشتركة يفهمها الجميع والتخلى عن الصفات المحلية للهجات، خصوصاً تلك التى تدعو إلى السخرية والاستهزاء،

---

(١) ينظر: اللهجات العربية : د. نجا ص٢٣ ومابعدها واللهجات العربية: د. إبراهيم أبو سكين ص٣٩ ومابعدها ومعالم اللهجات العربية : د. عبد الحميد أبو سكين : ص٤١ ومابعدها .

أضف إلي هذا حاجة أولئك الطلاب إلى لغة مفهومة لديهم يتلقون بها دروسهم في فنون العلم المختلفة وحاجتهم إلى قضاء حوائجهم لدى إدارة المدرسة أو الجامعة مما يتعلق بشئونهم ومايتطلبه هذا من وجود تلك اللغة المشتركة التى يمكن التفاهم بها عند قضاء تلك الحوائج .

١١ -العمل فى دواوين الحكومة والمصانع

اجتماع العاملين فى أماكن عملهم وانتماؤهم إلى بيئات مختلفة من عوامل تكوين اللغة المشتركة والتخلى عن السمات المحلية للهجات، لأن هؤلاء العاملين محتاجون إلى لغة يتم التفاهم بها فيما بينهم حتى يمكن أداء مايكلفون به من أعمال، وقد أصبحت المصانع الآن تضم آلافاً من العمال ينتمون إلي بيئات مختلفة، ولاشك أن هذا الاجتماع الكبير يؤدى إلى التخلص من الصفات المحلية للهجات ويتطلب وجود لغة مشتركة مفهومة عند الجميع .

هذه هى العوامل التى تؤدى إلى التوحيد اللغوى وتكوين اللغة المشتركة وهى قائمة على قوة الاتصال والاختلاط بين البشر ولكن ينبغى كما يقول أستاذنا الدكتور إبراهيم نجا -رحمه الله - «أن نضع نصب أعيننا أن أسباب التوحيد مهما تقوت وتأصلت أمورها فلا يمكن الادعاء بأن التوحيد التام بين لهجات اللغة الواحدة بالأمر الهين الذى يمكن تحققه بيسر وسهولة، لأن علماء الاجتماع يقررون كما هو مأخوذ من الواقع أن الظروف الاجتماعية مهما زالت الفروق الطبقية ، ومهما كثرت عوامل الاختلاط لايمكن أن تؤدي إلى التوحد التام بين اللهجات المختلفة، فضلاً عن ذلك فإنه من المعروف أن كل بيئة تحتفظ ببعض الألوان اللغوية في لهجاتها مهما كان الاندماج تاماً، وهذا أمر يتيسر تحققه بين كل الطبقات لافرق بين طبقة وطبقة فى الثقافة، أو طبقة عليا

وصلت إلى أوج الرقى الثقافى، لأننا لو عرضنا لبعض المثقفين وتحدثنا إليهم بعيداً عن جو ثقافتهم لوجدنا منهم تمسكاً ببعض خواص لهجاتهم المحلية وسيراً فى نطاقها على النمط الذى تعودوه منذ نعومة أظفارهم، فقد يدعوهم إلى التمسك بتلك اللهجات التعصب للإقليم الذى ينتسبون إليه، أو الفخر المبنى على التعصب بناحية خاصة، أو السير وفق تلك اللهجات حتى لايرمى من يحيد عنها بالتنكر لأصله وبيئته، ويظهر ذلك بصورة جلية فى الأقاليم المتخلفة عن الرقى الفكرى والحضارى والتي برز فيها أفراد قليلون وسموا إلى مكانة مرموقة، فإنهم يخشون اتهام ذويهم لهم بالتنكر لموطنهم الأصلى فيضطرون عند اللقاء بأهليهم فى موطنهم الأصلى أو فى أى مكان أن يحافظوا في نطقهم على ماتعودوه فى وطنهم الأول فرارامن توجيه لائمة التنكر لوطنهم وذويهم، وهذا أمر بيّن ملموس لايحتاج إلى أمثلة واقعية توضح شأنه"(١).

---

(١) اللهجات العربية . د. نجا ص٣٣، ٣٤ .

وحدة النطق في العالم العربى

كانت اللغة العربية الفصحى قبل الإسلام تعيش في شبه الجزيرة العربية تجرى على ألسنة العرب سليقة يتفاهمون بها دون حاجة إلى تعلمها ، على الرغم من وجود بعض الفروق اللهجية التى أوجدتها طبيعة المناطق التى عاشت فيها القبائل العربية، إذ لم تكن تلك الفروق من القوة بحيث تعوق تفاهم تلك القبائل أو تمنعه، وإنما كانت فروقاً يسيرة محدودة، وحين جاء الإسلام الحنيف بتعاليمه الغراء للناس كافة ليخرجهم من الظلمات إلى النور غمر هذا النور شبه الجزيرة العربية، وبدأ يخرج إلى الأمم والبلاد المجاورة حتى اتسعت رقعة الدولة الإسلامية، وقد حمل تعاليم الإسلام إلى تلك البلاد العرب المسلمون الذين كان عليهم أن يبلغوا تلك التعاليم السمحة إلى أهل البلاد التى فتحوها ، وكان أهل تلك البلاد يتكلمون لغة تخالف لغتهم، ومن هنا نشأ صراع بين اللغة العربية الغازية ولغات الأمم الأخرى المغزوة، وكان ذلك الصراع يضعف أو يشتد وفق حالة الأمم قوة أو ضعفاً إلى أن استقرت الأمور فى البلاد التى فتحها العرب وسادت اللغة العربية وتراجعت تلك اللغات التى كان يتكلم بها سكان تلك البلاد المجاورة، ومهما كانت قوة اللغة الغازية فإنها على الرغم من قهرها للغات المغزوة فإن هذه اللغات تترك فيها آثاراً منها، وهذا ماحدث للعربية، وقد وفدت اللغة العربية إلى البلاد التى تم فتحها فى صورتين :

الأولى: تلك اللغة الأدبية النموذجية لغة القرآن الكريم والآثار الأدبية من شعر ونثر التى نمت وازدهرت فى بيئة قريش فى مكة وماجاورها بعد أن ضمت إليها ماجاء من الألفاظ والأساليب من لهجات القبائل الأخرى .

الثانية : اللغة التى اشتملت على خصائص لهجات القبائل المختلفة كتميم وقيس وربيعة وبهراء وطئ وغيرها من القبائل العربية إبان الفتح الإسلامى .

وقد ظلت اللغة النموذجية الأدبية على توحدها فى البيئات والمناطق الجديدة زمناً طويلاً لم يصبهاإلا نزر يسير من التغيير حين استقلت هذه البيئات وتلك المناطق بعضها عن بعض، وظلت عبر العصور المختلفة مفهومة لدى الجميع وتسجل بها النماذج الأدبية الرفيعة من شعر أو نثر لأنها لغة القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، بل ظلت تلك اللغة فى العصور المتأخرة التي ضعف فيها شأن العرب وسيلة للتفاهم بين الأقطار العربية، فالعراقى يقرأ مؤلفات المصرى، والمصرى يقرأ مؤلفات العراقى، والسورى يفهم مايكتب المصرى أو العراقى، وهما يفهمان مايكتب السورى,وكذا مايكتبه المغربى أو اليمنى أو السعودى أو السودانى وغيرهم، كل يفهم مايكتبه الآخر، لأن ثقافتهم واحدة ودينهم واحد على الرغم من التمزق الذى أصاب الوطن العربى فى عصور الانحلال والضعف .

أما لغة الكلام العادى وأحاديث الناس فى شئونهم العامة والخاصة فقد اتخذت صوراً مختلفة فى البيئات المختلفة، فالأشخاص فى كل بيئة فى الأسواق والمتاجر والمنازل والحقول والمصانع يتخذون لهجات مختلفة باختلاف البيئات والظروف الاجتماعية، وهى ماتعرف باللهجات العامية أو اللهجات الدارجة التى ترجع في كثير من مظاهرها إلى لهجات القبائل العربية التى شاركت فى الفتوح الإسلامية والتى خرجت حاملة لواء الإسلام إلى البلاد المجاورة والتى استقر بها المقام فى المناطق

الجديدة، حيث حلت هذه اللهجات محل لغات تلك المناطق بعد صراع طويل معها خرجت منه قوية فى المناطق القريبة من شبه الجزيرة العربية ومشوهة ممسوخة فى المناطق البعيدة عنها .

ومن ثم تعددت لهجات الكلام فى الأقطار العربية نتيجة لنزول القبائل العربية المختلفة بها وصراع لهجاتها مع لهجات الكلام فى هذه المناطق، وماخلفه هذا الصراع من نتائج ، وماحل بها من تطور فى أفواه المتكلمين فى البيئات المختلفة عبر مر العصور، وقد ظلت هذه اللهجات فى صورتها الجديدة تنمو وتتطور دون قيد أو ضابط متخذة طرقاً عدة مما أدى إلى هذه الفروق اللغوية بين لهجات الكلام فى عالمنا العربى .

ولذا ينبغى أن نحرص على حصر هذه الفروق اللهجية بين أبناء الوطن العربى ووضع العلاج لها حتى يمكن الوصول إلى الوحدة اللغوية(١).

عناصر اختلاف النطق فى البلاد العربية ووسائل توحيده

تكاد تنحصر عناصر اختلاف النطق بين شعوب البلاد العربية فى زمننا فيما يلى :

---

(١) ينظر اللهجات العربية د. نجا ص٣٥ ومابعدها ، وفى اللهجات العربية د. أنيس ص٢٥ ومابعدها ، واللهجات العربية. د/ إبراهيم أبو سكين ص٣٩ ومابعدها ، ومعالم اللهجات العربية د. عبد الحميد أبو سكين ص٤٦ ومابعدها.

١ - الاختلاف في نطق بعض الأصوات الساكنة

على الرغم من أن القدماء من علماء العربية كالخليل[١] وسيبويه،[٢] وابن جنى، وغيرهم قد وصفوا لنا الأصوات الساكنة وصفا دقيقا من حيث المخرج والصفة وعلى الرغم من توفر القراءات القرآنية عن طريق التلقى والمشافهة جيلاً بعد جيل فقد تطورت بعض الأصوات الساكنة من حيث المخرج والصفة واختلف هذا التطور بين بيئة وأخرى من البيئات العربية.

فالقاف التى وصفها القدماء بأنها صوت مجهور نسمعها الآن من أفواه المجيدين للقراءات صوتاً مهموساً، وانتقل مخرج القاف فى اللغة الدارجة إلى مخرج الهمزة فى القاهرة وبعض المدن والقرى المصرية، وحول إلى جيم فى بعض المناطق الأخرى، كما انتقلت القاف إلى مخرج الغين عند بعض أهل السودان وبعض القبائل العربية فى جنوب العراق، والكاف التى هى فى النطق الصحيح صوت شديد نسمعها فى بعض اللهجات الحديثة صوتاً أميل إلى الرخاوة (تش) كما هو الحال فى بعض لهجات فلسطين وسوريا ، وبعض البلاد المصرية كما فى الزنكلون فى محافظة الشرقية، وقد سمعتها من أحد أبناء الزنكلون وبعض أبناء دول الخليج.

---

(١) هو أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمر الفرهودى وقيل الفراهيدى - الأزدى إمام النحو واللغة والعروض وأستاذ سيبويه. من مصنفاته: كتاب العين، توفى سنة ١٧٠هـ وقيل غير ذلك في وفاته. (الفهرست: ص٦٣ وبغية الوعاة : ١/٥٥٧) .

(٢) هو أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، إمام النحاة وصاحب أقدم مصنف جمع مسائل النحو المشهور بالكتاب توفي بشيراز سنة ١٦١هـ وقيل غير ذلك فى وفاته . (الفهرست : ص٧٦ وبغية الوعاة : ٢/٢٢٩) .

والضاد التى حدد علماء اللغة القدامى مخرجها بأنه من بين أول حافة اللسان ومايليها من الأضراس لانكاد نجد لها ذكراً فى الأفواه إلا في ألسنة بعض العراقيين وبعض البلاد العربية وتنطق نطقاً يشبه إلى حدٍّ ماالظاء .

والظاء ينطق بها فى معظم اللهجات الحديثة صوتاً مهموساً وقد وصفها القدماء بأنها مجهورة وتنطق مجهورة فى بعض مناطق اليمن نطقاً يشبه نطق الضاد عندنا فيقولون فى «مطر» : «مضر» وقد حكى لنا أستاذنا الدكتور عبد الغفار هلال أنه سمعها من بعض اليمنيين كذلك .

والجيم اختلف نطقها في اللهجات الحديثة اختلافاً بيّنا، فطوراً تنطق نطقاً أميل إلى الرخاوة كما هو النطق الفصيح المروى في كتب القدماء، وطوراً تنطق كثيرة الرخاوة كتلك الجيم التى كثر تعطيشها كما في نطق المغاربة وبعض السوريين ، وطوراً تنطق شديدة كما فى لهجة القاهرة وبعض المدن والقرى المصرية بعد أن انتقل مخرجها من وسط اللسان مع مايحاذيه من الحنك الأعلى كما وصفه القدماء إلي مخرج القاف والكاف وهو أقصى اللسان مع مايحاذيه من الحنك الأعلى .

وأصوات الذال والثاء والظاء وينطقها كثير من المتعلمين متّازايا وسيناً وزاياً مفخمة على الترتيب، فيقولون فى ذنب؛زنب، ويقولون فى حديث: حديس، وفى ظريف : زريف،بتفخيم الزاى، كما أن الذال فى اللغة الدارجة تنطق دالاً، فيقال فى كذب : كدب، والثاء تنطق تاء، فيقال فى ثعلب، تعلب وتنطق الظاء ضاداً فى بعض الكلمات وليست تلك الضاد التى كان ينطق بها القدماء، وإنما الضاد التى ننطق بها الآن، فيقال فى الظهر : الضهر. وقد سبقت الإشارة إلى ذلك .

٢ - الاختلاف فى نطق أصوات اللين

أصوات اللين هى تلك التى سماها القدماء بالحركات حين تكون قصيرة، وسموها حين تكون طويلة بحروف المد، «فالقصيرة الفتحة والكسرة والضمة، والطويلة الألف والياء والواو، وفى الاصطلاح العلمى الحديث يجمع بين هذه وتلك فتسمى جميعاً أصوات اللين، لأن الفرق بين الفتحة وألف المد ليس إلا فرقاً فى الكمية وكذا الحال بين الكسرة وياء المد وبين الضمة وواو المد، وينظر إليها المحدثون من علماء الأصوات نظرة واحدة، لأنها جميعاً تكون مجموعة من الأصوات اللغوية وثيقة الاتصال بعضها ببعض .

وقد أهمل أمر أصوات اللين العربية فتركت وشأنها تتخذ في الأفواه أشكالاً كثيرة حتى كان مانشاهده من فروق خطيرة بين البلاد العربية الشقيقة. وكأن القدماء قد ظنوا لخلو الرسم العربى من هذه الأصوات القصيرة فى غالب الأحيان أنها ليست عنصراً من عناصر اللغة فأهملوا أمرها على الرغم من أنها لكثرة شيوعها فى الكلام والنطق أوضح وأبرز فى تكوين الفروق بين اللهجات .

فثمة فرق واضح بين من ينطق بالجامعة والشهادة الثانوية وفاطمة بصوت اللين الطويل وهو الألف ومن ينطق بها بصوت لين قصير هو الفتحة كما فى نطق العامة فى اللغة الدارجة .

وثمة فرق بين من ينطق بعيسى وموسى بالفتح ومن ينطق بهما بالإمالة، لذا ينبغى أن نولى أصوات اللين الطويلة والقصيرة عناية شديدة وأن نضع لها مقاييس خاصة نتدرب عليها ونتعودها ولانحيد عنها مهما صادفنا فى سبيل ذلك من عنت ومشقة .

٣ - الاختلاف فى موضع النبر من الكلمة

هذا هو المظهر الصوتى الثالث الذى يفرق بين لهجات المتكلمين فى الوطن العربى بل يفرق أيضاً بين لهجات الكلام فى الإقليم الواحد، فلو استمعت إلى قاهرى أو أحد أبناء الوجه البحرى يقرأ قول الحق تبارك وتعالى: «وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ»(١) لرأيته يضغط فى «هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ» على مقطع معين يخالف مايصنعه أحد أبناء الوجه القبلى عند نطقه لهذه الآية الكريمة .

وهذا مثل واضح يبيّن المقصود من اختلاف موضع النبر بين أبناء الدول العربية الشقيقة .

وسائل توحيد النطق

بعد أن وقفنا على الفروق الصوتية التى تجعل نطقنا مختلفاً ومتبايناً نذكر هنا الوسائل التى يمكن بها التغلب على تلك الفروق حتى نصل إلى ماننشده من وحدة فى النطق وقضاء على مظاهر الاختلاف فيه، وإن كان ذلك ليس أمراً سهلاً أو ميسوراً، بل يتطلب جهداً فائقاً وعناية بالغة كى يتحقق، وأهم هذه الوسائل :

١ - المدرس الكفء الخاص الذى يصلح للتدريس فى بيئة معينة من البيئات العربية وإعداده إعداداً خاصاً يؤهله للقيام بهذا الدور بأن يدرس دراسة علمية صحيحة العادات الصوتية لتلك البيئة، تلك العادات التى كونتها لهجات الكلام فيها، وأصبح الناس هناك يتميزون بها عن غيرهم ويكون على علم تام بخصائص النطـــق

---

(١) سورة الهمزة/ ١ .

النموذجى الذى نهدف إليه، والذى نرجوا أن ينتظم كل البيئات العربية، ليحاول التوفيق بين صفات صوتية مصدرها لهجات الكلام، وتلك الصفات الصوتية التى سيتم الاتفاق عليها فى النطق النموذجى للغة الفصحى، ولابد أن يكون متمتعاً بأذن موسيقية مرهفة وقدرة على تقليد الأصوات، فهذا المدرس وأمثاله عند إرسالهم إلى البيئات العربية المختلفة سيكونون رسل التوحيد اللغوى فى تلك البيئات، لأنهم سيتخيرون للنشء فى هذه البيئات النماذج الأدبية التى يدرب عليها تلاميذهم تدريباً سمعياً دون حاجة إلى اصطلاح فنى أو شرح علمى، والنشء أقدر على التقليد والمحاكاة .

٢ - المذيع الذى يجيد النطق النموذجى الذى يتم المواضعة عليه والملم بقواعد اللغة دوره كبير فى سبيل توحيد النطق بين أبناء الوطن العربى، لأنه يستمع إليه المتعلم وغير المتعلم الكبير والصغير فيحاول تقليده فى النطق الصحيح، ولذا كان دور المذيع أكثر نفعاً من دور المدرس فى نشر النطق النموذجى الصحيح، لأن دور المدرس مقصور على المدرسة فقط، ومن هنا يجب تنشئة هذا المذيع تنشئة خاصة يراعى فيها تدريبه على النطق النموذجى الصحيح لأهمية دوره فى هذا الميدان .

٣ - الممثل الذى يجيد النطق النموذجى الصحيح والملم بقواعد اللغة يمكن أن يقلد فى نطقه فيكون وسيلة من وسائل توحيد النطق ،

خصوصاً وأن كثيراً من الناس فى عصرنا مولعون بمشاهدة الروايات فى التليفزيون والسينما والمسرح وسماع مايذاع منها فى الإذاعة[١] .

ولايظن ظان أن تحقيق هذا الأمر سهل ميسور، وإنما يحتاج إلى جهد شاق وزمن طويل، بل قد يتعذر تحقيقه على الرغم من اتخاذ الوسائل السابقة وبذل الجهد الشاق .

(١) فى اللهجات العربية ص٢٩ ومابعدها ، واللهجات العربية د. نجا ص ٣٨، ومابعدها ، واللهجات العربية د. إبراهيم أبو سكين ص٣٩ ومابعدها ، ومعالم اللهجات العربية ص٠ ٥ ، ومابعدها .

الفصل الرابع

اللغة العربية قبل الإسلام

نشأة اللغة العربية

نشأت اللغة العربية فى أقدم موطن للأمم السامية (الحجاز ونجد وماإليها) وبالرغم من ذلك فإن الآثار التى وصلت إلينا منها تعد من أحدث الآثار السامية، فالذى وصل إلينا من آثار الأكادية أو البابلية - الآشورية يرجع تاريخه إلي القرن العشرين قبل الميلاد، والذى وصل إلينا من آثار العبرية يرجع تاريخه إلي القرن الثانى عشر قبل الميلاد والذى وصل إلينا من آثار الفينيقية يرجع تاريخه إلى القرن العاشر قبل الميلاد، والذى وصل إلينا من آثار الآرامية يرجع إلى القرن التاسع قبل الميلاد، وأقدم ماوصل إلينا من آثار العربية البائدة لايتجاوز القرن الأول قبل الميلاد، وأقدم ماوصل إلينا من آثار العربية الباقية لايكاد يتجاوز القرن الخامس بعد الميلاد، فالزمن بعيد وعميق، ولهذا فإننا لا نعلم شيئاً عن طفولة اللغة العربية وما مرت به من أطوار فى عصورها الأولى.

وفى ضوء ماوصل إلينا من آثارها يمكن القول بأنها تقسم إلى قسمين :

١ - العربية البائدة .

٢ - العربية الباقية .

أولاً: العربية البائدة

وتسمى عربية النقوش، وتطلق على لهجات كانت تتكلم بها عشائر عربية تقيم في شمال الحجاز على مقربة من حدود الآراميين،

ولتطرف هذه اللهجات فى الشمال، وشدة احتكاكها باللغات الآرامية، وبعدها عن المراكز العربية الأصلية فى نجد والحجاز، فقدت كثيراً من مقوماتها وصبغت بالصبغة الآرمية، وقد بادت هذه اللهجات قبل الإسلام، ولم يصل إلينا منها إلا بعض نقوش عثر عليها أخيراً فى مساحة واسعة تمتد من دمشق إلى منطقة العلا، وكثير من هذه النقوش عثر عليها في واحتى الحجر وتيماء .

وتنقسم النقوش التى وصلت إلينا إلى قسمين : قسم شديد التأثر بالآرامية وقسم أقل تأثراً بها وأدنى إلى العربية الباقية .

وقد دون القسم الأول بخط مشتق من الخط المسند ، ودون القسم الثانى بالخط النبطى أو بخط مشتق منه .

ونقوش القسم الأول ضحلة المادة لاتشتمل إلا على بعض أسماء الأعلام وبعض عبارات قصيرة، وتنقسم نقوش هذا القسم إلى ثلاث مجموعات :

١ - النقوش اللحيانية

وتنسب إلى قبائل لحيان، وقد اختلف العلماء فى أصل هذه القبائل اختلافاً كثيراً ولم يصلوا بعد بصددها إلى رأى يقينى، ولم يثبت بعد بصورة قاطعة تاريخ هذه النقوش، ويظهر أن أقدمها لايتجاوز القرن الثانى أو الأول قبل الميلاد ، وأحدثها لايتجاوز القرن السادس بعد الميلاد ، وكثير من هذه النقوش يعرض لتعداد ملوك لحيان وألقابهم وماإلى ذلك .

٢ - النقوش الثمودية

تنسب إلى قبائل ثمود التى مر ذكرها ، وقد عثر على هذه النقوش فى الأماكن التى يعتقد العرب أنها كانت مساكن ثمود ، ويرجع تاريخ معظمها إلى القرنين الثالث والرابع بعد الميلاد .

٣ - النقوش الصفوية

وتنسب إلى المنطقة التى كشفت على مقربة منها ، وهى منطقة الصفا ، فقد عثر عليها فى حرة واقعة بين تلول الصفا وجبل الدروز ، ويرجع تاريخها إلى القرون الثلاثة الأولى بعد الميلاد .

ويرجع قسط كبير من الفضل في حل النقوش الصفوية إلى المستشرق الألمانى - ليتمان - فقد جمع من هذه المنطقة نحو ألف وأربعمائة نقش، ثم عكف على دراستها زمنا طويلاً فكشف حروفها الأبجدية ، وحل معظم رموزها .

وينتظم القسم الثانى من نقوش العربية البائدة ثلاثة نقوش :

١ - *نقش النمارة Nemar*

وقد عثر على هذا النقش فى منطقة النمارة، وهى قصر صغير للروم على مقربة من دمشق جنوب منطقة الصفا السابق ذكرها ، ويرجع تاريخه إلى سنة ٣٢٨ هـ .

٢ - *نقش زبد Zabad*

وقد عثر على هذا النقش فى الأطلال المسماة بزبد ، وهى فى الجنوب الشرقى من مدينة حلب ، ويرجع تاريخه إلى سنة ٥١٢ أو ٥١٣ بعد الميلاد .

٣ - *نقش حوران Hauran*

وقد عثر على هذا النقش بحوران اللجا الواقعة جنوب دمشق فى الجزء الشمالى من جبل الدروز ، وهو منقوش على حجر فوق باب الكنيسة التى تشير عبارته إلى مؤسسها وتاريخ إنشائها ، ويرجع تاريخه إلي سنة ٤٦٨ بعد الميلاد .

واللغة التى دونت بها هذه النقوش تتفق مع العربية الباقية فى كثير من مقوماتها وخصائصها فى الأصوات والقواعد والمفردات فهى تشتمل على معظم الأصوات التى تمتاز بها العربية الباقية عن أخواتها الساميات، أو يكثر ورودها فيها دون غيرها كأصوات الذال والثاء والغين المعجمة والضاد، وتشتمل على ظاهرة الإعراب التى تعد من أهم خصائص العربية الباقية، كما تسير على الطريقة العربية فى صوغ أفعل التفضيل، وحذف علامة الإعراب أو شئ منها فى حالة إضافة الاسم إلي ماعداه، وأظهر وجوه الاتفاق بينهما نجده في أصول المفردات وأسماء الأعلام.

وتختلف العربية البائدة عن العربية الباقية فى شدة تأثرها باللغة الآرامية وفي كثير من مظاهر الصوت والمفردات والدلالة والقواعد، ومن مظاهر اختلافهما فى القواعد أن أداة التعريف فى البائدة حرف الهاء أو (هان) كما هو الشأن فى العبرية، وفى العربية الباقية (أل)[1].

يقول الدكتور إبراهيم أنيس -رحمه الله- ونحن نؤيده فى هذا: «وحين نسلم جدلاً أن لغة هذه النقوش تمثل مرحلة من مراحل اللغة العربية يجب أن نعترف أن نصوصها ضحلة لاتقنع الباحث لتلقى ضوءاً كاشفاً على حال اللغة العربية في تلك العهود ، فهى فى مجموعها لاتكاد تعادل سفراً صغيراً من أسفار العهد القديم، هذا إلى أن كثيراً من كلماتها عبارة عن أعلام لأشخاص، ولاتكاد تجدى مثل هذه الأعلام فى البحث اللغوى، وفوق هذا وذاك تعرض هذه النقوش لأمور متشابهة كتسجيل تاريخ كنيسة أو قبر، مما جعل كثيراً من عباراتها وألفاظها

---

(١) د. وافى : فقه اللغة : ص٦٧ ومابعدها بتصرف.

يتكرر ويجعل نصوصها قليلة القدر لاتكفي في بحث لغوى جدى، ولكنها ربما تفيد بعض الفائدة فى البحث التاريخى»[١].

ثانياً: العربية الباقية

هى التى تنصرف إليها كلمة العربية عند إطلاقها، والتى لاتزالتستخدم عندنا وعند الشعوب العربية الأخرى لغة أدب وكتابة وتأليف، وقد نشأت هذه اللغة ببلاد نجد والحجاز ثم انتشرت فى كثير من المناطق التى كانت تشغلها من قبل لغات سامية وحامية، وانشعبت منها اللهجات التى يتكلم بها الآن فى البلاد العربية .

ولانعلم شيئاً عن طفولة هذه اللغة، إذ لم يعثر العلماء فى مواطنها الأولى بنجد والحجاز على آثار منقوشة أو مكتوبة تلقى ضوءاً على حالتها الأولى .

وأقدم ماوصل إلينا من آثارها هو مايعرف بالأدب الجاهلى وهو آثار أدبية تنسب لطائفة من شعراء العصر الجاهلى وحكمائه وخطبائه، ولكنها لم تجمع وتدون إلا فى القرون الأولى للعصر الإسلامى، ويرجع تاريخ أقدمها إلى القرن الخامس بعد الميلاد على أبعد تقدير، وهى تمثل هذه اللغة فى عنفوان اكتمالها وعظمتها بعد أن اجتازت مراحل كثيرة فى التطور والارتقاء، وبعد أن تغلبت لهجة من لهجاتها وهى لهجة قريش علي أخواتها بعد صراع طويل معها، وصار يؤمها العرب فى شعرهم وخطابتهم ونثرهم الأدبى، وإليك بيان ذلك .

---

(١) د. أنيس : فى اللهجات العربية : ص٣٥ .

صراع لهجات العرب وتغلب لهجة قريش

مر بك - فيما سبق - حديثنا عن القبائل العربية ومنازلها وعلمت أن العرب منذ أقدم العصور قد انقسموا إلى قبائل كثيرة، كما مر بك حديثنا عن البيئة الجغرافية لشبه جزيرة العرب، واستبان لك اختلاف الطبيعة فيها .

ومن المقرر فى قوانين اللغات - كما سبق - أنه متى انتشرت اللغة فى مساحة واسعة من الأرض وتكلم بها طوائف مختلفة من الناس استحال عليها الاحتفاظ بوحدتها الأولى أمداً طويلاً، فلا تلبث أن تنشعب إلى عدة لهجات .

ولم تفلت اللغة العربية - وماكان يمكن أن تلفت - من هذا القانون العام، فقد انقسمت منذ أقدم عصورها إلى لهجات كثيرة يختلف بعضها عن بعض فى كثير من مظاهر الصوت والدلالة والقواعد والمفردات، واختصت كل قبيلة وكل جماعة متحدة فى ظروفها الطبيعية والاجتماعية بلهجة من هذه اللهجات .

وقد أتيح لهذه اللهجات المتعددة فرص كثيرة للاحتكاك بفضل التجارة وتبادل المنافع ومجاورة القبائل العربية بعضها لبعض وتنقلها فى طلب الكلأ وتجمعها في الحج والأسواق والحروب الأهلية وغير ذلك، فاشتبكت من جراء ذلك اللهجات العربية بعضها مع بعض فى صراع لغوى كتب النصر فيه للهجة قريش، وقد ساعد على تغلب هذه اللهجة عوامل كثيرة، من أهما مايلى :

١ - العامل الدينى

فقد كانت قريش مجاورة لبيت الله الحرام يقيمون حوله، ويقومون بسدنته، وكان لهذا البيت قداسته عند معظم القبائل العربية في

الجاهلية، يحجون إليه ليؤدوا مناسكهم، ويزوروا أصنامهم ويقدموا لها القرابين، ويشهدوا منافع لهم، فكان لقريش بذلك السلطان الدينى علي بقية القبائل العربية .

٢ -العامل الاقتصادى

كان لقريش سلطان اقتصادى خطير، فقد كان مقدار كبير من التجارة فى أيدى القرشين الذين كانوا ينتقلون بتجارتهم فى مختلف بقاع شبه الجزيرة العربية من الشام شمالاً إلى أقصى اليمن جنوباً، فكانت لهم رحلات تجارية منظمة فى مختلف فصول السنة من أشهرها رحلة الشتاء إلى اليمن ورحلة الصيف إلى الشام، كما يحدثنا بذلك القرآن الكريم إذ يقول: «لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ* إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ* فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ* الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ»[١]. وبفضل هذا النشاط التجارى أصبح زمام الثروة فى هذه البلاد في يد قريش .

٣ -العامل السياسى

تحقق لقريش بفضل نفوذها الدينى والاقتصادى وبفضل موقع بلادها وماكانت تمتاز به من حضارة ونعيم نفوذ سياسى قوى في سائر بلاد العرب فى العصر الجاهلى، وفى ذلك يقول أبو بكر الصديق رضى الله عنه فى رده على الأنصار الذين رغبوا فى الخلافة بعد وفاة الرسول

---

(١) سورة قريش، ١، ٢، ٣، ٤ .

صلى الله عليـه وسلم : «لاتدين العـرب إلا لهـذا الحى من قـريش، فـلا تنفّسوا على إخوانكم مامنحهم الله من فضله[١]».

وربما يفهم من قول أبى بكر رضى الله عنه أن ذلك إنما كان بسبب الإسلام، لأنه قال قوله هذا بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم، ويرد هذا أن أبا طالب عم النبى صلى الله عليه وسلم قال فى خطبته عند زواج النبى صلى الله عليه وسلم من السيدة خديجة رضى الله عنها : «الحمد لله لذى جعلنا من ذرية إبراهيم، وزرع إسماعيل، وجعلنا له بلداً حراماً ، وبيتاً محجوجاً، وجعلنا الحكام على الناس ....[٢]».

ومن المسلم به أن النبى صلى الله عليه وسلم تزوج السيدة خديجة رضى الله عنها قبل نزول الوحى عليه وقبل أن يكون رسولاً للناس كافة.

٤ -العامل اللغوى

كانت لهجة قريش أوسع اللهجات ثروة، وأغزرها مادة، وأرقها أسلوباً، وأقربها إلى الكمال، وأقدرها على التعبير فى مختلف فنون القول[٣] .

لذا «قال الفراء[٤]: كانت العرب تحضر الموسم فى كل عام، تحج البيت في الجاهلية وقريش يسمعون لغات العرب فما استحسنوه مـــن

---

(١) د. وافى : فقه اللغة: ص١٠٨، ١٠٩ .

(٢) الوسيط فى الأدب العربى للشيخ أحمد السكندرى والشيخ مصطفى العنانى (مطبعة المعارف ١٩٢٨ ط٧) ص٢٩ .

(٣) د. وافى : فقه اللغة : ص١٠٩، ص١١٠ .

(٤) هو أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء، إمام ثقة من أئمة الكوفيين، برع فى النحو واللغة والأدب، من مصنفاته: معانى القرآن . مات سنة ٢٠٧هـ (الفهرست ص١٨ ووفيات الأعيان : ٥/ ٢٢٥) .

لغاتهم تكلموا به، فصاروا أفصح العرب، وخلت لغتهم من مستبشع اللغات، ومستقبح الألفاظ»[١].

وقال ثعلب[٢]: «ارتفعت قريش فى الفصاحة عن عنعنة تميم، وكشكشة ربيعة، وكسكسة هوازن، وتضجع قيس، وعجرفية ضبة، وتلتله بهراء»[٣].

«وقال أبو نصر الفارابي[٤] فى أول كتابه المسمى بالألفاظ والحروف: كانت قريش أجود العرب انتقاداً للأفصح من الأفاظ وأسهلها على اللسان عند النطق، وأحسنها، مسموعاً، وأبينها إبانة عما فى النفس»[٥].

وقال ابن فارس[٦] «أخبرنى أبو الحسين أحمد بن محمد مولى بنى هاشم بقزوين، قال: «حدثنا أبو الحسن محمد بن عباس الخشكى،

---

(١) السيوطى: المزهر (تحقيق محمد أحمد جاد المولى وآخرين ط عيسى الحلبى): ٢٢١/١ .

(٢) هو أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب الشيبانى، إمام الكوفيين فى النحو واللغة فى زمانه. من مصنفاته: مجالس ثعلب . مات ببغداد سنة ٢٩١ هـ. (الفهرست ص١١٠) ووفيات الأعيان : ٨٤/١) .

(٣) مجالس ثعلب (تحقيق هارون ط دار المعارف ط٣) : ٨٠/١، ٨١ .

(٤) هو أبو نصر محمد بن محمدبن طرخان الفارابى التركى الفيلسوف المتوفى سنة ٣٣٩ هـ. من مصنفاته: كتاب الألفاظ والحروف. ترجمته فى : وفيات الأعيان: (٣٣٩/٤) والأعلام (٩٦٨/٣) وبروكلمان: (١٣٧/٤) .

(٥) المزهر للسيوطى : ٢١١/١ .

(٦) هو أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزونى، أحد أئمة اللغة والأدب من مصنفاته : الصاحبي، ومجمل اللغة، ومقاييس اللغة. مات سنة ٣٩٥هـ (نزهة الألباء : ص٣٢٠ ووفيات الأعيان ١٠٠/١) .

قال: حدثنا إسماعيل بن أبى عبيد الله، قال: أجمع علماؤنا بكلام العرب ، والرواة لأشعارهم والعلماء بلغاتهم وأيامهم ومحالهم أن قريشاً أفصح العرب ألسنة، وأصفاهم لغة، وذلك أن الله جل ثناؤه اختارهم من جميع العرب، واصطفاهم، واختار منهم نبى الرحمة محمداً صلى الله عليه وآله وسلم، فجعل قريشاً قطان حرمه وجيران بيته الحرام، وولاته، فكانت وفود العرب من حجاجها وغيرهم يفدون إلي مكة للحج ويتحاكمون إلى قريش فى أمورهم، وكانت قريش تعلمهم مناسكهم وتحكم بينهم .

ولم تزل العرب تعرف لقريش فضلها عليها وتسميها: أهل الله، لأنهم الصريح من ولد إسماعيل عليه السلام، لم تشبهم شائبة، ولم تنقلهم عن مناسبهم ناقلة، فضيلة من الله جل ثناؤه - لهم وتشريفاً إذ جعلهم رهط نبيه الأدنين وعترته الصالحين .

وكانت قريش مع فصاحتها وحسن لغاتها ورقة ألسنتها إذا أتتهم الوفود من العرب تخيروا من كلامهم وأشعارهم أحسن لغاتهم وأصفى كلامهم، فاجتمع ماتخيروا من تلك اللغات إلى نحائزهم[١] وسلائقهم التى طبعوا عليها ، فصاروا بذلك أفصح العرب... »[٢].

فجميع الظروف التى تقضيها قوانين التغلب اللغوى كانت مهيأة لتغلب لهجة قريش على اللهجات العربية الأخرى فليست ظاهرة تغلبها فذة في التاريخ أو يرجع سببها إلى إرهاص أو إعجاز، بل هى ظاهرة عامة فى لغات البشر قديمها وحديثها .

---

(١) نحائزهم : طبائعهم. ففى اللسان (طبع): «الأزهرى: نحيزة الرجل: طبيعته، وتجمع على النحائز» .

(٢) ابن فارس : الصاحبى (تحقيق السيد صقر ط عيسى الحلبى) : ص٣٣، ٣٤ .

ومن المقرر أن الصراع بين لهجتين محليتين ينتهى بتغلب إحداهما على الأخرى فى حالتين :

١ - أن يكون لأهل واحدة منهما نفوذ على أهل اللهجة الأخرى، ويكتب النصر فى هذه الحالة للهجة المنطقة ذات النفوذ على شريطة ألا تقل عن المنطقة الأخرى حضارة وثقافة وآداباً.

٢ - أن تفوق إحدى المنطقتين الأخرى فى ثقافتها وحضارتها ومقومات لغاتها وآدابها ففى هذه الحالة يكتب النصر للهجتها وإن لم يكن لها سلطان على المنطقة الأخرى .

وإذا كانت إحدى هاتين الحالتين تؤدى لامحالة إلى تغلب اللهجة المتوافرة فيها شروطها فمن باب أولي إذا توافر كلتاهما فى لهجة محلية كما كان شأن لهجة قريش .

ومن المقرر كذلك في قوانين علم اللغة أن اللهجة المحلية الظافرة تصبح عاجلاً أو آجلاً لغة الآداب، وهذا ماحدث للهجة قريش، فبعد تغلبها على اللهجات العربية الأخرى أصبحت لغة الآداب عند جميع قبائل العرب، فبها كان ينظم الشعر، وتلقي الخطب، وترسل الحكم والأمثال، وتدون الرسائل، وقد تم لها ذلك قبل بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم بزمن غير قصير(١) .

ولعل هذا يفسر لنا سر وصول معظم الآثار الأدبية القديمة إلينا فى لغة موحدة لاتشتمل على خصائص اللهجات العربية التى رواها الرواة .

فلا غرابة إذاً فى أن القرآن الكريم نزل معظمه بلغة قريش وكان مفهوماً لدى جميع القبائل، وكان يؤثر فى العرب جميعاً ببيانه

---

(١) د. وافى: فقه اللغة: ص١١٠ ومابعدها .

وبلاغته، فقد نزل بعد أن تم للهجة قريش التغلب على اللهجات العربية الأخرى، وبعد أن أصبحت لغة الآداب لسائر قبائل العرب .

ولاغرابة كذلك أن جاءت آثار العصر الجاهلى، معلقاتها وشعرها وخطبها وحكمها وأمثالها، مؤلفة بلغة قريش، بل كان يكون غريباً كل الغرابة، ومتعارضاً مع نواميس اللغات الإنسانية لو جاء شئ منها مؤلفاً بغير هذه اللغة، لأن أقدم هذه الآثار لايتجاوز القرن الخامس أو السادس بعد الميلاد، أى أنها جميعاً قد ألفت بعد أن تم للغة قريش التغلب على ماعداها من اللهجات، وأصبحت اللغة الفذة التى يصطنعها العرب فى ميادين الآداب(١) .

ما استفادته لهجة قريش من صراعها مع اللهجات العربية

استفادت لهجة قريش من صراعها مع اللهجات العربية الأخرى أموراً كثيرة، أهمها مايلى :

١ - استفادت كثيراً من المفردات والأساليب وبخاصة تلك التى كانت تنقصها، فقويت بذلك دعائمها، واتسع نطاقها، وكما ماكان فيها من نقص، وزادت مرونة وقدرة علي التعبير عن مختلف فنون القول، فما أشبه الحالة التى انتهت إليها تلك اللهجة ببحيرة امتزج بمياهها الأصلية مياه أخرى مختلفة الطعم واللون انحدرت إليها من جداول كثيرة(٢). وفيما ذكرناه آنفاً من قول الفراء وقول ابن فارس ما يؤيد ذلك(٣).

---

(١) د. وافى فقه: اللغة: ص١١٢ .

(٢) نفسه ص١١٤، ١١٥، ود. نجا : اللهجات العربية ص٦٧ .

(٣) انظر فيما سبق : ص٩٣، ٩٤، ٩٥ .

٢ - صارت لغة الآداب عند العرب جميعاً، فأمها الشعراء فى أشعارهم والخطباء فى خطبهم، ويؤكد ذلك أن العرب على اختلاف قبائلهم ورد إلينا شعرهم ونثرهم بلغة موحدة إلا فى القليل النادر، وهو الذى كان عليه الاعتماد فى تعرف اللهجات الأخرى وخصائصها .

٣ - نزول معظم القرآن الكريم بها، فقد بعث النبى صلى الله عليه وسلم للعرب خاصة وللأمم عامة، فلذلك أنزل الله تعالى معظم كتابه باللغة الراقية السائدة عند العرب وهى لغة قريش، وقد أكسبها كثيراً من الألفاظ الإسلامية، كالصلاة والزكاة والحج والصوم بمعانيها الشرعية .

٤ - تقوية سلطانها ، فقد كان لنزول معظم القرآن الكريم بها وهو دعامة الدين الإسلامى وانضواء معظم القبائل العربية تحت لوائه أثر فى توطيد هذه اللغة، وتثبيت دعائمها وتقوية سلطانها على الألسنة»[١] .

وقد ذكر سيبويه أن «بشراً» فى قول الحق تبارك وتعالى: «ماهذا بشرا»[٢] بالنصب فى لغة أهل الحجاز، إذ يعملون «ما» عمل «ليس»، ثم قال: «وبنو تميم يرفعونها إلا من درى كيف هى فى المصحف»[٣].

---

(١) د/ نجا : اللهجات العربية : ص٦٧، ٦٨. ود. وافى: فقه اللغة، ص١١٨ .

(٢) يوسف / ٣١ .

(٣) سيبويه : الكتاب (تحقيق هارون ط الهيئة العامة للكتاب٧٧): ٥٩/١ .

رأى مردود

ذهب بعض الباحثين إلى أن السبب فى تفضيل لهجة قريش على ماعداها من اللهجات العربية وادعاء الغلبة لها يرجع إلى أن النبى صلى الله عليه وسلم من قريش[١]، وشايع هذا الرأى الدكتور عبده الراجحى فى كتابه «اللهجات العربية فى القراءات القرآنية» وراح يؤيده ويؤكده. فيقول: «والذى لاشك فيه عندنا أن سببا واحداً حسب هو الذى جعلهم (أى جعل القدماء) يضعون لهجة قريش هذا الموضع، ذلك أن النبى صلى الله عليه وسلم قرشي... وأما هذه العيوب التى تنسب إلى كثير من القبائل العربية فمعرفتنا بها معرفة مبنية على نصوص قليلة مبتورة، ومع أنها قد لاتخلو من بعض الحقيقة فإننا نظن أن بها نصيباً غير قليل من المبالغة، بل لعلها دليل على طبيعة المجتمع العربى الذى يدفع كل قبيلة إلى أن تفتخر بلغاتها وبشعرائها، وهى - فى افتخارها هذا - تعزو إلى غيرها من القبائل عيوباً لسانية قد لايكون لها نصيب كبير من الواقع»[٢].

والحق أن لهجة قريش تفوقت على غيرها من اللهجات فى الجاهلية وقبل بعثة النبي القرشى صلى الله عليه وسلم، وهى فى تفوقها هذا خضعت لعوامل وأسباب هيأت لها ذلك التفوق، ولو وجدت تلك العوامل والأسباب فى لهجة أخرى من اللهجات العربية لكان لها ماكان للهجة قريش، فهى لم تشذ فى هذا، ولم يدع لها غيرها مايؤيده الواقع ونواميس اللغات .

---

(١) انظر : ضحى الإسلام لأحمد أمين (نشر مكتبة النهضة المصرية ١٩٧٤ م ط٨): ٢٤٧/٢ .

(٢) د. عبده الراجحى: القراءات القرآنية فى اللهجات العربية : ص٤٢.

ولم يرو لنا الرواة أية سخرية حدثت فى العصر الجاهلى من لهجة من اللهجات، أو قبيلة رمت غيرها آنذاك بعيوب لسانية .

ويقول: «ومهما يكن من أمر فقد اندفع القدماء يمجدون لهجة قريش، فإذا مالقيهم نص يناقض دعواهم راحوا يتعسفون تأويله بما يساير ماذهبوا إليه، إذ تذكر كتبهم أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: (أنا أفصح من نطق بالضاد بيد أنى من قريش) فذهبوا إلى أن (بيد) بمعنى (من أجل) ونقلوا عن أبى عبيدة[١] قول الشاعر :

عَمْداً فَعَلْتُ ذاك بَيْدَ أَنّى   أخافُ إن هلكتُ أن تُرِنّى

والحديث فى رأينا واضح لايحتاج إلى شئ من هذا التأويل، وإنما أحوجهم إليه تمجيدهم لهجة قريش، ولعل مايؤيد رأينا فى وضوح الحديث فى أن معنى (بيد أن) هو (غيرأن) ماروى عن عمر أنه قال: يارسول الله مالك أفصحنا ولم تخرج من بين أظهرنا»[٢].

ولسنا فى حاجة إلى التأويل أو عدم التأويل، فالتحقيق أن الحديث المذكور موضوع[٣]، ولاأصل له، ولم يثبت، فقد جاء فى كتاب نسيم

---

(١) هو أبو عبيدة معمر بن المثنى التميمى الحافظ اللغوى المتوفى سنة ٢٠٣هـ. من مصنفاته: مجاز القرآن، وغريب الحديث . (هدية العارفين: ٤٦٩/٢) .

(٢) د. عبده الراجحى: القراءات القرآنية فى اللهجات العربية: ص٤٢، ٤٣ .

(٣) قال النووى فى كتابه التقريب (ط صبيح ١٩٦٨ ص١٥): «الموضوع: هو المختلق المصنوع وشر الضعيف، ويحرم روايته مع العلم به فى أى معنى كان إلا مبيّناً» .

الرياض فى شرح شفاء القاضى عياض[١] لشهاب الدين الخفاجى[٢]: «وأما ماشتهر من أنا أفصح من نطق بالضاد بيد أنى من قريش، فقالوا: إنه لم يثبت وإن ذكر فى كتب النحو والأصول»[٣].

وقال الشوكانى[٤] فى الفوائد المجموعة فى الأحاديث الموضوعة: «حديث أنا أفصح من نطق بالضاد، لاأصل له، ومعناه صحيح»[٥].

ويقول أيضاً: «وتردد الكتب كثيراً أيضاً أن القرآن أنزل بلغة قريش، ومع أن القرآن الكريم بقراءاته المتواترة والشاذة يناقض هذا الزعم، فإن النصوص الكثيرة التى يروونها عن (اللغات) التى نزل عليها القرآن كافية لنقض ذلك أيضا، إذ روي عن ابن عباس أنه قال: أنزل القرآن على سبع لغات منها خمس بلغة العجز من هوازن، وهم

---

(١) هو أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبى المراكشى المتوفى سنة ٥٤٤ هـ. من مصنفاته: الشفا بتعريف حقوق المصطفي. (هدية العارفين: ٨٠٦/١).

(٢) هو شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجى المصرى المتوفى سنة ١٠٦٩هـ. من مصنفاته: شرح درة الغواص فى أوهام الخواص للحريرى وهو بتحقيقنا، ونسيم الرياض في شرح شفاء القاضى عياض. (ترجمته في هدية العارفين: ١/١٦٠).

(٣) نسيم الرياض (المطبعة العثمانية ١٣١٧هـ): ٥٢٩/١.

(٤) هو أبو عبد الله محمدبن علي بن محمد اليمنى الشهير بالشوكانى المتوفى سنة ١٢٥٠هـ. من تصانيفه الكثيرة الفوائد المجموعة فى الأحاديث الموضوعة. (هدية العارفين: ٣٦٥/٢).

(٥) الفوائد المجموعة فى الأحاديث الموضوعة للشوكانى (تحقيق عبد الرحمن اليمانى - دار الكتب العلمية بيروت): ص٣٢٧.

الذين يقال لها عليا هوازن، وهم خمس قبائل أو أربع، منها سعد بن بكر وجشم بن بكر ونصر بن معاوية وثقيف[١].

أليس عجيباً حقاً أن يجمع هذا النص تلك القبائل دون أن يذكر قريشاً من بين من نزل القرآن على لغتهم؟ أليس الأمر كما ذكرنا من أن لهجة قرشي اكتسبت هذا التمجيد عند القدماء لسبب واحد فقط وهو أن النبي قرشي ؟ نحسب الأمر كذلك»[٢] .

ونحن نوافقه في أن القرآن الكريم أنزل على لغات أخرى غير لغة قريش[٣] ولكن معظمه نزل بهذه اللغة، ولذا قال أمير المؤمنين عثمان ابن عفان رضي الله عنه لكتبة المصحف: «ومااختلفتم أنتم وزيد[٤] فاكتبوه بلغة قريش فإنه أكثر مانزل بلسانهم»[٥] فاختلفوا في التابوه والتابوت[٦] قرأه زيد بالهاء والقرشيون بالتاء فأثبته بالتاء[٧].

---

(١) انظر الإتقان (١/٦٣، ٦٥) وانظر القاموس (ع ج ز) .

(٢) اللهجات العربية في القراءات القرآنية ص٤٣، ٤٤ .

(٣) انظر ماوقع في القرآن الكريم من غير لغة أهل الحجاز من قبائل العرب في البرهان في علوم القرآن للزركشي (تحقيق محمد أبو الفضل ط عيسى الحلبي ط٢) ١/٢٨٣ والإتقان في علوم القرآن للسيوطي (مطبعة مصطفى الحلبي) ١/١٧٥ .

(٤) هو زيد بن ثابت بن الضحاك، من فقهاء الصحابة وجلة الأنصار، مات في ولاية معاوية بن أبي سفيان سنة ٤٥ هـ وقيل سنة ٥١. (مشاهير علماء الأمصار لابن حبان البستي ص١٠) .

(٥) الزركشي : البرهان في علوم القرآن (تحقيق محمد أبو الفضل ط عيسى الحلبي ط٢): ١/٢١٨ .

(٦) جاء لفظ التابوت في سورة البقرة (آية ٢٤٨) في قوله تعالى: «وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ» وفي سورة طه (آية : ٣٩) في قوله تعالى: «أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ».

(٧) الزركشي: البرهان: ١/٣٧٦ .

فحسبه أنه نزل أكثره بلسان قريش ، وهذا كاف فى إظهار مكانة هذه اللهجة وتبيان منزلتها .

أما زعم الباحث بأن ماروى عن ابن عباس لم يذكر قريشاً ضمن القبائل التى أنزل القرآن على لغاتها وتعجبه من ذلك فيرده أن ابن عباس رضى الله عنه نص فيه على أن القرآن أنزل على سبع لغات ذكر منها خمساً فقط، فهل معنى هذا انتفاء إنزاله بلغة قريش أيضاً ؟

إن لغة قريش ليست فى حاجة للتنويه بها فى هذا الشأن وإنما الذى يحتاج إلى التنويه به سواها من لغات العرب التى نزل عليها القرآن الكريم، فإنزال القرآن الكريم على لغة قريش أمر لايستطيع الباحث نفسه أن ينكره، وإذا كان أكثر مانزل منه بلسان قريش كما يقول أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه فلاعجب أن يقال نزل بلغتهم بناء على هذا ، وليس السبب فى ذلك التمجيد للغة قريش لأن النبى صلى الله عليه وسلم قرشى كما يزعم .

وذكر الباحث أن المحدثين ساروا على نهج القدماء فى تمجيد لغة قريش وعدد منهم الرافعى والدكتور طه حسين الذى يقول عنه: «وعجيب حقًا أن الدكتور طه حسين الذى تناول الأدب الجاهلى بالشك وأخذ يهدمه هدماً لم يختلف رأيه فى هذا الموضوع عن رأى القدماء»(١).

ولست أدرى سبباً يدعو لهذا العجب، فلو رأى الدكتور طه الذى أولع بالهجوم على الأدب الجاهلى مايدعو إلى مثل هذا الزعم ماتقاعس عنه أو أبطأ دونه .

---

(١) د. عبده الراجحى : اللهجات العربية فى القراءات القرآنية ص: ٤٥.

كما ذكر من المحدثين الدكتور حسن عون والدكتور شوقى ضيف والدكتور إبراهيم أنيس، وقال: «وهذه الأسباب كلها فى رأينا لاتقوى دليلاً على تمكين لهجة قريش من السيطرة والسيادة[1]» .

ويعنى بها الأسباب السياسية والدينية والاقتصادية التى أدت إلى تغلب لهجة قريش وسيادتها على غيرها من اللهجات، وله أن يرى مايشاء .

وماذكره من أن ثمة أسواقاً فى الجاهلية فى شبه الجزيرة العربية غير عكاظ كان يلتقى الناس فيها للتجارة، وأن العرب كان يلتقون فى غير مواسم الحج بعيداً عن مكة، وماذكره من حروبهم وأحلافهم وهجراتهم، وأن أصحاب المعلقات ليس منهم قرشي، وأن الفصحى خلت من التسهيل وأخذت بالهمز لايكفى للزعم بأن لهجة قريش لم تسد ولم تفق غيرها من اللهجات ولم تصطف لنفسها وتختر من اللهجات الأخرى ماينقصها ومالاينقصها .

نعم، لايوجد بين أيدينا مايعيننا على التعرف على ماهو قرشى أصلاً وماهو ليس بقرشى فى الأصل، ولكن مقارنة اللهجة القرشية بغيرها من اللهجات وماانتهى إلينا من شعر ونثر أغلبه خال من الصفات الخاصة بلهجات القبائل العربية غير القرشية ووضوح خصائص اللهجة القرشية فيه إلا فى القليل منه يكفى لدحض هذا الزعم، وهل يمكن فى كل الأحوال أن يغير الشعر ويبدل حتى يطابق لهجة قريش؟ لو كان ذلك يتيسر فى بعض الأحيان فإنه يعسر فى أغلب الأحايين لأن الوزن الشعرى يأباه .

---

(١) نفسه: ص٤٧ .

فالقدماء ومن تبعهم من المحدثين كانوا على طريق مستقيمة حين قرروا أن لهجة قريش كان لها التفوق والسيادة فى الجاهلية، وليس ذلك ناشئاً عندهم عن تمجيد لتلك اللهجة لأن النبى صلى الله عليه وسلم قرشى كما يدعى .

نظرة القدماء للهجات

اختلفت نظرة القدماء إلى اللهجات العربية باختلاف العصور والعوامل السياسية والاجتماعية فى كل منها .

فقبل الإسلام استمسكت كل قبيلة بصفاتها الكلامية فى حديثها العادى وفى لهجات التخاطب ، ولكن الخاصة من الناس فى تلك القبائل قد لجأوا إلى تلك اللغة النموذجية التى نشأت في مكة فى شئونهم الجدية يخطبون بها وينظمون الشعر، وهذه حال كانت مألوفة بين القبائل، ولهذا لم ترد لنا روايات جاهلية عن السخرية بصفات كلامية لقبيلة من القبائل أو القدح فيها .

ولما جاء الإسلام برسالته السمحة الغراء للعامة والخاصة من الناس وأراد أن يتألف قلوب العرب جميعاً عامتهم وخاصتهم أباح أن يقرأ القرآن الكريم ببعض تلك الصفات اللهجية التى لم يكن فى مقدور العامة غيرها، وهذا هو معنى الحديث الشريف «أنزل القرآن على سبعة أحرف» .

فالقرآن الكريم وإن نزل باللغة الأدبية الموحدة أبيح فى قراءته الخروج عن تلك اللغة الموحدة تيسيراً على عامة العرب وتأليفاً لقلوبهم .

ثم اتسعت الدولة العربية حتى شملت دولا كثيرة، فكان لابد لضمان وحدتها والقضاء على عوامل الفرقة فيها ألا تعطى اللهجات

العربية من العناية ماقد يزيد من عصبية القبائل ويباعد بينها ، فأهمل أمرها ، ولم يرو عنها إلا القليل فى ثنايا كتب اللغة والأدب والتاريخ وغيرها ، بل ماروى لنا منها جاء مبتوراً ناقصاً فى معظم الأحيان .

ولما جاء عهد التدوين بدأ الرواة يفرقون بين قبيلة وأخرى فينسبون الفصاحة لهذه، وينكرونها على تلك، فقد رفضوا الأخذ عن تلك القبائل المتطرفة التى كانت مساكنها حدود الجزيرة العربية،[١] فإنه كما يقول أبو نصر الفارابى «لم يؤخذ لا من لخم ولامن جذام فإنهم كانوا مجاورين لأهل مصر والقبط، ولامن قضاعة ولامن غسان ولامن إياد فإنهم كانوا مجاورين لأهل الشام وأكثرهم نصارى يقرءون فى صلاتهم بغير العربية، ولا من تغلب ولاالنمر فإنهم كانوا بالجزيرة مجاورين لليونانية، ولامن بكر لأنهم كانوا مجاورين للنبط والفرس، ولامن عبد القيس لأنهم كانوا سكان البحرين مخالطين للهند والفرس، ولامن أزد عمان لمخالطتهم للهند والفرس، ولامن أهل اليمن أصلاً لمخالطتهم للهند والحبشة، ولولادة الحبشة فيهم، ولا من بنى حنيفة وسكان اليمامة، ولا من ثقيف وسكان الطائف لمخالطتهم تجار الأمم المقيمين عندهم،ولامن حاضرة الحجاز لأن الذين نقلوا اللغة صادفوهم حين ابتدءوا ينقلون لغة العرب قد خالطوا غيرهم من الأمم وفسدت ألسنتهم»[٢] .

ولم يكد ينقضى القرن الرابع الهجرى حتى ظهر من علماء اللغة من لم يفرق بين قبيلة وأخرى، بل عدهم جميعاً سواء فى جواز الأخذ عنهم والاحتجاج بأقوالهم، وخير مثال لذلك ابن جنى، فقد ذكر فى كتابه الخصائص باباً عنونه بقوله: «باب اختلاف اللغات وكلها حجة»[٣]، قال

---

(١) د. أنيس : فى اللهجات العربية: ص٤٦، ٤٧ .

(٢) الاقتراح للسيوطى (نشر دار المعارف بحلب) ص١٩، ٢٠ .

(٣) د. أنيس: فى اللهجات العربية : ص٤٨ .

فيه: «اعلم أن سعة القياس تبيح لهم ذلك، ولاتحظره عليهم، ألا ترى أن لغة التميمين فى ترك إعمال (ما) يقبلها القياس، ولغة الحجازيين فى إعمالها كذلك، لأن لكل واحد من القولين ضربا من القياس يؤخذ به، ويخلد إلى مثله، وليس لك أن ترد إحدى اللغتين بصاحبتها، لأنها ليست أحق بذلك من رسيلتها، لكن غاية مالك فى ذلك أن تتخير إحداهما فتقويها على أختها وتعتقد أن أقوى القياسين أقبل لها وأشد أُنْسًا بها، فأما رد إحداهما بالأخرى فلا، أو لاترى إلى قول النبى صلى عليه وسلم : (نزل القرآن بسبع لغات كلها كاف شاف) .

هذا حكم اللغتين إذا كانتا فى الاستعمال والقياس متدانيتين متراسلتين أو كالمتراسلتين .

فأما أن تقل إحداهما جداً وتكثر الأخرى جداً فإنك تأخذ بأوسعهما رواية وأقواهما قياساً، ألا تراك لاتقول : مررت بَكَ ولاالمال لِكَ قياساً على قول قُضاعة: المال لِه ومررت بَه، ولاتقول أكرمتكش ولاأكرمتكس قياساً على لغة من قال : مررت بكش وعجبت منكس» .

ثم قال بعد أن ذكر عدة لهجات أخرى أقل شيوعاً: «فيجب أن يقل استعمالها، وأن يتخير ماهو أقوي وأشيع منها إلا أن إنساناً لو استعملها لم يكن مخطئاً لكلام العرب، لكنه كان يكون مخطئاً لأجود اللغتين، فأما إن احتاج إلي ذلك فى شعر أو سجع فإنه مقبول منه، غير منعى عليه، وكذلك إن قال: يقول علي قياس من لغته كذا وكذا، ويقول على مذهب من قال كذا وكذا .

وكيف تصرفت الحال فالناطق على قياس لغة من لغات العرب مصيب غير مخطئ وإن كان غير ماجاء به خيراً منه»[١] .

---

(١) الخصائص: ٢/١٠، ١٢ .

الفصل الخامس

مقياس الفصاحة لدى العلماء

الذى استقر عليه الرأى بين جمهور العلماء من القدماء أن نصوص القرآن الكريم يحتج بها فى إرساء قواعد اللغة ، ولاخلاف بينهم فى ذلك[(١)].

يقول السيوطى[(٢)]: «أما القرآن فكل ماورد أنه قرئ به جاز الاحتجاج به فى العربية سواء كان متواتراً أم آحاداً أم شاذاً وقد أطبق الناس على الاحتجاج بالقراءات الشاذة فى العربية إذا لم تخالف قياساً معروفاً، بل ولو خالفته يحتج بها فى مثل ذلك الحرف بعينه، وإن لم يجز القياس عليه، كما يحتج بالمجمع على وروده ومخالفته القياس فى ذلك الوارد بعينه ولايقاس عليه، نحو (استحوذ)[(٣)]»[(٤)].

أما المروى من الشعر العربى فقد أجمعوا على أنه يحتج بالشعر الجاهلى كشعر زهير وطرفة وامرئ القيس وأمثالهم، كما يحتج بشعر

---

(١) د. أنيس : فى اللهجات العربية : ص٤٩ .

(٢) هو جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى المصرى المتوفى سنة ٩١١ هـ. من مصنفاته الكثيرة : المزهر، والاقتراح. (هدية العارفين: ١/٥٣٤) .

(٣) جاء فى سورة المجادلة (آية : ١٩) «اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ» .

(٤) الاقتراح للسيوطى : ص١٤، ١٥ .

المخضرمين وهم الذين عاشوا فى الجاهلية والإسلام ونظموا شعراً فى المرحلتين كحسان بن ثابت ولبيد وأمثالهما .

وكذلك يحتج بشعر الإسلاميين حتى منتصف القرن الثانى الهجرى من أمثال جرير والفرزدق والأخطل، وإن كان بعض المتشددين من علماء العربية كأبى عمرو بن العلاء[١] يرفض الاستشهاد بالشعر الإسلامى، فيروى عنه أنه كان يقول: لقد حسن هذا المولّد - يريد شعر جرير والفرزدق - حتى كدت آمر صبياننا بروايته .

ويقول عنه تلميذه الأصمعى: لقد لازمته عشر حجج فما سمعته يحتج ببيت إسلامى قط[٢] .

أما شعر المولدين فجمهور العلماء رفض الاحتجاج به، وقد احتج بعضهم بشعر بعض المولدين، وذلك قائم فيما يبدو على مبدأ الانتقاء والاختيار لمن يحتج بشعره منهم، كأن تتوافر فى الشاعر المولد مؤهلات تجعله أهلاً للاحتجاج بشعره عند من يحتج به، كأبى تمام عند الزمخشرى، وأبى فراس وابن دريد والمتنبى عند شهاب الدين الخفاجى، فقد استشهد الزمخشرى ببيت لأبى تمام فى كشافه فى تفسير أوائل سورة البقرة ، فقال فى تفسير قوله تعالي: (وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا)[٣]: «وأظلم يحتمل أن يكون غير متعد وهو الظاهر، وأن يكون

---

(١) هو أبو عمرو بن العلاء المازنى ، اختلف في اسمه فقيل: اسمه زبّان، وقيل اسمه كنيته، كان إمام أهل البصرة فى القراءات والنحو واللغة، مات سنة ١٥٤ هـ. (نزهة الألباب ص٢٤) .

(٢) د. إبراهيم أنيس: فى اللهجات العربية: ص٤٩ .

(٣) البقرة / ٢٠ .

متعدياً منقولاً من ظَلِمَ الليل، وتشهد له قراءة يزيد بن قطيب[١] (أظلم) على مالم يسم فاعله، وجاء في شعر حبيب بن أوس:[٢].

هُما أَظْلَمَا حالَيَّ ثُمَّتَ أَجْلَيا ظَلاَمَيْهِما عَنْ وَجْهِ أَمْرَدَ أشيب

وهو وإن كان محدثاً لايستشهد بشعره فى اللغة فهو من علماء العربية، فاجعل مايقوله بمنزلة مايرويه ، ألا ترى إلى قول العلماء: الدليل عليه بيت الحماسة، فيقتنعون بذلك لوثوقهم بروايته وإتقانه»[٣].

«واعترض عليه بأن قبول الرواية مبنى على الضبط والوثوق، واعتبار القول والاستشهاد به مبنى على معرفة الأوضاع اللغوية والإحاطة بقوانينها، ومن البين أن إتقان الرواية لايستلزم إتقان الدراية، فلا يلزم من تصديق العلماء إياه فيما جمعه من الحماسة من أشعار من يستشهد بأقوالهم أن يكون جميع مافى شعره مسموعاً منهم، أو مستنبطاً من القوانين المأخوذة من استعمالاتهم .

وأجيب بأنه صرح أولا بكونه من علماء العربية، ثم أشار إلى أنه ثقة باقتناع العلماء فى الاستدلال بالأبيات بثبوتها فى الحماسة، فإنه

---

(١) هو يزيد بن قطيب السكونى الشامى، ثقة، له اختيار فى القراءة ينسب إليه. (غاية النهاية: ٣٨٢/٢) .

(٢) هو أبو تمام حبيب بن أوس الطائى الشاعر المشهور، أحد أمراء البيان. مات سنة ٢٣١ هـ. (معجم المؤلفين ١٨٣/٣).

(٣) الكشاف للزمخشرى (دار الفكر للطباعة والنشر ط١ ١٣٩٧ هـ-١٩٧٧م) : ٢٢٠/١، ٢٢١ .

يدل علي وثوقهم بروايته، كأنه أراد دفع أن يقال كونه من علماء العربية ليس كافياً فى جعل مايقوله بمنزلة مايرويه، بل لابد من اجتماع العلم مع العدالة»[١].

وقد وثق شهاب الدين الخفاجى أبا فراس الحمدانى[٢]، فقال: «تعالى فى الأمر بفتح اللام، قال ابن هشام: وكسرها لحن كما تستعمله العوام، ولحن أبا فراس فى قوله فى شعره المشهور :

تعالِى أقاسمك الهموم تعالِى

ولذا صحت التورية فى قول الآخر :

أيها المعرض عنى حسبك الله تعالَى

وأصلها الأمر لمن كان فى سفل أن يأتى محلاً مرتفعاً، ثم استعملت لمطلق المجيء، ومازعموه من اللحن ليس كما قالوا، فإنه سمع وقرىء به، وأبو فراس ثقة ممن يجعل مايقوله بمنزلة مايرويه»[٣].

وقال الزمخشرى في كشافه في تفسير قوله تعالى: «﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُوداً﴾»[٤]: «قرأ الحسن تعالُوا بضم اللام على أنه حذف اللام من تعاليت تخفيفاً، كما قالوا: ماباليت من بالة، وأصلها بالية كعافية، وكما قال الكسائى فى آية أن أصلها آيية فاعلة، فحذفت اللام،

---

(١) حاشية السيد الشريف الجرجانى على الكشاف المنشورة معه (٢٢١/١) .

(٢) هو أبو فراس الحارث بن سعيد بن حمدان التغلبى، أمير شاعر فارس. مات سنة ٣٥٧ هـ (معجم المؤلفين: ١٧٥/٣) .

(٣) شفاء الغليل : ص٨٤، ٨٥ .

(٤) النساء / ٦١ .

فلما حذفت وقعت واو الجمع بعد اللام من تعال فضمت فصار تعالوا، نحو: تقدموا ، ومنه قول أهل مكة: تعالى بكسر اللام للمرأة، وفى شعر الحمدانى :

تعالِى أقاسمك الهمومَ تعالِى

والوجه فتح اللام»[(١)].

وقد وثق شهاب الدين الخفاجى ابن دريد أيضاً، فقال: «وابن دريد - رحمه الله - إمام ثقة يجعل مايقوله بمنزلة مايرويه ، فلا يتوهم أنه ليس ممن يحتج بكلامه»[(٢)]. وذلك فى تعليقه على ماذكره ابن بَرّيّ من صحة قول الخاصة : (انساغ لى الشراب) فى رده على الحريرى فى درة الغواص فى حواشيه عليها واستشهاده بقول ابن دريد :

ومنه ماتقتحم العينُ فإن   ذُقْتَ جناه انساغ عَذْباً فى اللها

ووثق الخفاجى أيضاً المتنبى[(٣)]، وقال: «المتنبى أيضاً قد يجعل مايقوله بمنزلة مايرويه»[(٤)].

وقد رفض بعض الباحثين المحدثين هذا الاتجاه ، وقال: «كيف يحتج بأقوال هؤلاء المولدين وقد وقعوا فى أغلاط كثيرة لايستطيع أحد تخريجها على وجه مقبول؟ فهذا أبو تمام يقول :

---

(١) الكشاف : ٥٣٦/١ .

(٢) شرح درة الغواص بتحقيقنا: ص٣٧٦ .

(٣) هو أحمد بن الحسين الكندى ولد بالكوفة ، وتوفي سنة ٣٥٤ هـ. (معجم المؤلفين: ٢٠١/١) .

(٤) شرح درة الغواص بتحقيقنا: ص٥٤٧ .

لعذلته فى دمنتين تقادمـا محـوتـين لزينـب وسعـاد

والصواب : تقادمتا .

وهذا المتنبى يقول:

فإن يك بعض الناس سيفاً لدولة

ففـى الناس بوقات لها وطبول

ومن هنا يتبين لك أن استناد بعض المتأخرين فى تصحيح بعض الكلم إلى استعمال أحد أهل العلم غير سديد... فالحق أن لاحجة فيما يلفظ به رواة الشعر أو علماء العربية إلا أن تذكره على وجه الاستئناس وأنت مالئ يدك بما هو حجة، أو منتظر لأن تظفر بالحجة .

ولابن السِّيد البَطَلْيَوْسِي وجهة أخرى فى صحة الاحتجاج بشعر أبى الطيب المتنبى ، هى أن البيت الذى سكت عنه علماء اللغة الذين تناولوا شعره ولم ينكروه عليه يلحق بما يصلح للاستشهاد به من كلام العرب، ذلك أنه أورد فى الاستشهاد علي صحة إضافة «آل» إلى الضمير قول المتنبى.

والله يُسعد كل يوم جدّه ويزيد من أعدائه فـى آله

ثم قال: وأبو الطيب وإن كان ممن لايحتج به فى اللغة، فإن فى بيته هذا حجة من جهة أخرى، وذلك أن الناس عنوا بانتقاد شعره، وكان في عصره جماعة من اللغويين والنحويين كابن خالويه وابن جنى وغيرهما، ومارأيت منهم أحداً أنكر عليه إضافة آل إلى المضمر، وكذلك

---

(١) شرح درة الغواص بتحقيقنا : ص٥٤٧ .

جميع من تكلم فى شعره من الكتاب والشعراء، كالواحدى، وابن عباد، والحاتمى، وابن وكيع، ولاأعلم لأحد منهم اعتراضاً على هذا البيت .

وهذا الذى يقوله البطليوسى فى شعر المتنبى الذى لم ينكره أولئك العلماء والكتاب لايرفعه من مرتبة الاستئناس به إلى مرتبة أن يكون حجة عند علماء العربية الذين يجتهدون فى تقرير أحكام اللسان»(١).

وهذا حق .

أما عن موقف العلماء من الاستشهاد بنص الحديث الشريف فى مسائل اللغة فقد اختلفت الآراء بصدده، وانقسم العلماء إلى فريقين:

١ - فريق يمنع الاستشهاد به، وحجته أن رواية الحديث تجوز بالمعنى، وأن كثيراً من رواة الأحاديث كانوا من المولدين أى الذين عاشوا بعد عصور الاحتجاج، وهؤلاء يجوز عليهم اللحن .

٢ - فريق لايمنع الاستشهاد به، وهو قليل، وحجته أنه إذا جاز اللحن فى رواية الحديث فاللحن فى رواية الأشعار أولى، لأن الوازع الدينى يساعد على تذكر نصوص الأحاديث ويعمل على صيانتها من أى انحراف .

وقد سكت المتقدمون من علماء العربية عن الاستشهاد بالحديث ولم يرو عنهم مايفيد أنهم منعوه، بل وجد فى بعض كتبهم استشهاد به وإن كان قليلاً كما في الكتاب لسيبويه .

---

(١) القياس فى اللغة العربية لمحمد الخضر حسين (المطبعة السلفية بالقاهرة ١٣٥٣هـ): ص٣٦ ومابعدها .

أما المتأخرون من العلماء فقد اشتد الخلاف بينهم وأصبح واضحاً كل الوضوح فى القرنين السابع والثامن من الهجرة ومن زعماء المنع للاستشهاد بالحديث ابن الضائع الأشبيلى[١] وأبو حيان[٢] ومن زعماء المجوزين له ابن مالك[٣] وابن هشام[٤].

ويرى بعض الدارسين من المحدثين أننا يجب أن نقف موقفاً معتدلاً فنقسم الأحاديث قسمين: قسم يستشهد بنصوصه، وقسم لايحتج به في مسائل اللغة، فالذى يستشهد به مايلى :

١ - مايروى بقصد الاستدلال على فصاحته صلي الله عليه وسلم، مثل : مات حتف أنفه، أى مات على فراشه وحمى الوطيس، أى اشتد الضراب فى الحرب .

---

(١) هو أبو الحسن على بن محمد بن على الأشبيلى المعروف بابن الضائع النحوى المتوفى سنة ٦٨٠ هـ. من مصنفاته: شرح كتاب سيبويه (هدية العارفين: ١/٧١٣) .

(٢) هو أبو حيان محمد بن يوسف بن على الأندلسى النحوى المتوفى بمصر سنة ٧٤٥هـ. من مصنفاته: التذييل والتكميل فى شرح التسهيل. (هدية العارفين: ٢/١٥٢) .

(٣) هو محمد بن عبد الله بن عبد الله بن مالك الطائى الأندلسى المعروف بابن مالك النحوى المتوفى بدمشق سنة ٦٧٢ هـ. من مصنفاته: شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح للبخارى. (هدية العارفين: ٢/ ١٣٠) .

(٤) هو جمال الدين عبد الله بن يوسف بن أحمد الأنصارى المصرى النحوى الشهير بابن هشام المتوفي سنة ٧٦٣هـ. من مصنفاته شذور الذهب فى النحو. ومغنى اللبيب. (هدية العارفين) ١/٤٦٥).

٢ - ألفاظ القنوت والتحيات والأدعية وغيرها من أقوال التعبد .

٣ - أحاديث من مصادر متعددة وبلفظ واحد .

٤ - أحاديث يرويها أولئك الذين ربوا فى بيئة عربية كأنس بن مالك[1] والشافعي[2] رضى الله عنهما .

أما الأحاديث التى لايحتج بها فى مسائل اللغة فتلك التى دونت متأخرا أو التى غمزت في صحتها أو الأحاديث التى شذت روايتها .

وماسمع من القبائل من كلام منثور لم يأخذ العلماء به كله، وإنما فرقوا بين القبائل، فأخذوا عن بعضها ورفضوا الأخذ عن بعضها الآخر، فقد أسسوا فصاحة القبيلة على دعامتين :

الأولى: مقدار قرب مساكنها من مكة وماحولها .

الثانية : مقدار توغلها فى البداوة .

فكانوا يعتزون بلغة القبائل الحجازية بوجه عام وقبائل نجد ووسط الجزيرة ويرفضون الأخذ عن القبائل التى كانت مساكنها فى أطراف الجزيرة وعلى حدودها[3] .

---

(١) هو أنس بن مالك بن النضر الخزرجى، خدم النبى صلى الله عليه وسلم عشر سنين، انتقل من المدينة إلى البصرة في خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه، وتوفى سنة ٩١ هـ .

(٢) هو الإمام الشافعى محمد بن إدريس القرشى، ولد بغزة سنة ١٥٠هـ، وحمل إلى مكة وهو ابن سنتين، ونزل بغداد ومصر، وتوفى بمصر سنة ٢٠٤ هـ. (طبقات الحفاظ : ص١٥٣ وطبقات الشافعية لابن هداية الله: ص١١).

(٣) د. إبراهيم أنيس : فى اللهجات العربية: ص٤٩ ومابعدها .

يقول أبو نصر الفارابى - وقد مر بك بعض قوله - : «كانت قريش أجود العرب انتقاداً للأفصح من الألفاظ، وأسهلها على اللسان عند النطق وأحسنها مسموعاً وأبينها إبانة عما فى النفس ، والذين عنهم نقلت اللغة العربية وبهم اقتدى وعنهم أخذ اللسان العربى من بين قبائل العرب، هم قيس وتميم وأسد، فإن هؤلاء هم الذين عنهم أكثر ماأخذ ومعظمه، وعليهم اتكل فى الغريب وفى الإعراب والتصريف، ثم هذيل وبعض كنانة وبعض الطائيين ولم يؤخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم، وبالجملة فإنه لم يؤخذ عن حضرى قط، ولاعن سكان البرارى ممن كان يسكن أطراف بلادهم التى تجاور سائر الأمم الذين حولهم، فإنه لم يؤخذ لامن لخم ولامن جذام، فإنهم كانوا مجاورين لأهل مصر والقبط، ولامن قضاعة ولامن غسان ولامن إياد ، فإنهم كانوا مجاورين لأهل الشام وأكثرهم نصارى يقرءون فى صلاتهم بغير العربية، ولامن تغلب ولاالنمر فإنهم كانوا بالجزيرة مجاورين (لليونانية)، ولامن بكر لأنهم كانوا مجاورين للنبط والفرس، ولامن عبد القيس لأنهم كانوا سكان البحرين مخالطين للهند والفرس، ولامن أزد عمان لمخالطتهم للهند والفرس، ولامن أهل اليمن أصلاً لمخالطتهم للهند والحبشة، ولولادة الحبشة فيهم، ولامن بنى حنيفة وسكان اليمامة ، ولامن ثقيف وسكان الطائف، لمخالطتهم تجار الأمم المقيمين عندهم، ولامن حاضرة الحجاز لأن الذين نقلوا اللغة صادفوهم حين ابتدءوا ينقلون لغة العرب قد خالطوا غيرهم من الأمم وفسدت ألسنتهم، والذى نقل اللغة واللسان العربى عن هؤلاء وأثبتها فى كتاب وصيرها علماً وصناعة هم أهل الكوفة والبصرة فقط من بين أمصار العرب»(١).

---

(١) الاقتراح للسيوطى: ١٩، ٢٠، والمزهر له ١/٢١١، ٢١٢ .

وهذا الذى ذكره الفارابى يبين لنا مدي حرص القدماء من علماء اللغة وغيرهم على نقاوة اللغة وسلامتها ، فأخذوا عن تلك القبائل التى اطمأنوا إلى فصاحتها ، ورفضوا الأخذ عن تلك القبائل التى لم يطمئنوا إلي سلامة لغتها ، لمجاورتها أمماً أجنبية تتكلم بلسان غير عربى، وإن كانت «تلك التحديدات القبلية والقبلية المكانية تمثل جانباً من الضوابط الجافية التى تحكمت فى جمع اللغة وأدت إلى إغفال الكثير من مفرداتها واستعمالاتها، إذ أن ترك الأخذ عن قبيلة بأسرها أو عن أهل منطقة بأسرها فيه مالايخفى من الجزافية وإهدار مايمكن أن يكون هؤلاء استعملوه من التراكيب والصيغ والأساليب الصحيحة الفصيحة.. ولو استبدل بهذا (الحظر العام) حظر انتقائى يستبعد من الأداء اللغوى لتلك القبائل والمناطق مايشذ عن طبيعة الصيغ والاستعمالات والأساليب العربية فحسب لاستدرك الكثير من فوات المعاجم مما كان يدعم القياسية والاطراد فى القواعد اللغوية بمختلف مستوياتها بالإضافة إلى قيمته فى الثروة اللغوية[1].

وما اتخذوه من وسائل الحيطة حيال القبائل والأمكنة اتخذوه حيال الأزمنة والعصور أيضاً فلم يأخذوا إلا عن العصور التى كان فيها اللسان العربى سليماً لم يصبه بعد الفساد والانحراف عن أوضاع اللغة الفصحى ، ولذلك لم يأخذوا إلا عن عرب الجاهلية والإسلام إلي نهاية القرن الثانى الهجرى بالنسبة إلى فصحاء الحضر وإلى أواسط القرن الرابع بالنسبة إلي فصحاء البادية، وسموا هذه العصور عصور الاحتجاج،

---

(١) د. محمد حسن جبل: الاحتجاج بالشعر فى اللغة (دار الفكر العربى بالقاهرة) ص٧٧، ٧٨ .

وأهملوا ماعداها مبالغة في الدقة وحرصاً على تحرى وجوه الصدق واليقين[١] .

وإيقاف الاحتجاج على نتاج الحقبة التى حددوها يعنى الحكم بإيقاف نمو اللغة فى متنها ودلالتها عند الحد الذى وصلت إليه فى تلك الحقبة، وذلك شئ يضاد طبيعة اللغة التى تجارى تجدد الحياة مجاراة حتمية، لذا فقد وقعت من الأئمة اللغويين فى احتجاجاتهم اللغوية تجاوزات متنوعة لنطق الاحتجاج وإن كان قد روعى معيار الاحتجاج بصورة كبيرة، فقد وقع الاحتجاج بشعراء من غير القبائل والأماكن والحدود الزمنية التي حددوها ، ففى معجم لسان العرب الجامع لثلاثة من آصل معاجمنا العربية التهذيب والصحاح والمحكم - بالإضافة إلى النهاية فى غريب الحديث وتحقيقات ابن برى[٢] - احتجاجات لغوية بأشعار شعراء كثيرين من تلك القبائل التى قال أبو نصر الفارابى إنها لم يؤخذ عنها، ففيه شعر لشعراء من قضاعة ومن غسان ومن إياد ومن تغلب ومن حنيفة ومن ثقيف .

وبالنسبة للحواضر التى ذكر الفارابي أيضاً أنه لم يؤخذ عن أحد منها قط وجد فى اللسان شعر لشعراء من المدينة ومكة والطائف والبحرين والحيرة والكوفة واليمن[٣].

---

(١) د. وافى : فقه اللغة : ص١٧١، ١٧٢ .

(٢) هو أبو محمد عبد الله بن برى بن عبد الجبار المقدسى ثم المصرى اللغوى المتوفى سنة ٥٨٢ هـ. من مصنفاته:التنبيه والإيضاح عما وقع في كتاب الصحاح. (هدية العارفين: ١/٤٥٧) .

(٣) انظر: الاحتجاج بالشعر فى اللغة للدكتور محمد حسن جبل: ص١٠٤ ومابعدها، وثمة تفصيل لما ذكرناه مجملاً منه .

ولذا دعا بعض الباحثين المحدثين إلى إعادة النظر فى معيار الاحتجاج وإن كنا لانوافقه في ذلك، إذ يجب علينا ألا نكون أقل غيرة على اللغة ونقاوتها وسلامتها من القدماء . وإذا كان التحديد المكانى والزمانى فيه تشدد وتعسف فذلك كان فى صميمه حماية للغة، وكان سياجاً متيناً حافظ عليها من فساد الألسنة وانحرافها عن سنن العرب الفصحاء، فقد سلك القدماء سبل الحيطة والحذر، وربما كان ثمة خارج الحدود المكانية والزمانية من يؤخذ بقوله لفصاحته ونقاء لغته إلا أنه لم يؤخذ عنه مبالغة فى الحيطة والحذر، وإذا كان لاسبيل لنا الآن إلى ماضاع من مفردات وأساليب نتيجة التحديد المكانى المتشدد ولاسبيل إلى تحقيق ماكنا نرجوه من القدماء من تطبيق مبدأ الانتقاء بدلاً من (الحظر العام) فليس أمامنا الآن إلا الأخذ بالحيطة كما أخذ القدماء بها، ولانتطلع إلى إعادة النظر فى معيار الاحتجاج عندهم، لأننا وقد بعد الزمن بنا عن زمنهم لانأمن العثار، ولانضمن أمن الطريق ، صحيح أنه قد وقع تجاوز من بعض الأئمة فى الاحتجاج بنطق من لم يشمله التحديد المكانى والزمانى للاحتجاج إلا أننا يجب أن نقف عنده بعينه ولانعمم المعيار ونطلقه .

ولانستبعد أن يكون أولئك الذين احتج بعض أئمة اللغة بشعرهم ممن كانوا خارج النطاق المكانى والزمانى لنطق الاحتجاج قد خضعوا لمعيار الانتقاء عند هؤلاء الأئمة الذى كنا نرنوا إليه ونود الأخذ به .

الفصل السادس

مظاهر اختلاف اللهجات

مظاهر اختلاف اللهجات كثيرة ومتنوعة، وسنبينها لك فيما يلى:

الإبدال

الإبدال كما فى لسان العرب: «جعل شئ مكان شئ آخر[١]» وهو عند الصرفيين : جعل حرف مكان حرف غيره»[٢].

وعند اللغويين : جعل حرف مكان آخر أو حركة مكان أخرى، فهو عند اللغويين أوسع وأشمل، لأن نظرتهم للإبدال لم تقف عند التغيير الذى يلحق حروف الكلمة فقط وإنما يلحظون التغييرات التى تلحق الحركات أيضاً[٣].

أقسام الإبدال

ينقسم الإبدال إلى قسمين :

١- إبدال مطرد عند جميع العرب، وهو الإبدال القياسى وهذا إذا استوفى شروطه وجب تنفيذه ، كإبدال الهمزة الساكنة الثانية فى الكلمة من جنس حركة ماقبلها، نحو : آمنت أومن إيمانا، والأصل: أأمنت أؤمن إئماناً.

---

(١) لسان العرب (مادة : بدل).

(٢) شرح شافية ابن الحاجب للرضى بتحقيق محمد نور الحسن وآخرين (دار الكتب العلمية - بيروت ١٩٧٥) : ١٩٧/٣.

(٣) دنجا : اللهجات العربية : ص٧١.

والحروف التى يبدل بعضها من بعض جمعها ابن مالك بقوله: (هدأت موطيا)(١).

وهذا النوع من الإبدال لا مناص للمتكلم باللغة العربية من استعماله فى المواضع التى عينت له فى علم الصرف.

ولايعنينا هنا هذا الإبدال ، إذ لم تنطق به العرب على أوضاع مختلفة فيكون فيه لهجات مختلفة.

---

(١) الأحرف التى تبدل من غيرها إبدالا شائعاً قياسياً لغير إدغام تسعة ، وهى التى جمعها ابن مالك فى قوله المذكور (هدأت موطيا) ومعنى هدأت : سكنت ، وموطيامن أوطأته : جعلته وطيئا.

فالواو تقلب همزة فى مثل قائل ، والياء تقلب همزة فى مثل بائع، لوقوعهما عينا لاسم فاعل.

وتبدل الواو والياء من الهمزة كما فى خطايا وقضايا.

وتبدل الهمزة ألفا مثل: آمنت ، وتبدل الياء من الألف كما فى مصابيح، ومن الواو كما فى رضى .

وتبدل الواو من أختيها الألف والياء كما فى بويع وموقن وموسر.

وتبدل الألف من أختيها الواو والياء كما فى قال وباع.

وتبدل التاء من الواو والياء إذا كانتا فاء للافتعال، نحو : اتصل واتسر .

وتبدل الطاء من التاء إذا وقعت التاء فى افتعل بعد صاد أو ضاد أو طاء أو ظاء.

وتبدل الدال من تاء الافتعال الذى فاؤه دال أو دال أو زاى، كما فى ادان وادكر وازدجر.

وتبدل الميم من الواو فى فم ، ومن النون فى انبعث.

وتبدل الهاء فى الوقف من التاء ، نحو : نعمة ورحمة.

٢- إبدال غير مطرد، وهو الإبدال السماعى، وهو الذى لا يخضع لشروط خاصة ، وهذا الإبدال لايكون عند العرب جميعاً، وإنما يختلف باختلاف القبائل ، فنجد مثلا قبيلة تقول : مدح، وأخرى تقول مده، وهكذا، ولاضابط للحروف التى يبدل بعضها من بعض فى هذا النوع.

وهذا الإبدال هو الذى يعنينا هنا ، لأنه هو الذى يخص قوماً دون قوم[١].

وقد اختلف القدماء من العلماء فى منشئه ، والراجح أنه نشأ من اختلاف اللهجات.

يقول أبو الطيب اللغوى كما جاء فى المزهر : «ليس المراد بالإبدال أن العرب تتعمد تعويض حرف من حرف، وإنما هى لغات مختلفة لمعان متفقه، تتقارب اللفظتان فى لغتين لمعنى واحد.. والدليل على ذلك أن قبيلة واحدة لاتتكلم بكلمة طوراً مهموزة وطورا غير مهموزة ، ولا بالصاد مرة وبالسين أخرى، وكذلك إبدال لام التعريف ميماً، والهمزة المصدرة عينا كقولهم فى نحو أنّ: عنّ، لاتشترك العرب فى شئ من ذلك، إنما يقول هذا قوم وذاك آخرون»[٢].

«وقال ابن خالويه[٣] فى شرح الفصيح: أخبرنا ابن دريد عن أبى حاتم[٤] عن الأصمعى قال : اختلف رجلان فى الصقر فقال أحدهما

---

(١) مميزات لغات العرب لحفنى ناصف (مطبعة السعادة بمصر سنة ١٣٣٠هـ ط٢) : ص١١ ، ١٢ ، واللهجات العربية : دلجا : ص٧٢.

(٢) المزهر : ١/ ٤٦٠.

(٣) هو أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه الهمدانى النحوى اللغوى المتوفى بحلب سنة ٣٧٠ هـ. من مصنفاته كتاب الحجة فى قراءات الأئمة السبعة. (هدية العارفين : ١/٣٠٦).

(٤) هو أبو حاتم سهل بن محمد بن عثمان السجستانى البصرى اللغوى المتوفى =

بالسين، وقال الآخر بالصاد ، فتحا كما إلى أعرابى ثالث، فقال : أما أنا فأقول : الزقر ، بالزاى، قال ابن خالويه : فدل على أنها ثلاث لغات»(١).

وقال البَطَلْيَوْسِى (٢) فى شرح الفصيح: ليست الألف فى الأرقان(٣) ونحوه مبدلة من الياء، ولكنهما لغتان، ومما يدل على أن هذه الأحرف لغات مارواه اللحيانى،(٤) قال : قلت لأعرابى : أتقول مثل حنك الغراب أو مثل حلكه؟

فقال : لا أقول مثل حلكه ...

= سنة ٢٥٠ هـ . من مصنفاته: إعراب القرآن . (هدية العارفين : ٤١١/١).

(١) المزهر: ٤٧٥/١. وجاء فى كتاب ألف باء ليوسف بن محمد البلوى (ط. عالم الكتب - بيروت) مايفيد نسبة كل لغة من هذه اللغات الثلاثة إلى الناطقين بها من القبائل العربية ، ففيه (٣٦٤/٢): « جاء فى الصقر من قول الأصمعى اختلف رجل من مضر ورجل من ربيعة، فقال المضرى : السقر ، وقال الربعى : الصقر ، فأقبل رجل من قضاعة فأخبراه ، فقال : لا أقول كما قلتما، إنما هو الزقر».

(٢) هو أبو محمد عبد الله بن محمد ، النحوى اللغوى المعروف بابن السيد البطليوسى المتوفى سنة ٥٢١ هـ. من مصنفاته: الاقتضاب فى شرح أدب الكتاب. (هدية العارفين : ٤٥٤/١).

(٣) الأرقان لغة فى اليرقان وهو آفة تصيب الزرع وداء يصيب الناس. (اللسان : أرق).

(٤) هو أبو الحسن على بن حازم اللحيانى ، وكان من كبار أئمة اللغة ، من مصنفاته : كتاب النوادر ، ولم تذكر سنة وفاته. (نزهة الألباء: ص١٧٦ ، والفهرست ص ٧١).

وقال البطليوسي في شرح الفصيح (أيضا) : قال أبو بكر بن دريد: قال أبو حاتم : قلت لأم الهيثم: كيف تقولين أشد سوادا من ماذا ؟

قالت : من حَلَكِ الغراب .

قلت : أفتقولينها من حنك الغراب ؟

فقالت : لا أقولها أبدا[(١)].

ومن هذا يظهر لنا أن الإبدال منشؤه اختلاف اللهجات لتعدد القبائل واختلاف البيئات.

وقد ورد مايفيد وقوع الإبدال في قبيلة واحدة، فقد قال ابن السكيت: «حضرني أعرابيان من بني كلاب فقال أحدهما: إِنْفَحة، وقال الآخر: مِنْفَحة[(٢)]، ثم افترقا على أن يسألا جماعة الأشياخ من بني كلاب، فاتفق جماعة على قول ذا وجماعة على قول ذا ، وهما لغتان»[(٣)].

ولا يستبعد أن تكون هذه القبيلة استعملت إحدى الكلمتين ثم استفادت الكلمة الأخرى من قبيلة أخرى ، وطال بها العهد وكثر استعمالها ، فلحقت لطول المدة واتصال استعمالها باللغة الأولى للقبيلة[(٤)].

---

(١) المزهر : ١/٤٧٤، ٤٧٥.

(٢) الإنفحة والمنفحة: شئ يستخرج من بطن الجَدْيِ الرضيع أصفر فيعصر في صوفة فيغلظ كالجبن ، فإذا أكَلَ الجدى فهو كرش. (القاموس : نفح).

(٣) إصلاح المنطق لابن السكيت بتحقيق أحمد شاكر وعبد السلام هارون (ط دار المعارف بمصر ط٣) . ص١٧٥، ١٧٦.

(٤) انظر : الخصائص : ١/٣٧٢.

هذا وينقسم النوع الثانى من الإبدال وهو الإبدال غير المطرد إلى قسمين :

١- إبدال فى الحروف.

٢- إبدال فى الحركات.

والإبدال فى الحركات نوعان :

١) إبدال حركة من أخرى فى بنية الكلمة وهى الحركات التى تكون على جميع حروف الكلمة ماعدا الحرف الأخير .

٢) إبدال حركة من أخرى فى بناء الكلمة ، وهى الحركات التى تكون على الحرف الأخير .

وسنذكر فيما يلى مايوضح ذلك :

أولاً: الإبدال فى الحروف

لهذا النوع ظواهر لهجية عديدة منها:

ا- العَنْعَنَة

هى كما يقول الشهاب الخفاجى: « تكرير لفظة عن»[(١)]. والمقصود بها هنا قلب همزة (أَنْ) ، و(أَنَّ) عينا وتكرار ذكر(عَنْ) بدل (أَنْ) و(عَنَّ) بدل (أَنَّ) فى كلام من يفعل ذلك من العرب.

وقد نسبت هذه الظاهرة إلى تميم وقيس وأسد ومن جاورهم، جاء فى لسان العرب : «وعنعنة تميم إبدالهم العين من الهمزة، كقولهم: عن يريدون: أن . وأنشد يعقوب :

---

(١) شرح درة الغواص للشهاب الخفاجى بتحقيقنا : ص٦٦٤.

فَلا تُلْهِكَ الدُّنْيا عَنِ الدِّينِ واعْتَمِلْ
لِآخِرَةٍ لابُدَّ عَـــنْ سَتَصِيرُهـــا

وقال ذو الرمة :

أَعَنْ تَرَسَّمْتَ مِنْ خَرْقاءَ مَنْزِلَـــةً
مَاءُ الصَّبابَةِ مِنْ عَيْنَيْكَ مَسْجُومُ

أراد : أَأَنْ تَرَسَّمْتَ.

وقال جِرانُ العَوْدِ :

فَما أُبْنَ حَتَّى قُلْنَ ياليتَ عَنَّنا تُرابٌ
وعَنَّ الأَرْضَ بالناسِ تُخْسَـــفُ

قال الفراء: لغة قريش ومن جاورهم (أن)، وتميم وقيس وأسد ومن جاورهم يجعلون ألف أن إذا كانت مفتوحة عينا، يقولون: أشهدُ عَنَّك رسولُ اللهِ، فإذا كسروا رجعوا إلى الألف. وفي حديث قَيْلَةَ: تَحْسَبُ عَنِّي نائِمَةٌ، ومنه حديث حُصَيْنِ بنِ مُشَمِّتٍ: أخبرنا فلان عَنَّ فلانا حدثه، أي أَنَّ فلانا »[١].

وقال ثعلب : فأما عنعنة تميم ، فإن تميماً تقول في موضع أن : عن، وذكر بيت ابن هَرْمَةَ الذي رَبِيَ في ديار بني تميم شاهداً على قلب همزة أنْ عينا، وهو قوله:

أَعَنْ تَغَنَّتْ عَلَى ساقٍ مُطَوَّقَةٌ
وَرْقاءُ تَدْعُو هَدِيلاً فَوْقَ أَعْوادِ[٢]

---

(١) اللسان : عنن.

(٢) مجالس ثعلب : ٨١/١.

وقد ورد فى كتاب العين : «أما تميم فإنهم يجعلون بدل الهمزة العين ، قال شاعرهم:

إِنَّ الفؤادَ على الذلفاءِ قد كَمِدا
وَحُبُّها مُوشِكٌ عَنْ يَصْدَعَ الكَبِدا [١] »

وماورد فى كتاب العين يلاحظ فيه عدم قلب همزة إن التى فى أول البيت عينا لأنها مكسورة.

فمن هذه الشواهد التى ذكرها رواة اللغة لهذه الظاهرة نلاحظ أنها جميعها مقصورة على قلب همزة «أَنْ» و (أَنَّ) عينا، ولم يرد - فيما نعلم - نص أدبى وقعت فيه هذه الظاهرة لغير «أَنْ» و (أَنَّ) ، وإن كان ورد فى كتب اللغة مايفيد أن العنعنة تطلق على قلب الهمزة عينا فى غير (أَنْ) و (أَنَّ).

ففى تاج العروس: «قال الكسائى: [٢] يقال كان ذلك منا عُنْفَةً بالضم وعُنُفَةً بضمتين، واعتنافا ، أى ائتنافا ، قلبت الهمزة عينا ، وهذه هى عنعنة بنى تميم ... واعتنفه:ابتدأه، قال الليث [٣]: وبعض بنى تميم يقول : اعتنف الأمر بمعنى ائتنفه، وهذه هى العنعنة [٤]».

وفى الجمهرة قال ابن دريد: «وخبع الرجل فى المكان إذا دخل فيه، وأحسب أن هذه العين همزة ، لأن بنى تميم يحققون الهمزة فيجعلونها

(١) العين بتحقيق درويش (مطبعة العانى -بغداد ١٩٦٧) ١٠٤/١.

(٢) هو أبو الحسن على بن حمزة المعروف بالكسائى أحد أئمة النحو. من مصنفاته : معانى القرآن ، مات سنة ١٨٩هـ. (هدية العارفين : ٦٦٨/١).

(٣) هو الليث بن المظفر تلميذ الخليل بن أحمد.

(٤) تاج العروس للزبيدى : ع ن ف.

عينا، فيقولون: هذا خِبَاعُنا، يريدون: خِبَاؤُنا»[١]. وقال: «ويقال: كَعَصْنا عند فلان ماشئنا وكَأَصْنا، أى أكلنا، قال أبو حاتم: هى همزة قلبت عينا، لأن بنى تميم ومن يليهم يحققون الهمزة حتى تصير عينا، وذلك قولهم: عَنِّى فى معنى أَنِّى»[٢].

وجاء فى المزهر للسيوطى: «العنعنة وهى فى كثير من العرب فى لغة قيس وتميم تجعل الهمزة المبدوء بها عينا فيقولون فى أنَّك: عَنَّك، وفى أسلم: عسلم، وفى إذَنْ: عِذَنْ».[٣] وذكر هذا فى الاقتراح له أيضا[٤].

وماورد فى الجمهرة يجعل تقييد الهمزة بأول الكلمة محل نظر.

ومن العرض السابق لهذه الظاهرة يمكن القول بأنها غالبة فى قلب همزة (أَنْ) و (أَنَّ) المفتوحتين عينا، وهذا سر تسميتها بالعنعنة،وأنها وقعت فى غير (أَنْ) و(أَنَّ) فى أول الكلمة وفى وسطها وفى آخرها كما ورد فى كتب اللغة، وإطلاق اصطلاح العنعنة على مثل هذا فيه شئ من المسامحة.

---

(١) جمهرة اللغة: ١, ٢٣٧، ٢٣٨.

ويقول العامة اليوم: (فَأَع أو فجع فلان عين فلان) يقصدون فقع بدل فقأ فقلبوا الهمزة عينا. وهذا مما سجله أبو بكر الزبيدى فى كتابه لحن العامة (ص١٣٧) فقال: «هو مفقوع العين.. والصواب: هو مفقوء العين. وقد فقأت عينه وقد تفقأ الرجل شحما». وهذا مما سجله فى القرن الرابع من لحن أهل الأندلس إذ توفى سنة ٣٧٩هـ.

(٢) نفسه: ٣/٧٦، ٧٧.

(٣) المزهر: ١/ ٢٢١، ٢٢٢.

(٤) انظر: الاقتراح: ص٨٣.

٤- العَجْعَجَة

وهى إبدال اليـاء جيـمـا ، وقـد اشتـهـرت نسـبـة هذه الظاهرة إلى قُضاعة وإن كان ورد مايفيد نسبتها إلى غيرها من القبائل كما سيأتى، ويلاحظ أنها فى نسبتها إلى قضاعة مقيدة بأن تكون الياء تالية للعين فى الكلمة، ولعل ذلك سر تسميتها بالعجعجة، فالجيم التى تبدل من الياء تالية للعين فى التسمية، جاء فى لسان العرب «العجعجة فى قضاعة كالعنعنة فى تميم ، يحولون الياء جميا مع العين، يقولون: هذا راعج خرج معج، أى راعى خرج معى»[(١)].

وممن نسبت إليهم هذه الظاهرة أيضا بنو فُقَيْم أحد بطون بنى دارم بن مالك بن حنظلة، وبنو حنظلة من تميم،[(٢)] فقد جاء فى كتاب الإبدال لابن السِّكِّيت: «قال أبو عمرو بن العلاء : قلت لرجل من بنى حنظلة: ممن أنت ؟

قال : فُقَيْمجّ.

قال: قلت : من أيهم؟

قال : مُرّج.

يريد: فقيمىّ، ومُرّىّ»[(٣)].

ونسبها سيبويه إلى ناس من بنى سعد مقيدة بالوقف، فقال: «وأما ناس من بنى سعد فإنهم يبدلون الجيم مكان الياء فى الوقف لأنها

---

(١) اللسان : ع ج ج.

(٢) انظر جمهرة أنساب العرب لابن حزم : ص٤٦٧.

(٣) الإبدال لابن السكيت بتحقيق د. حسين شرف (نشر مجمع اللغة العربية ١٩٧٨) : ص٩٥.

خفية، فأبدلوا من موضعها أبين الحروف، وذلك قولهم: هذا تميمج، يريدون: تميميّ، وهذا عَلِج، يريدون : عليّ، وسمعت بعضهم يقول: عَرّبانج، يريد : عَرّباني،[١] وحدثني من سمعهم يقولون:

خالِي عُوَيْفٌ وأبو عَلِجّ المُطْعِمانِ الشحمَ بالعَشِجِّ

وبالغَداة فِلَقَ[٢] البَرْنِجِّ

يريد : بالعشيّ، والبرنيّ،[٣] فزعم أنهم أنشدوه هكذا »[٤].

وتُنسب إلى هُذيل، ففى حديث ابن مسعود وهو من هذيل: «فلما وضعتُ رجلي على مُذَمَّرِ[٥] أبي جهل قال: أعلِ عَنِّج. أي تنح عنّي .. وأراد بعنّج: عنّي[٦]».

وروى عنه أيضا: على كلّ غَنيجّ ، يريد غنيّ بتحريك الجيم[٧].

ونُسبت أيضا لطئ وبعض بني أسد ، وأنشد الفراء :

---

(١) عرباني : عربي. (اللسان : عرب).

(٢) الفلق : جمع فلقة وهي القطعة. (المصباح: ف ل ق).

(٣) البرني: ضرب من التمر أصفر مدور ، وهو أجود التمر ، واحدته برنية ، قال أبو حنيفة : أصله فارسي ، قال : إنما هو بارني فالبار الحمل ، وبي تعظيم. (اللسان : برن) .

(٤) الكتاب : ١٨٢/٤.

(٥) المذمّر : القفا. وقيل : هما عظمان في أصل القفا. (اللسان : ذمر).

(٦) النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير تحقيق طاهر الزاوي ومحمود الطناحي (نشر المكتبة الإسلامية ط ١ سنة ١٩٦٣) : ٢٩٤/٣.

(٧) اللسان : (شجر ص٢١٩٨).

بكيت والمحتزز الهكج وإنما يأتى الصّبا الصبج

أى البكىّ والصبىّ(١)

وأنشد أيضا(٢):

لاهُمّ(٢) إنْ كُنْتَ قَبِلْتَ حَجَّتِجْ

فَلاَ يَزَالُ شَاحِجٌ يأتِيكَ بِجْ

أَقْمَرُ نهّاتٌ يُنَزِّى وَفْرَتِجْ

يريد: حَجَّتِى، ويأتيك بِى ، ويُنَزِّى وَفْرَتِى(٣).

ويوجد بالأحساء بالمنطقة الشرقية بالمملكة العربية السعودية اليوم من يقلب الياء جيماً فى قرية الطرف، حدثنى بذلك أحد طلابى بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية بالإحساء فرع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، وذكر لى أمثلة منها: إى ينطقونها إج ومريم ينطقونها: مرجم، ومكيف ينطقونه: مكجف، ودفاية (مدفأة) دفاجه كل ذلك بالجيم الفصيحة وليس بالجيم القاهرية.

وقد ورد قلب الجيم ياء وهو عكس ظاهر العجعجة، فقد روى فى المزهر أن أبا حاتم سأل أم الهيثم : هل تبدل العرب من الجيم فى شئ من الكلام؟

فقالت : نعم ، ثم أنشدته:

---

(١) انظر تاج العروس : ٣/٢ أول باب الجيم.

(٢) الأصل : اللهمّ، حذفت أل فصار لاهمّ، وقد ورد فى الشعر كثيراً . انظر حاشية الخضرى (٧٦/٢) ط عيسى الحلبى .

(٣) الإبدال لابن السكيت: ص٩٦. والشاحج: الحمار ، والأقمر الأبيض ، والنهات: النهاق، وينزى: يحرك ، والوفرة : الشعر إلى شحمة الأذن.

إذا لم يكنْ فِيكُنَّ ظِلٌّ ولاجَنى
فَأَبْعَدَكُنَّ اللهُ من شِيَرَاتِ(١)

وقد نسبت هذه الظاهرة لتميم(٢).

وهذه اللهجة موجودة الآن فى الكويت وفى المنطقة الشرقية بالمملكة العربية السعودية فى قرية الطرف وقرية الفضول بالأحساء، وسمعتها من بعض طلابى من هذه المنطقة بكلية الشريعة والدراسات الاسلامية بالأحساء أيضا، فيقولون: شيرة وشيرات، بدل شجرة وشجرات، ودياى بدل دجاج، وريال بدل رجال، وهكذاوالرجال فى لهجتهم: الرجل.

٣- الكَشْكَشَة

هذه الظاهرة كما جاء فى المزهر والاقتراح للسيوطى «فى ربيعة ومضر، يجعلون بعد كاف الخطاب فى المؤنث شينا، فيقولون: رأيتكش، وبكش، وعليكش، فمنهم من يثبتها فى حال الوقف فقط وهو الأشهر، ومنهم من يثبتها فى الوصل أيضا، ومنهم من يجعلها مكان الكاف ويكسرها فى الوصل ويسكنها فى الوقف، فيقول: منش وعليش»(٣).

وإنما فعلوا ذلك «حرصا على البيان، لأن الكسرة الدالة على التأنيث تخفى فى الوقف، فاحتاطوا للبيان بأن أبدلوها شينا»(٤) كما

---

(١) انظر المزهر للسيوطى: ٤٧٥/١، وكسرت الشين فى (شيرات) لتصح الياء.

(٢) انظر لهجات العرب لتيمور: ص٢٤، ٢٥ واللهجات العربية للدكتور إبراهيم أبو سكين: ص١٠٥.

(٣) المزهر: ٢٢١/١ والاقتراح: ص٨٣.

(٤) سر الصناعة لابن جنى: ٢١٦/١.

يقول ابن جنى، إذ الفصل بين المذكر والمؤنث بحرف أقوى من الفصل بحركة كما ذكر سيبويه[١].

وأنشد على هذه اللهجة فى الوصل قول المجنون:

فَعَيْناشِ عَيْناها وجِيدُشِ جِيدُها
سوى أَنَّ عظمَ الساق مِنْشِ دَقِيقُ [٢]

وقد نسب سيبويه قلب كاف الخطاب شينا لناس كثير من تميم وناس من أسد[٣].

وقد «قرأ بعضهم (قَدْ جَعَلَ رَبُّشِ تَحْتَشِ سَرِيًّا) لقوله تعالى: (قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا) [٤] »[٥].

«ونادت أعرابية جارية : تَعالَىْ إلى مَوْلاشِ يُناديشِ» كما فى القاموس[٦].

وهذه اللهجة مازالت موجودة فى بعض البلاد العربية فى منطقة الخليج، فهى موجودة فى الكويت، وموجودة فى البحرين، وفى المنطقة الشرقية بالمملكة العربية السعودية وسمعتها من أحد طلابى بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية بالأحساء، وهو من قرية الفضول، إلا أنها

---

(١) الكتاب : ٤/١٩٩.

(٢) سر الصناعة : ١/٢١٦.

(٣) الكتاب : ٤/١٩٩.

(٤) مريم/٢٤.

(٥) فقه اللغة للثعالبى تحقيق مصطفى السقا وآخرين (مصطفى الحلبى ١٩٧٢) : ص١٢٩.

(٦) القاموس : كشش.

فى نطقهم ليست شينا خالصة، بل هى شين مسبوقة بتاء ، أى(تش)، وأحسبها كانت كذلك عند القدماء وإن سجلها علماء اللغة القدامى بالشين، وهى خاصة بالمؤنث مما يرجح أنها كانت خاصة بالمؤنث فى لهجة العرب القدماء الذين رويت عنهم.

وقد سمعتها أيضا فى مصر من أحد الطلاب الصغار من قرية الزنكلون بمحافظة الشرقية، حين قرأ أمامى قوله تعالى: (قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا)، وكان مشتركا فى مسابقة حفظ القرآن الكريم التى ترعاها كليتنا كلية اللغة العربية بالزقازيق ، كما سمعتها أيضا من بعض أبناء تلك القرية ممن يعمل بالكلية.

ونطقها فى الزنكلون كنطق أبناء دول الخليج لها ، أى لاتقلب الكاف شينا خالصة ، بل هى «تش».

٤- الكَسْكَسَة

هى كما ذكر السيوطى فى ربيعة ومضر، يجعلون بعد الكاف أو مكانها فى المذكر سينا على ماتقدم فى الكشكشة ، وقصدوا بذلك الفرق بينهما [(١)].

فيقولون : أَبُوسَ وأُمُّسَ ، أى أبوك وأمّك ، ومررت بِكَسّ، وخصها بعض علماء اللغة كابن جنّى والثعالبى [(٢)] والفيروزابادى [(٣)]

---

(١) المزهر : ١/٢٢١ والاقتراح : ص٨٣.

(٢) هو أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل النيسابورى الثعالبى الأديب اللغوى المتوفى سنة ٤٢٩هـ. من مصنفاته: فقه اللغة، ويتيمة الدهر . (هدية العارفين : ١/٦٢٥).

(٣) هو مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزابادى صاحب القاموس المحيط المتوفى سنة ٨١٧هـ . (هدية العارفين : ٢/ ١٨٠).

بالمؤنث فى حالة الوقف، وقد نسبها ابن جنى إلى هوازن،[١] ونسبها الثعالبى إلى بكر[٢]، ونسبها الفيروزابادى لتميم[٣] ، فيقولون: أَكْرَمْتُكِش ، وأَعْطَيْتُكِش، ومِنْكِش، أى أَكْرَمْتُكِ، وأعطيتُكِ، ومِنْكِ.

وهذه اللهجة لم تزل موجودة بمنطقة القصيم بالمملكة العربية السعودية، وسمعتها من بعض طلابى من القصيم بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية بالأحساء، وهى خاصة بالمؤنث، كقولهم خالِتْس، أى خالِك، وعَمِّتِس، أى: عَمِّك، وجَدِّتْس، أى جَدِّك، والذى حدثنى بها وذكر لها بعض الأمثلة من طلابى من قرية السيح من قرى الأفلاج من منطقة نجد، وفى لهجتهم الآن قلبها سينا فى أول الكلمة وفى وسطها أيضا ، مثل: كَلْب، وكِلْمة، وكَبير، وباكِر، فيقولون: تسلْب، وتسلمه ، وتسبير، وباتسر ، وهم فى الجميع لايقلبونها سينا خالصة، بل (تس) كأنها تاء وسين، ولعلها كانت كذلك فى نطق الأقدمين، ولكنها سجلت سينا خالصة عند تدوين علماء اللغة لها ، لخفاء التاء عند النطق وعدم وضوحها فى السمع، وقد سمعتها أيضا من مؤذن بمدينة الهفوف بالأحساء فى قوله (الله أكبر).

٥- الفَحْفَحَة

فى لسان العرب: «الفَحْفَحَةُ : تَرَدُّدُ الصوتِ فى الحلق شبيه بالبُحَّةِ».[٤] «والبُحَّةُ : غِلَظٌ فى الصوت وخشونة»[٥].

---

(١) الخصائص : ١٢/٢.

(٢) فقه اللغة للثعالبى : ص١٢٩.

(٣) القاموس : كسس.

(٤) اللسان : فحح .

(٥) اللسان : بحح .

وفى المزهر: «الفحفحة فى لغة هذيل يجعلون الحاء عينا»[(١)].

ويفهم مما فى المزهر أنهم يجعلون كل حاء عينا فى كلامهم ،والذى يبدو لى أن ذلك مقصور على حاء (حتى) فقط وليس كل حاء، فقد روى أن «عمر رضى الله تعالى عنه قال لعبد الله بن مسعود حين بلغه أنه يقرئ الناس (عَتَّى حِينٍ) يريد (حَتَّى حِينٍ)[(٢)]: إن القرآن لم ينزل بلغة هذيل ، فأقرئ الناس بلغة قريش»[(٣)].

فابن مسعود رضى الله عنه قلب حاء حتى عينا فى قراءته المذكورة ولم يقلب حاء حين ، وقد رويت عنه قراءات أخرى شاذة ليس فيها (حتى) وفيها الحاء ولم تقلب عينا، فقوله تعالى: (مَاجِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ)[(٤)] قرأه (مَاجِئْتُمْ بِهِ سِحْرٌ)[(٥)] ،وقوله تعالى: (فَلَا تُصَاحِبْنِى)[(٦)] قرأه : (فَلَا تَصْحَبَنِّى)[(٧)].

وقد شاركت ثقيف هذيلاً فى ظاهرة قلب حاء حتى عينا، «قال الفراء : حتى لغة قريش وجميع العرب إلا هذيلا وثقيفا فإنهم يقولون: عَتّى، قال : وأنشدنى بعض أهل اليمامة:

---

(١) المزهر : ١/٢٢٢.

(٢) يوسف : ٣٥.

(٣) الفائق للزمخشرى : ٢/٣٩١.

(٤) يونس /٨١.

(٥) مختصر فى شواذ القرآن من كتاب البديع لابن خالويه (مكتبة المتنبى بالقاهرة): ص٥٨.

(٦) الكهف /٧٦.

(٧) مختصر فى شواذ القرآن : ص٨١.

لا أضعُ الدلوَ ولا أُصَلِّى   عَتَّى أرى جِلَّتها تُوَلِّى

صوادرا مثلَ قِبابِ العلّ (١)

وقد تشكك الدكتور إبراهيم أنيس - رحمه الله- فى نسبة هذه الظاهرة لهذيل وفى تسميتها بالفحفحة، فقال: «نشك فى نسبة هذه الظاهرة لهذيل، وذلك لما نعرفة عن اتصال هذيل ببيئة الحجاز اتصالا روحيا تجلى فيما رواه صاحب كتاب الأصنام من أنه كان لهذيل صنم على الساحل يسمى «مناة»، وهو الذى ورد ذكره فى القرآن الكريم فى قوله تعالى: «وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَى»(٢). وكانت قريش تقدس هذا الصنم مع هذيل ، كما كانت هذيل تقدس «هبل» صنم قريش ، هذا إلى قرب مساكنهم من الحجاز واحتمال تأثرهم بلهجات تلك البيئة، بل إن التسمية نفسها لتحملنا على الشك فى وصف القدماء لهذه الظاهرة، فكلمة «الفحفحة» إذا نظر إليها فى ضوء مصطلحات الكشكشة والعجعجة نرى أن الحرف الثانى فى كل من هذين المصطلحين هو الحرف المقلوب إليه، وكان مقتضى هذا أن يكون معنى «الفحفحة» قلب العين إلى الحاء لا العكس، فلو أن هذه الظاهرة وصفت لنا على أنها قلب العين إلى الحاء لأمكن القول إن قبيلة هذيل المتأثرة ببيئة حضرية قد قلبت صوتا مجهوراً وهو العين إلى نظيره المهموس وهو الحاء، نحن بين أمرين إما أن نفسر الفحفحة على أنها قلب العين إلى الحاء أو نغير نسبتها لهذيل وننسبها لقبيلة أخرى بدوية مثل تميم.

---

(١) الفائق : ٢/٣٩١.

(٢) النجم / ٢٠.

ومما يبعث على الشك فى نسبة هذه الرواية إلى ابن مسعود أنه روى عنه مايفيد عكس ظاهرة الفحفحة، أى قلب العين إلى حاء فى قوله تعالى: (قَالُوا نَعَمْ[١]) قرأ ابن مسعود (قَالُوا نَحَمْ).

أما قراءته (إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى الْقُبُورِ)[٢]: «إِذَا بُحْثِرَ» فسببه يرجع إلى أن الثاء المهموسة قد أثرت فى العين وجعلتها مهموسة أيضا، وحين تهمس العين تصبح حاء»[٣].

وشك الدكتور أنيس فى نسبة ظاهرة الفحفحة لهذيل لاتصالهم ببيئة الحجاز يرده أن اللهجات لاتخضع لقانون الاطراد، إذ هى ليست كاللغة الأدبية النموذجية التى خضعت له فى جل خصائصها.

أما قياسه مصطلح الفحفحة على مصطلح الكشكشة والعجعجة وما يقتضيه هذا القياس من قلب العين حاء لاقلب الحاء عينا فليس بسديد، لأن المقصود بالفحفحة المعنى اللغوى لها الذى ذكرناه فى صدر حديثنا عن هذه الظاهرة، وهو تردد الصوت فى الحلق وغلظه.

وإذاكانت هذه الظاهرة مقصورة على قلب حاء(حتى) عينا كما بدا لنا وأيدناه بما ذكرناه فلا تعارض بين قراءة ابن مسعود رضى الله عنه (عَتَّى) وقرأته (نَحَمْ) أو (بُحْثِرَ).

و (بُحْثِرَ) لغة قرأ بها بعض أعراب بنى أسد أيضا، قال الفراء: «وسمعت بعض أعراب بنى أسد وقرأها (أى قرأ: إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى الْقُبُورِ) فقال: بُحْثِرَ، وهما لغتان: بُحْثِرَ وبُعْثِرَ»[٣].

---

(١) الأعراف/٤٤.

(٢) العاديات/٩.

(٣) د. أنيس: فى اللهجات العربية: ص١٠٨، ١٠٩.

(٤) معانى القرآن للفراء. تحقيق د. عبد الفتاح شلبى(الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٢م): ٣/٢٨٦.

٦- الشَّنْشَنَة

هى إبدال الكاف شيناً مطلقاً، مثل : لبّيش اللهم لبّيش ، أى لبّيك ، وتنسب لأهل اليمن[١].

يقول حفنى ناصف : «وكأن هذه الشنشنة أصل لغة شرويدة وزنكلون وماحولهما من مديرية الشرقية،حيث يبدولون الكاف فى نحو كلب وكشك وكمون شينا أو حرفا يقرب من الشين»[٢].

٧- الطُّمْطُمانيّة

هى إبدال لام التعريف ميماً، كقولهم : طابَ امْهَواء، يريدون: طاب الهواء ، وتنسب إلى حِمْيَر،[٣] وإلى هذيل[٤].

وقد جاء فى الآثار فيما رواه النَّمِرُ بنُ تَوْلَب أنه صلى الله عليه وسلم نطق بهذه اللغة فى قوله : ليس من امْبِرِّ امْصِيامُ فى امْسَفَرِ.

يريد : ليس من البرِّ الصيامُ فى السفرِ[٥].

«ومن كلام أبى هريرة لما حوصر عثمان: طاب امْضَرْبُ وحلَّ امْقِتَالُ»[٦]. أى طاب الضربُ وحلّ القتالُ.

---

(١) المزهر : ٢٢٢/١ . والاقتراح : ص٨٤.

(٢) مميزات لغات العرب : ص١٥.

(٣) انظر : فقه اللغة للثعالبى : ص١٢٩.

(٤) انظر : معانى الحروف للرمانى تحقيق : د. عبد الفتاح شلبى (نشر دار نهضة مصر) ص٧١.

(٥) درة الغواص للحريرى تحقيق : محمد أبو الفضل (ط دار نهضة مصر) . ص٢٤٩.

(٦) معانى الحروف للرمانى : ص٧١.

يقول حفنى ناصف: «ويمكن أن يخرج عليها قول العوام فى الديار المصرية كلها إلا مديرية الشرقية: (امبارح)، يعنون البارح، وهو أقرب يوم مضى، وأهل مديرية الشرقية يقولون: البارح»[١].

وحدثنى بعض طلابى فى كلية الشريعة والدراسات الاسلامية بالأحساء أن فى جيزان فى جنوب المملكة العربية السعودية من يقلبون لام التعريف ميما فى كلامهم، فيقولون: امسيارة، أمرجال وهكذا وينطقها كذلك الجنود الذين يعملون فى المنطقة الشرقية بالمملكة من أهل جيزان، وأكد ذلك أحد طلابى من جيزان، وذكر أن ثمة كلمات قليلة لاتقلب فيها لام التعريف ميماً، مثل: البارح فى كلامهم، والفجر، والصباح، والضحى، والظهر، والعصر، والمغرب، والعشاء، وأيام الأسبوع.

٨- الاستنطاء

هو إبدال العين الساكنة نونا إذا جاورت الطاء ، كأنْطَى فى أَعْطَى، وتنسب هذه اللهجة لسعد بن بكر ، وهذيل، والأزد ، وقيس والأنصار[٢] وأهل اليمن.

« وقد قرئ: (إِنَّا أَنْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ)[٣] ، وأنشد ثعلب :

من المُنْطِياتِ[٤] المَوْكِبَ المَعْجَ[٥] بَعْدَ ما
يُرَى فى فُرُوعِ المُقْلَتَيْنِ[٦] نُضُوبُ

---

(١) مميزات لغات العرب : ص١٤.

(٢) المزهر : ١/١١١ ، والاقتراح : ص٨٣ ، ٨٤.

(٣) الكوثر /١ . وقراءة الجمهور: (إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ) كما فى المصحف.

(٤) أى المعطيات.

(٥) فى اللسان (مادة : معج) : « معجت الناقة: سارت سيراً سهلاً».

(٦) المراد بفروع المقلتين أعاليهما. (اللسان : فرع).

وفى الحديث: وَإِنَّ مالَ اللَّهِ مَسْئُولٌ ومُنْطًى، أى مُعْطًى.

وروى الشَّعْبِىُّ[١] أن رسول الله صلى الله وسلم قال لرجل: أَنْطِهِ كذا وكذا، أى أَعْطِهِ... وفى حديث الدعاء : لامانعَ لما أَنْطَيْتَ ولامُنْطِىَ لِماَ مَنَعْتَ ... وفى الحديث: اليدُ المُنْطِيَةُ خَيْرٌ من اليد السُّفْلَى. وفى كتابه لوائل[٢]: وأَنْطُوا الثَّبَجَةَ[٣].

وظاهرة الاستنطاء موجودة اليوم فى بعض البلاد الأردنية ففى بلدة صويلح بالمملكة الأردنية الهاشمية تجرى على ألسنة العامة هناك، وقد حدثنى بذلك من سمعها منهم .

٩- الوَتْــم

هو إبدال السين تاء، كالنات فى الناس، وتنسب هذه اللهجة لأهل اليمن[٤] ، وروى عليها قول الشاعر:

ياقَبَّحَ اللَّهُ بنى السِّعــلاةِ

عمرو بنَ يربوع شرارِ النـاتِ

لَيْسُوا أَعِفَّـاءَ ولا أَكْيَــاتِ

(١) هو عامر بن شراحيل الشعبى، من الفقهاء فى الدين وجلة التابعين. مات سنة ١٠٥هـ. (مشاهير علماء الأمصار : ص١٠١).

(٢) هو وائل بن حجر الحضرمى ، كان ملكا عظيما بحضر موت، قدم على النبى صلى الله عليه وسلم وأعلن إسلامه. وكانت وفاته فى آخر ولاية معاوية رضى الله عنه. (مشاهير علماء الأمصار : ص ٤٤) .

(٣) اللسان (مادة نطو ص٤٤٦٥) وانظر النهاية (٧٦/٥). وأنطوا الثبجة : أى أعطوا الوسط فى الصدقة لامن خيار المال ولامن رُذالته. (اللسان: ثبج).

(٤) انظر: المزهر (٢٢٢/١) والاقتراح (ص٨٤) .

يريد: الناس، وأكياس ، فقلب السين تاء[١].

ثانياً: الإبدال فى الحركات

ا- حركات فى بنية الكلمة

ومن ذلك:

أ- كسر حروف المضارعة (تلتلة بهراء)

من المعروف أن حرف المضارعة يفتح فى غير الرباعى من الأفعال، ويضم فى الرباعى ، إلا أنه نسب لبهراء كسر أوائل الأفعال المضارعة، وعرفت هذه الظاهرة بتلتلة بهراء.

ففى مجالس ثعلب: «وأما تلتلة بهراء، فإنها تقول: تِعْلَمُونَ وتِعْقِلُونَ وتِصْنَعُونَ بكسر أوائل الحروف»[٢]، أى كسر أوائل الأفعال المضارعة كما ذكر السيوطى فى المزهر[٣]. وقال الحريرى[٤]: «أما تلتلة بهراء فيكسرون حروف المضارعة، فيقولون: أنت تِعْلم»[٥].

وعليها قول الشاعر:

قلتُ لبوّابٍ لَدَيْهِ دارُها

تِيذَنْ فإنّى حَمْؤُها وجارُها

---

(١) اللسان : نوت. ص٤٥٧٠.

(٢) مجالس ثعلب : ٨١/١.

(٣) المزهر : ٢١١/١.

(٤) هو أبو محمد القاسم بن على بن محمد الحريرى البصرى المتوفى سنة ٥١٦هـ. من مصنفاته: درة الغواص فى أوهام الخواص. (هدية العارفين : ٨٢٧/١).

(٥) درة الغواص: ص٢٥١.

أراد: لِتَأْذَنْ، فحذف اللام وكسر التاء[١].

وقول الآخر:

لو قلتَ ما فى قومها لم ِتيثَمِ[٢]

وفى حديث سعيد بن زيد: «ولو شهدتُ على العاشر لم إيثَمْ»[٣].

وقرئ: (فَبِذَلِكَ فَلْتِفْرَحُوا[٤])، [٥]»، وقرئ: (وَلَاتِرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا[٦]) [٧]، وقرئ: (وَلَاتِعْثَوْا فِى الْأَرْضِ[٨]) [٩]، بكسر التاء فى الجميع.

وقد ذكر سيبويه فى كتابه أن كسر أوائل الأفعال المضارعة لغة جميع العرب إلا أهل الحجاز، ولكنه قيد ذلك بأمرين:

١) أن يكون المضارع ماضيه على وزن فَعِلَ بكسر العين.

٢) ألا يكون أول المضارع ياء[١٠].

---

(١) اللسان: (أذن: ص٥٢).

(٢) نفسه: (أثم: ص٢٨).

(٣) النهاية: ١/٢٤ واللسان: (أثم).

(٤) يونس /٥٨.

(٥) اللسان: أذن.

(٦) هود /١١٣.

(٧) المختصر فى شواذ القرآن لابن خالويه: ص٦١.

(٨) البقرة/ ٦٠.

(٩) المختصر فى شواذ القرآن: ص٦.

(١٠) انظر الكتاب: ٤/ ١١٠. وفى لسان العرب (وقى) أنها لغة قيس وتميم وأسد وربيعة وعامة العرب إلا أهل الحجاز وقوم من أعجاز هوازن وأزد السراة وبعض هذيل.

ب) الوَكْم

جمهور العرب يضم كاف الخطاب المتلوة بالميم ، كقوله تعالى: «لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَاعَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ»(١).

وبعض العرب يكسرون تلك الكاف إذا كان قبلها ياء أو كسرة(٢).

وقد نسبت هذه اللهجة لربيعة كما في المزهر والاقتراح(٣)، ونسبها سيبويه لناس من بكر بن وائل، وقال: «وهي رديئة جداً، سمعنا أهل هذه اللغة يقولون : قال الحطيئة:

وإنْ قال مولاهم على جُلِّ حادث
من الدهرِ رُدُّوا فَضْلَ أحلامِكِمْ رَدُّوا (٤)

وعرفت هذه الظاهرة بالوكْم.

وهي موجودة الآن في المنطقة الشرقية بالمملكة العربية السعودية، وكان أحد طلابي بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية بالأحساء ينطق بها ، وهو من قرية القارة. وهي موجودة أيضا في قرية البطّالية بالمنطقة نفسها كما حدثني بذلك أحد طلابي من أبناء تلك القرية، فيقولون إيشْ فِيكِمْ، ومَعْكِمْ، بكسر الكاف .

---

(١) التوبة/ ١٢٨.

(٢) انظر اللهجات العربية للدكتور نجا : ص٧٨ ومميزات لغات العرب لحفني ناصف: ص٢٤.

(٣) المزهر : ١/ ٢٢٢ والاقتراح : ص٨٣.

(٤) الكتاب : ٤/ ١٩٧.

جـ- الوَهْم

جمهرة العرب تنطق هاء (هُم) مضمومة إذا لم تسبق بياء أو كسرة، فيقولون: منهُم، وعنهُم. فإن سبقت بياء أو كسرة فإنها تكسر، فيقولون: عليهم وبهم.

وقبيلة كلب تنطق بتلك الهاء مكسورة مطلقا سواء سبقت بياء أو كسرة أو لم تسبق بهما [١].

وعرفت هذه اللهجة بالوهم ونسبت لربيعة أيضا.

جاء فى المزهر والاقتراح: «الوهم فى لغة كلب، يقولون: منهِم وعنهِم وبينهِم ، وإن لم يكن قبل الهاء ياء ولاكسرة» [٢].

وقال سيبويه: «واعلم أن قومامن ربيعة يقولون: منهِم، أتبعوها الكسرة ولم يكن المسكن حاجزاً حصينا عندهم، وهذه لغة رديئة [٣] ».

وهذه اللهجة موجودة فى المنطقة الشرقية فى المملكة العربية السعودية فى منطقة الأحساء فى قرية القارة وغيرها، حدثنى بذلك أحد طلابى فى كلية الشريعة بالأحساء، وذكر لى بعض أمثلتها فى نطقهم مثل: معْهِم، وهى موجودة أيضا فى قرية البطّالية فى المنطقة نفسها.

د) فتح همزة (إما)

المشهور فى إما التى للتفصيل كسر الهمزة، كما فى قوله تعالى: «فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً» [٤].

---

(١) انظر : اللهجات العربية للدكتور نجا ص٧٨ ومميزات لغات العرب: ص٢٤.

(٢) المزهر : ١/ ٢٢٢ والاقتراح : ص٨٣.

(٣) الكتاب : ٤/ ١٩٦.

(٤) محمد /٤.

وقيس وأسد وتميم يفتحون همزتها وعلى هذه اللهجة روى قول الشاعر:

يا ليتما أُمَّنا شالت نَعامتها
أمَّا إلى جنة أمَّا إلى نـــارِ[(١)]

وقول الآخر :

تعاورها أمَّا شَمالٌ عَرِيَّةٌ[(٢)]
وأمَّا صَبًا جُنْحَ الظلامِ هَبُوبُ

وقوله :

أمَّا أُسارى وأمَّا هاجَهم فَزَعٌ
بين الرَّبيضِ يكُدُّ المطيَّةَ الفَرِقا[(٣)]

هـ - كسر أول فَعيل

المشهور فى فعيل فتح أوله سواء أكان ثانيه حرفاً من حروف الحلق أم لا، ولكن بعض العرب يكسرون أوله إذا كان ثانيه حرفا حلقيا، فيقولون: رِغيف بكسر الراء، وشِعير بكسر الشين، وزِئير بكسر الزاى. وقد نسب سيبويه هذه الظاهرة إلى تميم[(٤)]، ونسبها ابن فارس إلى أسد،وقيس[(٥)].

---

(١) اللهجات العربية للدكتور نجا ص٧٨ ، ٧٩ ومميزات لغات العرب : ص٢٣.

(٢) عرية : باردة.

(٣) تثقيف اللسان لابن مكى بتحقيق د. عبد العزيز مطر (نشر دار المعارف) : ص ٢٨٦.

(٤) الكتاب : ٤/١٠٧ ، ١٠٨.

(٥) الصاحبى : ص٣٤.

وهذا ضرب من تقريب الصوت من الصوت مع حروف الحلق كما ذكر ابن جنى ، وقال: «وسمعت الشَّجَرِيّ[١] غير مرة يقول: زِئير الأسد، يريد : الزئير.

وحكى أبو زيد[٢] عنهم : الجنة لمن خاف وِعيد الله»[٣] . أى بكسر الواو فى وعيد.

« وناس من أهل اليمن مما يلى الشحر وعُمان يكسرون فاء فعيل كله،فيقولون للكثير : كِثير» كما جاء فى كتاب العين للخليل بن أحمد[٤].

٢- حركات فى بناء الكلمة

ومن ذلك :

أ) كسر ياء المتكلم إذا أضيف إليها جمع المذكر السالم

المشهور فتح ياء المتكلم إذا أضيف إليها جمع المذكر السالم، كما فى القرآن الكريم «مَا أَنَا بِمُصْرِخُكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ»[٥].

---

(١) هو عبد الله الشجرى صاحب ابن جنى الذى روى عنه كثيرا فى كتبه، وكان يقول الشعر. (انظر الخصائص: ٧٨/١، ٢٤٠، ٢٥٠).

(٢) هو أبو زيد سعيد بن أوس الأنصارى، كان من أحفظ الناس للغة ، من مصنفاته: النوادر. مات سنة ٢١٥هـ . (نزهة الألباء: ص١٢٥).

(٣) الخصائص : ١٤٣/٢ .

(٤) العين : ٧ / ١٧٥.

(٥) إبراهيم /٢٢.

وفى الحديث: «أو مخرجىّ هم؟»[١].

ولهجة بنى يربوع كسرها.

وبها قرئ: «وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيِّ» بكسر الياء، وهى قراءة حمزة والأعمش وغيرهما[٢].

ب) الضميران هو وهى

هو وهى من ضمائر الرفع المنفصلة، والمشهور نطقهما بفتح الواو من هو والياء من هى، فيقال: هُوَ فَعَلَ ذلك، وهِيَ فَعَلَتْ ذلك.

وقد نسب إلى قيس وأسد تسكين الواو من هو والياء من هى، فيقولون : هُوْ فَعَل ذلك ، وهِيْ فَعَلَتْ ذلك.

وعلى هذه اللهجة أُنشد قول الشاعر:

وَرَكْضُكَ لولا هُوْ لَقِيتَ الذى لَقُوا
فأصْبَحْتَ قد جاوَزْتَ قومًا أعاديا

وقول الآخر :

وكُنَّا إذا ما كانَ يومُ كَريهةٍ فَقَدْ عَلِمُوا أنّى وهُوْ فَتَيانِ

وقوله :

أدعوته بالله ثم قتلته لو هُوْ دعاك بذمة لم يغدر

---

(١) صحيح البخارى (ط دار مطابع الشعب) : ١/٤. والأصل : أو مخرجوى، فاجتمعت واو ساكنة وياء ، فأبدلت الواو ياء وأدغمت فى الياء ، وأبدلت الضمة التى كانت قبل الواو كسرة.

(٢) انظر : شرح الكافية للرضى(دار الكتب العلمية - بيروت ١٩٨٣ ط٣) ١/٢٩٥ ومنار السالك إلى أوضح المسالك (مطبعة الفجالة الجديدة) : ١/ ٤٤٨ ، وإتحاف فضلاء البشر : ص٢٧٢ ومميزات لغات العرب : ص٢٣.

وقوله:

إنّ سلمى هِىَ التى لو تراءتْ   حبذا هِىْ من خلة لو تخابى

والشاهد فى (هى) الثانية.

وقد ورد تشديد الواو من هو والياء من هى ، ونسب ذلك إلى همدان.

وأنشد عليه قول الشاعر:

وإنّ لِسانى شُهْدَةٌ يُشْتَفَى بها   وَهُوَّ على مَنْ صَبَّهُ اللهُ عَلْقَمُ

وقول الآخر:

والنفسُ ما أمرت بالعنف آبيةٌ   وهِىَّ ما أمرت باللطف تأتمرُ[(١)]

ونطق العامة فى مصر اليوم لهذين الضميرين يوافق لهجة همدان.

جـ) هاء التنبيه الداخلة على نعت أىّ فى النداء

المشهور فى هذه الهاء بناؤها على الفتح ووصلها بألف تظهر عند الوقف ، فيقال: يأيها الناسُ، ويأيها الرجلُ، وبنو أسد يحذفون الألف ويضمون الهاء إتباعا ، إذا لم يتلها اسم إشارة، فيقولون: يأيُّهُ الناس، يأيُّهُ الرجل، وعليه قراءة ابن عامر (أَيُّهُ المؤْمِنُونَ) ،[(٢)] و (أَيُّهُ الثَّقَلَانِ[(٣)]) ، و(يَأَيُّهُ السَّاحِرُ[(٤)]) فى الوصل.

أما إذا تلاها اسم إشارة فتفتح عند الجميع، مثل : يأيُّهَذا[(٥)].

---

(١) انظر: لسان العرب (ص ٤٥٩٥ ، ٤٥٩٧ها ، ص ٤٧٤٣ هيا) ، وشرح الكافية للرضى (٢/ ١٠) واللهجات العربية للدكتور نجا ص٧٩.

(٢) النور / ٣١. وانظر الإتحاف (ص٣٢٤).

(٣) الرحمن / ٣١. وانظر الإتحاف (ص٤٠٦).

(٤) الزخرف/ ٤٩ . وانظر الإتحاف (ص٣٨٦).

(٥) انظر : مغنى اللبيب لابن هشام (ط عيسى الحلبى) : ٢٧/٢ ، ٢٨ ومميزات لغات العرب: ص٢٣.

د) ما كان اسما للفعل على وزن فَعالِ

اسم فعل الأمر الذى على وزن فعال كحذار بمعنى احذر مبنى على الكسر عند جمهور العرب، وعليه قول الشاعر:

* حَذَارِ مِنْ أَرْمَاحِنَا حَذَارِ *

وقول الآخر :

* تَرَاكِهَا مِنْ إبلٍ تَراكِها *

أي اتركها

وبنو أسد يفتحون آخره(١).

الاختلاف فى الإعراب

أوجه الإعراب هى الرفع والنصب والجر والجزم، والذى يعنينا هنا منها ما اختصت به بعض القبائل دون سائر العرب، ومن ذلك مايلى :

ا) المثنى

يرفع المثنى بالألف وينصب ويجر بالياء، وهذا هو المشهور فى إعرابه، ولكن بعض القبائل العربية خالفت جمهور العرب فى ذلك وألزمته الألف فى جميع أحواله، ونسبت هذه الظاهرة إلى بلحارث بن كعب وخثعم وزبيد وكنانة وبنى العنبر وبنى هجيم وعذرة وبطون من ربيعة وبكر بن وائل، وعليها قول الشاعر:

---

(١) انظر : شرح شذور الذهب : ص٨٩ ومابعدها.

تَزَوَّدَ مِنَّا بَيْنَ أُذْناه طعنةً
دَعَتْهُ إلى هابى التراب[١] عقيمِ

وقول الآخر :

إنّ أباها وأبا أباهـــا قد بلغا فى المجد غايتاها

وخرج عليها قراءة قوله تعالى: «إِنَّ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ[٢]»، بتشديد نون إن وقوله صلى الله عليه وسلم: «لاوتران فى ليلة»[٣].

وتخريج القراءة المذكورة على هذه اللهجة فى رأينا أولى من تلك التخريجات الأخرى التى ذكرها بعض النحاة والتى لاتخلو من التعسف[٤].

---

(١) الهابى من التراب: ما ارتفع ودق. (اللسان : هبا) .

(٢) طه /٦٣ .

(٣) انظر : شرح شذور الذهب لابن هشام (مطبعة السعادة بمصر ١٩٥٧ ط ٧): ص٤٦ -٤٨ ، والظواهر اللهجية فى شرح ابن عقيل للدكتور شعبان عبد العظيم (مطبعة حسان ١٩٨٩): ص٨.

(٤) فقد قيل: إن (إنّ) بمعنى نعم كما فى قول ابن الزبير لرجل قال له : لعن الله ناقة حملتنى إليك: إن وراكبها. أى نعم ولعن الله راكبها. وهذان مبتدأ وساحران خبر لمبتدأ محذوف أى لهما ساحران والجملة خبر هذان، ولايكون (الساحران) خبر (هذان) لأن لام الابتداء لاتدخل على خبر المبتدأ.

وقيل: إن الأصل إنه هذان لهما ساحران ، فالهاء ضمير الشأن، ومابعدها مبتدأ وخبر ، والجملة فى موضع رفع على أنها خبر إن ثم حذف المبتدأ وحذف ضمير الشأن.

وقيل: إنه لمثنى (هذا) اجتمع ألفان ألف هذا وألف التثنية فوجب حذف واحدة منهما لالتقاء الساكنين ، ومن قدر المحذوفة ألف هذا والباقية ألف التثنية =

٢) إعمال ما عمل ليس

تعمل (ما) عمل ليس عند أهل الحجاز بشروط خاصة مذكورة فى كتب النحو[١]، فيرفعون بها المبتدأ وينصبون الخبر، وعلى لهجتهم قوله تعالى: «مَاهَذَا بَشَرًا »[٢] بنصب (بَشَرًا) وقوله تعالى: «مَاهُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ»[٣] بنصب (أمهات).

وقول الشاعر:

أبناؤها متكنفو آبائهم   حنقو الصدور وماهم أولادَها

بنصب (أولادها).

وبنو تميم أهملوا إعمالها، فهى لاتعمل عندهم شيئا، وبلهجتهم قرأ ابن مسعود (مَاهَذَا بَشَرٌ) برفع (بشر). ونقل عن عاصم (مَاهُنَّ أُمَّهَاتُهُمْ) برفع (أمهات)[٤].

= قلبها فى الجر والنصب ياء ، ومن قدر العكس لم يغير الألف عن لفظها.

وقيل: إنه لما كان الإعراب لايظهر فى الواحد وهو (هذا) جعل كذلك فى التثنية ليكون المثنى كالمفرد لأنه فرع عليه. (انظر: شرح شذور الذهب : ص٤٨، ٤٩).

(١) انظر شرح ابن عقيل على الألفية (مطبعة دار إحياء الكتب العربية بمصر) : ص٤٤.

(٢) يوسف / ٣١.

(٣) المجادلة / ٢.

(٤) انظر حاشية الخضرى على ابن عقيل (ط. عيسى الحلبى): ١١٩/١.

٣) خبر ليس المقترن بإلا

إذا اقترن خبر ليس بإلا نحو: ليس الطيب إلا المسك ، فأهل الحجاز ينصبونه ، وبنو تميم يرفعونه حملاً لليس على ما فى الإهمال عند انتقاض النفى، كما حمل أهل الحجاز ما على ليس فى الإعمال عند استيفاء شروطها.

وقد حكى ذلك عنهم أبو عمرو بن العلاء، فبلغ ذلك عيسى بن عمر الثقفى[١] فجاءه، فقال: يا أبا عمرو، ماشئ بلغنى عنك؟ ثم ذكر ذلك له، فقال له أبو عمرو: نمت وأدلج[٢] الناس ، ليس فى الأرض تميمى إلا وهو يرفع ولا حجازى إلا وهو ينصب، ثم قال لليزيدى[٣] ولخلف الأحمر[٤]: اذهبا إلى أبى مهدى فلقناه الرفع فأنه لايرفع وإلى المنتجع التميى فلقناه النصب فإنه لاينصب، فأتياهما وجهدا بكل منهما

---

(١) كان ثقة عالما بالعربية والنحو والقراءة ، وكان فصيحا يتقعر فى كلامه. مات سنة ١٤٩هـ . انظر ترجمته فى : طبقات النحويين واللغويين ص٤٠ ونزهة الألباء ص٢١.

(٢) الإدلاج : سير الليله كله. (المصباح : دلج).

(٣) هو محمد بن المبارك اليزيدى، كان عالما باللغة والنحو وأخبار الناس، أخذ عن أبى عمرو بن العلاء وغيره . مات سنة ٢٠٢هـ.
انظر ترجمته فى طبقات النحويين واللغويين للزبيدى (ص٦١) ونزهة الألباء (ص٨١).

(٤) هو أبو محرز خلف بن حيان المعروف بخلف الأحمر ، كان أعلم الناس بالشعر. مات سنة ١٨٠ هـ . انظر ترجمته فى طبقات النحويين واللغويين (ص١٦١) ونزهة الألباء (ص٥٨) وهدية العارفين (ص٣٤٨).

أن يرجع عن لغته فلم يفعل، فأخبرا أبا عمرو وعنده عيسى، فقال له عيسى: بهذا فقت الناس[١].

٤) نصب الخبر بعد (إن النافية)

تعمل إنْ عمل ليس فى لغة أهل العالية[٢] فترفع المبتدأ وتنصب الخبر ، سمع من بعضهم : إنْ أَحَدٌ خيرا من أحد إلا بالعافية، وعليها قول الشاعر :

إنْ هو مستولياً على أحد إلا على أضعف المجانين

وقول الآخر:

إن المرءُ ميتاً بانقضاء حياته

ولكن بأن يبغى عليه فيخذلا

وقرأ سعيد بن جبير : (إِن الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَاداً أَمْثَالَكُمْ[٣]) فنصب (عبادا) [٤].

وقراءة الجمهور: (إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ).

---

(١) انظر مغنى اللبيب لابن هشام (ط. عيسى الحلبى) (١/٢٢٧) وانظر الحكاية المذكورة فى طبقات النحويين واللغويين للزبيدى (ص٤٣ . ٤٤) فثمة تفصيل فى روايتها.

(٢) العالية : مافوق أرض نجد إلى أرض تهامة وإلى ماوراء مكة. (اللسان: ع ل و).

(٣) الأعراف /١٩٤ وانظر المختصر فى شواذ القرآن لابن خالويه (ص٤٨).

(٤) انظر : مغنى اللبيب (١/٢٢) ومنار السالك إلى أوضح المسالك (١/١٤٩) وشرح ابن عقيل على الألفية (ص٤٥).

٥) جوازم لعلّ

لعلّ تنصب المبتدأ وترفع الخبر ولكن بنى عقيل يخالفون جمهرة العرب فى ذلك ويجرون بها الاسم الواقع بعدها، وعليه قول الشاعر:

فقلتُ ادعُ أُخرى وارفع الصوتَ جهرةً
لَعَـلّ أبى المِغْوارِ منكَ قَرِيـبُ

وقول الآخر:

لعلّ اللهِ فَضّلَكُمْ علينـا ... بشئ أن أُمّكُمْ شَرِيـمُ (١)

٦) الجر بـ (متى)

تستعمل متى عند هذيل استعمال من الجارة، فيجرون بها، ومن كلامهم: أخرجها متى كمه، يريدون من كمه، وقول أبى ذؤيب الهذلى يصف السحاب:

شَرِبْنَ بماءِ البحرِ ثم تَرَفَّعَتْ
مَتَى لُجَجٍ خُضْرٍ لهنّ نَئِيجُ(٢)

أى مِنْ لجج.

وقول الآخر :

إذا أقولُ صحا قلبى أُتِيحَ لَهُ
سُكْرٌ مَتَى قَهْوَةٍ سارتْ إلى الراسِ

أى مِنْ قهوةٍ. (٣)

---

(١) انظر حاشية الخضرى على ابن عقيل: ١/٢٢٦. وشريم : مفضاه شُق مسلكاها فصارا شيئاً واحداً. (اللسان : شرم).

(٢) النئيج : الصوت . (اللسان : نأج).

(٣) انظر : حاشية الخضرى على ابن عقيل (١/٢٢٦) واللسان (متى ص٤١٣١، ٤١٣٢). والقهوة : الخمر. (اللسان قها ص٣٧٦٧).

٧) صرف مالا ينصرف للوصفية وزيادة الألف والنون

بنو أسد يصرفون مالا ينصرف إذا كانت علة منعه من الصرف الوصفية وزيادة الألف والنون ، فيقولون: لست بسكران، ويؤنثونه بالتاء ويستغنون فيه بفعلانة عن فعلى ، فيقولون سكرانة[١].

٨) نصب تمييز كم الخبرية المفرد

بنو تميم ينصبون تمييز كم الخبرية إذا كان مفردا ، فيقولون: كم ملكاً باد ملكه، بنصب ملكاً، وجمهور العرب يجره ، فيقولون: كم ملكٍ باد ملكه، بالجر.

وعلى لهجة تميم روى بيت الفرزدق وهو تميمى:

كم عَمَّةً لك ياجريرُ وخالــــة
فدعاءَ[٢] قد حَلَبَتْ عَلَيَّ عِشارِى

بنصب عمّة.

وخرج بعضهم النصب على أن كم فى البيت استفهامية والاستفهام للتهكم، ولاضرورة إلى هذا التخريج مادام يروى على لهجة تميم[٣].

---

(١) انظر : حاشية الصبان على شرح الأشمونى على ألفية ابن مالك (٣/٢٣٤) وحاشية الخضرى على ابن عقيل (٢/٩٨).

(٢) الفدع بفتح الفاء والدال: اعوجاج الرسغ من اليد أو الرجل فينقلب الكف والقدم إلى الجانب الأيسر، يقال : رجل أفدع، وأمرأة فدعاء. (المصباح: فدع).

(٣) انظر: مغنى اللبيب لابن هشام (١/١٥٨، ١٥٩) وحاشية الصبان (٤/٨١) ومميزات لغات العرب (ص١٩).

٩) إعمال القول عمل ظن

بنو سُليم يعملون القول عمل ظن مطلقا فينصب المفعولين، فيقولون: قلت زيدا قائما، أي : ظننت زيداً قائما، وعليه يروى قول امرئ القيس:

* تقول هزيزَ الريحِ مرت بأثابِ *

وفى لغة جمهور العرب لايعمل ذلك إلا بشروط، منها: أن يكون فعلا مضارعا، وأن يكون بعد استفهام، وأن يكونا متصلين، أى الفعل المضارع والاستفهام، وأن يكون مسندا للمخاطب ، وألا يتعدى باللام، كقولك: أتقول زيدا قائما ؟.

ولهذا أشار ابن مالك بقوله:

وَأُجْرِىَ القَوْلُ كَظَنٍّ مُطْلَقَا عِنْدَ سُلَيْمٍ نَحْوُ قُلْ ذَا مُشْفِقَا (١)

التردد بين الإعراب والبناء

مما تردد بين الإعراب والبناء فاختلفت به لهجات العرب مايلى:

١) الذين

من الأسماء الموصولة (الذين) وهى مبنية على الفتح فى الرفع والنصب والجر عند جمهور العرب ، وبنو هذيل أو عقيل يعربونها إعراب جمع المذكر السالم، وروى على لهجتهم قول الشاعر:

نحن اللَّذُونَ صَبَّحُوا الصَّبَاحَا يوم النُّخَيْلِ غارةً مِلْحاحا (٢)

---

(١) انظر : منار السالك إلى أوضح المسالك : ١/٢٢٦ ومابعدها.

(٢) انظر : حاشية الخضرى على ابن عقيل : ١/٧٢.

٢) أمس

إذا أريد بـ (أمس) اليوم الذى قبل يومك فللعرب فيه ثلاث لغات:

أ) لغة أهل الحجاز، وهى بناؤه على الكسر مطلقا، فيقولون ذهب أَمْسِ بما فيه، واعتكفتُ أَمْسِ، وعجبتُ من أَمْسِ، وروى على هذه اللغة قول الشاعر:

مَنَعَ البقاءَ تَقَلُّبُ الشمسِ وطلوعُها من حيثُ لاتُمسِى
وطلوعُها حمراء صافيـة وغروبُها صفراء كالــوَرْسِ
اليوم أعلمُ مايجىء بـه ومضى بفصـل قضائه أَمْسِ

ب) لغة بعض بنى تميم، وهى إعرابه إعراب مالاينصرف مطلقا، وعليها قول الشاعر:

لقد رأيتُ عجباً مذ أَمْسَا * عَجائِزاً مثلَ السَعالِى خَمْسَا
يَأكُلْنَ مافى رَحْلِهِنَّ هَمْسَا * لاترك اللهُ لهنّ ضِرْسَا

جـ) لغة جمهور بنى تميم، وهى إعرابه إعراب مالا ينصرف فى حالة الرفع فقط، ويبنونه على الكسر فى حالتى النصب والجر.

فإذا أريد بـ (أمس) يوم من الأيام الماضية، أو كسر، أو دخلته أل، أو أضيف، أعرب عند الجميع.

قال الشاعر:

مَرَّتْ بنا أوَّلَ من أُمُوسِ * تَمِيسُ فينا مِيسَةَ العروسِ

وتقول: ماكان أَطْيَبَ أَمْسَنَا.

وقال الشاعر:

فإنى وقفتُ اليومَ والأمس قبله ببابك حتى كادت الشمسُ تغربُ(١)

---

(١) انظر: شرح شذور الذهب لابن هشام (ص٩٨ ومابعدها) وشرح قطر الندى له (ص١٥ ومابعدها).

٣) ما كان على (فعال) وهو علم مؤنث

للعرب فيما كان على فعال وهو علم مؤنث ثلاث لغات:

أ) لغة أهل الحجاز ، وهى بناؤه على الكسر مطلقاً، وعليها قول الشاعر:

إذا قالتْ حَذامِ فصدّقوها   فإن القولَ ماقالتْ حَذامِ

ب) لغة بعض بنى تميم ، وهى إعرابه إعراب مالا ينصرف مطلقاً.

جـ) لغة جمهور بنى تميم، وهى بناء ما آخره راء من ذلك على الكسر، وماليس آخره راء يمنع من الصرف ، قال الفرزدق:

متى تَرِدَنْ يوما سَفارِ تجدْ بها
أُدَيْهِمَ يرمى المُسْتَجيزَ المعوّرا (١)

٤) مع

المشهور فيها فتح العين، وهو فتح إعراب، ولهجة ربيعة وغَنْم بناؤها على السكون، فيقولون : مَعْكم ومَعْنا، وعليها قول الشاعر:

فَريشى مِنْكُمُ وهَواىَ مَعْكُمْ   وإنْ كانت زيارتُكم لِماما (٢)

وفى منطقة القصيم بالمملكة العربية السعودية يقول الناس اليوم: مَعْكم ومَعْنا ومَعْهم، بإسكان العين، كما كان ينطق بها فى لهجة ربيعة وغَنْم قديما.

---

(١) انظر : شرح شذور الذهب (ص٩٥ومابعدها) وشرح قطر الندى (ص١٤، ١٥).
والمستجيز : المستسقى. والمعوّر: الذى لايسقى إذا طلب الماء .

(٢) انظر: حاشية الصبان : ٢٦٥/٢ ، واللسان (معع).

وهذا مقصور على ضمير الجمع المتصل للمتكلمين والمخاطبين والغائبين، وكذا إذا سبقت (مع) الاسم الظاهر، مثل: مع خالد، فيسكنون العين، أما إذا أفرد الضمير للمتكلم أو المخاطب، كقولك : معى أو معك، فيكسرون الميم والعين، كما حدثنى بذلك أحد طلابى من أهل منطقة القصيم، أما مع ضمير الغائب المفرد فيضمون الميم والعين، فيقولون: مُعُه، أما مع المؤنثة فيقولون: مَعَهْ ، أى بدل معها، كما يقولون: كِتابَهْ، بفتح الباء وإسكان الهاء بدل كِتابها.

الزيادة والنقصان

مما اختلفت به لهجات العرب زيادة حرف فى الكلمة أو نقصه منها، ومن أمثلة ذلك مايلى:

ا) اللَّخْلَخَانِيَّة

اللخلخانية كما يقول الزمخشرى: «اللكنة فى الكلام ، وهى من معنى قولهم: لخ فى كلامه، إذا جاء به ملتبسا مستعجما[(١)]».

وهى «فى لغات أعراب الشِّحْر وعُمان ، كقولهم : مشا الله كان، يريدون : مشاء الله كان[(٢)]».

وهذه اللهجة شائعة على ألسنة العامة فى مصر اليوم، وعليها قولهم: «يامشا الله عليه، ويا مشا الله عليها» وقولهم: فلانة اشترت مشا الله ، يريدون: القطعة الذهبية التى كتب عليها (مشاء الله) التى تعلق فى جيد المرأة.

---

(١) الفائق : ٣/٣١٢.

(٢) فقه اللغة للثعالبى : ص١٢٩.

وقولهم : ماوَرْد ، ومازَهْر ، يريدون : ماء ورد، وماء زهر.

٢) القُطْعة

هى قطع اللفظ عند النطق به قبل تمامه(١)، وتنسب لطئ، جاء فى اللسان: «القطعة فى طئ كالعنعنة فى تميم، وهو أن يقول: يا أبا الحكا، يريد: يا أبا الحكم ، فيقطع كلامه»(٢).

وهى تشارك الترخيم فى أنها حذف آخر الكلمة إلا أن الحذف فى الترخيم مقصور على آخر الاسم المنادى(٣).

وهذه الظاهرة شائعة عندنا فى نطق العامة فى بعض مدن وقرى محافظة الغربية، ومنها قريتى محلة منوف التابعة لمركز طنطا.

٣) حذف نون (من) الجارة

نون (من) الجارة تبقى دائما سواء أوليها متحرك أو ساكن، وخثعم وزبيد من قبائل اليمن يحذفون النون إذا وليها ساكن ، وعلى هذه اللهجة روى قول الشاعر :

لقد ظفر الزُّوّارُ أقفيةَ العدا بماجاوزَ الآمالَ مِلْأَسْرِ والقتلِ(٤)

وقول الآخر:

أبلغْ أبا دَخْتَنُوسَ مَأْلُكَةً(٥) غَيْرَ الذى قد يُقال مِ الكَذِبِ

(١) مميزات لغات العرب : ص٣١.

(٢) لسان العرب : قطع ص٣٦٨٠.

(٣) مميزات لغات العرب : ص٣١.

(٤) نفسه : ص٣٢ ، ١٣.

(٥) المألكة : الرسالة . (اللسان : ألك).

وقوله:

أَلاَ أبلغْ بنى عَوْفٍ رَسُولاً   فَما ﻣِ الآنَ فى الطيرِ اعتـذارُ[١]

وهذه الظاهرة شائعة على ألسنة العامة عندنا فى مصر الآن.

٤) اللذان واللتان

الشائع فيهما بقاء النون، ولهجة بلحارث بن كعب وبعض ربيعة حذف النون منهما فى حالة الرفع، وعليها قول الشاعر:

أبنى كُلَيْبٍ إنَّ عَمَّىَ اللذا   قتلا الملوكَ وفكَّكا الأغلالا

وقول الآخر:

هما اللَّتَا لو ولدتْ تميم   لقيلَ فَخْرٌ لهـم صميـمُ

وتميم وقيس يثبتون النون فيهما ويشددونها، فيقولون: (اللَّذَانِّ واللَّتَانِّ) بالتشديد.

وقد قرئ: (وَاللَّذَانِّ يَأْتِيَانِهَا مِنْكُمْ)[٢]، ولايختص ذلك بحالة الرفع، فقد قرئ أيضا: «رَبَّنَا أَرِنَا اللَّذينِّ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ»[٣]، و«إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتينِّ»[٤] بالتشديد[٥].

---

(١) اللسان : (متن) ص ٤٢٨٢.

(٢) النساء/١٦.

(٣) فصلت/٢٩.

(٤) القصص/٢٧. والقراءات المذكورة قرأ بها ابن كثير. (انظر الإتحاف: ص١٨٧).

(٥) انظر : منار السالك إلى أوضح المسالك : ١/٧٨ ، ٧٩ وحاشية الصبان : ١/ ١٤٧، ١٤٨.

٥) الإتيان باللام بعد اسم الإشارة

بنو تميم لايأتون بلام البعد بعد اسم الإشارة مطلقا، وقيس وأسد وربيعة يأتون بهذه اللام بعد اسم الإشارة الذى للمفرد والجمع فى حالة القصر، ومنه قول الشاعر:

أُولَالِكَ قَوْمِى لم يكونوا أُشابةً[1]
وهل يعظُ الضليلَ إلا أُولَالِكَ

وتميم تقصر اسم الإشارة للجمع كقيس وربيعة وأسد إلا أنهم لايأتون باللام معه[2].

٦) إسناد الفعل إلى الظاهر المثنى والجمع

إذا أسند الفعل إلى ظاهر مثنى أو مجموع فجمهور العرب يجردونه من علامة تدل على تثنيته أو جمعه، فيكون كحاله إذا أسند إلى مفرد، فلا يقولون: قاما الزيدان، ولا قاموا الزيدون، ولاقمن الهندات، وإنما يقولون: قام الزيدان، وقام الزيدون، وقامت الهندات.

وقد حكى عن طئ وأزد شنوءة إلحاق هذه العلامات بالفعل، وروى على هذه الظاهرة قول الشاعر:

تَوَلَّى قتالَ المارقِينَ بِنَفْسِهِ   وَقَدْ أَسْلَمَاهُ مُبْعَدٌ وحَمِيمُ

وقول الآخر:

يَلُومُونَنِى فى اشْتِرَاءِ النَّخيـ   ـلِ أَهْلِى فَكُلُّهُمُ يَعْـذِلُ

---

(١) الأُشابة: أخلاط الناس تجتمع من كل أوب. (اللسان: أشب).

(٢) انظر: حاشية الصبان: ١/١٤٢، واللهجات العربية للدكتور نجا: ص٩٣.

وقوله:

رَأَيْنَ الغَوانِي الشَّيْبَ لاحَ بِعَارِضِي

فَأَعْرَضْنَ عَنِّي بالخُدُودِ النَّوَاضِرِ(١)

٧) إشباع حركتى الضميرين المتصلين التاء والكاف

التاء والكاف من الضمائر المتصلة،والأول منهما للرفع والثانى للنصب، وإذا خوطب بهما المفرد المذكر نطقا بالفتح، وإذا خوطب بهما المؤنث نطقا بالكسر.

وربيعة تشبع الفتحة فيتولد منها ألف، وتشبع الكسرة فيتولد منها ياء، فيقال بلهجتهم فى خطاب المفرد المذكر: قمتا. ورأيتكا، ويقال فى خطاب المؤنثة: قمتى، ورأيتكى(٢)، وعليها قول الشاعر:

واللَّهِ لَوْ كَرِهَتْ كَفِّى مُصَاحَبَتِي

لقلتُ للكَفِّ بِينِى إِذْ كَرِهْتِينِى(٣)

٨) ماجاء على فَعَلَ وأَفْعَلَ والمعنى واحد

من ذلك :

---

(١) انظر : الظواهر اللهجية فى شرح ابن عقيل للدكتور : شعبان عبد العظيم ص٢٣، ٢٤.

(٢) اللهجات العربية : د. نجا : ص٩٢ ، ٩٣.

(٣) طلبة الطلبة لأبى حفص النسفى : ص١٠٧.

أ) فتن وأفتن

أهل الحجاز يقولون: فتنت الرجل، وأهل نجد يقولون: أفتنته.[(١)]

ب) سحت وأسحت

سحت الرجل الشئ وأسحته : استأصله[(٢)].

وأهل الحجاز يقولون : سحت ، وأهل نجد وتميم يقولون : أسحت[(٣)].

جـ) عصف وأعصف

عصفت الريح وأعصفت ، إذا اشتد هبوبها[(٤)].

وبنو أسد يقولون : أعصفت ، وغيرهم يقول: عصفت[(٥)].

د) ضحك وأضحك

بلحارث بن كعب يقولون: ضَحِكَتْ النخلةُ ، أى أخرجت ضَحْكها وهو الطَّلْع، وغيرهم يقول : أضحكت النخلة[(٦)].

هـ) سرى وأسرى

الحجازيون يقولون : أسرى وغيرهم يقول: سرى[(٧)].

---

(١) معانى القرآن للفراء : ٢/٣٩٤.

(٢) كتاب فعلت وأفعلت للزجاج (نشر وتعليق الأستاذ محمد عبد المنعم خفاجى): ص٢١.

(٣) إتحاف فضلاء البشر : ص٣٠٤.

(٤) كتاب فعلت وأفعلت للزجاج : ص٢٩.

(٥) اللسان والتاج : (عصف).

(٦) المنجد فى اللغة لكراع النمل تحقيق د. أحمد مختار عمر وضاحى عبد الباقى (مطبعة الأمانة بالقاهرة ١٩٧٦) : ص٢٤٥.

(٧) انظر المصباح المنير : (سرى).

الاختلاف في هيئة النطق

تختلف القبائل فى هيئة النطق بالكلمات والنطق بالعبارات، فالعبارة الواحدة المركبة من كلمات معينة وإن كانت متحدة مادة تختلف هيئة تبعا لعادات الناطقين بها ، وذلك عام فى اللغة العربية وفى سائر اللغات ، والاختلاف فى هيئة النطق يكون بالشدة والرخاوة، والسرعة والبطء ، والتفخيم والترقيق، والوصل والقطع ، والإمالة والفتح.

ونقلة اللغة العربية علي الرغم من جهدهم المشكور لم ينقلوا لنا الهيئات التى كان عليها نطق العرب، ولم يضعوا لها فى الكتابة إشارات تدل عليها.

وقد نقل العلماء أن بنى قضاعة كانوا إذا تكلموا لاتكاد تظهر حروفهم ولاتتميز كلماتهم، وعدوا ذلك عيباً ، وسموا هذه الظاهرة غمغمة قضاعة[1]، ولكنهم لم يذكروا لها مثالا، ولايمكن معرفة حقيقة هذه الظاهرة إلا بالمشافهة ، وأين هى؟

على كل حال فالقبائل البدوية بوجه عام تميل إلى الاقتصاد فى الجهد العضلى والسرعة فى الكلام، ولذا فهى تميل إلى التفخيم والإمالة والإدغام، والقبائل الحضرية تميل إلى الوضوح وإظهار الأصوات، وهاك مايبين ذلك فيما يلى :

---

(١) مميزات لغات العرب ، ص٣٧ وما بعدها بتصرف .

١) التفخيم والترقيق

التفخيم : جعل جسم الحرف سمينا حتى يمتلئ الفم بصداه.

والترقيق: جعل جسم الحرف نحيلا فلا يمتلئ الفم بصداه[١] ، ومن أمثلة ذلك مايلى:

أ) بين التاء والطاء

تقول تميم: أفلطنى بالطاء بدلاً من أفلتنى، ففى اللسان: «وأفلطنى الرجل إفلاطاً مثل أفلتنى، وقيل: لغة فى أفلتنى تميمية قبيحة[٢].

وتميم من القبائل البدوية فهى تؤثر الطاء على التاء لميلها إلى التفخيم.

ب) بين السين والصاد

بنو العنبر يقولون فى الساق: الصاق، جاء فى اللسان : «الصاق لغة فى الساق عنبرية»[٣].

وبنو العنبر كما مر فى حديثنا عن القبائل العربية بطن من تميم، فهم من القبائل البدوية التى تميل إلى التفخيم.

---

(١) اللهجات العربية : د. نجا : ص٩٩.

(٢) اللسان : (فلط) ص ٣٤٦١.

(٣) اللسان : (صوق) ص٢٥٢٨.

جـ) بين القاف والكاف

في اللسان قال يعقوب[١]: « قريش تقول : كشط، وتميم وأسد يقولون: قشط ، وفي التنزيل العزيز: (وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ)، [٢] قال الفراء: يعني نزعت فطويت، وفي قراءة عبد الله: «قُشِطَتْ» بالقاف والمعنى واحد[٣] ».

وتميم وأسد من القبائل البدوية التي تميل إلى التفخيم، ولذا آثروا صوت القاف على صوت الكاف.

٢) الفتح والإمالة

الفتح : فتح الفم بلفظ الحرف .

ويقال له : التفخيم والنصب.

والإمالة : أن ينحى بالفتحة نحو الكسرة وبالألف نحو الياء[٤].

والذي يعنينا هنا لهجات القبائل العربية في الفتح والإمالة، فأي القبائل كانت تؤثر الفتح؟ وأي القبائل كانت تؤثر الإمالة؟

يكاد القدماء يتفقون على أن الفتح لهجة أهل الحجاز وأن الإمالة لهجة تميم ومن جاورهم من سائر أهل نجد كأسد وقيس، وذكر السيوطي في الإتقان أن الرسول صلى الله عليه وسلم قرأ (يَايَحْيى)[٥]، فقيل له:

---

(١) هو ابن السكيت .

(٢) التكوير/ ١١.

(٣) اللسان : (كشط) ص٣٨٨٢.

(٤) الإتحاف : ص٧٣.

(٥) مريم/ ١٢.

يارسول الله تميل وليس هى لغة قريش، فقال: هى لغة الأخوال من بنى سعد. وذكر ابن الجزرى أن الإمالة لغة هوازن وبكر بن وائل وسعد بن بكر. ونقل السيوطى فى الهمع أن أكثر اليمن يميلون ألف حتى، لأن الإمالة غالبة فى ألسنتهم فى أكثر الكلام ، وقد ذكر سيبويه أن الحجازيين يميلون فى مواضع قليلة[1].

ومعنى هذا أن القبائل التى تميل هى تميم، وأسد، وقيس، وهوازن، وسعد بن بكر، وبكر بن وائل، والقبائل اليمنية فى مواضع، والحجازيون فى مواضع قليلة.

وتميم وأسد من ساكنى وسط شبه الجزيرة العربية وشرقيها ، وهوازن بطن من قيس ، وينتسب بنو سعد بن بكر إلى هوازن، وبنو بكر بن وائل فى جنوب العراق.

وعليه فيمكن أن تنسب الإمالة إلى القبائل البدوية فى وسط شبه الجزيزة وشرقيها والفتح إلى غربيها.

ويبدو أن ذلك راجع إلى أن أهل البادية كانوا يميلون فى كلامهم إلى الاقتصاد فى الجهد العضلى، والإمالة تحقق لهم ذلك بما فيها من انسجام بين الأصوات، يقول ابن الجزرى: وأما فائدة الإمالة فهى سهولة اللفظ، وذلك أن اللسان يرتفع بالفتح وينحدر بالإمالة، والانحدار أخف على اللسان من الارتفاع.

أما لهجات العرب فى إمالة الكسر نحو الضم التى توجد فى الفعل الثلاثى الذى قلبت عينه ألفا فى الماضى إذا بنى للمجهول فهى ثلاث لهجات:

---

(١) انظر : الكتاب : ٤/ ١٢٠.

١) إخلاص كسر أوله وسكون عينه ياء فى لهجة قريش ومجاوريهم من بنى كنانة.

٢) إمالة الكسر نحو الضم وهى لهجة كثير من قيس وعقيل ومن جاورهم وعامة بنى أسد .

٣) إخلاص الضم وهى لهجة هذيل.

ومعنى ذلك أن إخلاص الكسر عند قريش ومجاوريهم من بنى كنانة يناسب مايذهبون إليه من الفتح، والقبائل التى تذهب إلى إمالة الكسرة نحو الضمة هى نفسها القبائل التى اشتهرت بالإمالة، وهى قبائل وسط الجزيرة وشرقيها ، وقبيلة عقيل التى ذكرت هنا ولم تذكر ضمن القبائل المميلة كانت من قبائل المنطقة الشرقية أيضا، فقد كانت تسكن البحرين.

وإذا كانت هذيل قد اختلفت مع بيئتها الحجازية هنا، فقد اختلفت معها أيضا فى إدغامها ألف المقصور فى ياء المتكلم عند إضافته إليها[(١)].

ووجود الإمالة عند أهل البادية وعند أهل اليمن وبعض الحجازيين ووجود الأصوات الممالة أيضا فى اللغات السامية يؤكد أصالة الإمالة وأنها كانت من الأصول الأولى فى اللغات السامية[(٢)].

٣) الفك والإدغام

الإدغام : الإتيان بحرفين ساكن فمتحرك من مخرج واحد بلا فصل[(٣)].

---

(١) اللهجات العربية فى القراءات القرآنية : ص١٣٩ وما بعدها بتصرف .

(٢) اللهجات العربية : د. إبراهيم أبو سكين : ص٧٤.

(٣) حاشية الصبان: ٤/٣٤٥ وحاشية الخضرى : ٢/٢١٠.

وقيل: هو اللفظ بحرفين حرفا كالثانى مشددا[(١)].

وهو نوع من تأثر الأصوات المتجاورة بعضها ببعض، ويطلق المحدثون على هذه الظاهرة «المماثلة»[(٢)].

وتحدث هذه الظاهرة كثيرا فى البيئات البدائية حيث السرعة فى نطق الكلمات ومزج بعضها ببعض، فلا يعطى الحرف حقه الصوتى من تحقيق أو تجويد فى المنطق، ويظهر أثر هذا بجلاء ووضوح بين البدو وفى القبائل الرحل التى لاتكاد تستقر على حال، وعلى هذا فتنسب هذه الظاهرة إلى قبائل وسط الجزيرة وشرقيها، ومنها تميم وأسد وطئ وبكر بن وائل وتغلب وعبد القيس.

أما الإظهار فينسب إلى البيئة الحجازية، وهى بيئة استقرار وبيئة حضارة نسبيا ، فيها يميل الناس إلى التأنى فى النطق وتحقيق الأصوات وعدم الخلط بينها ، وعليه فالقبائل التى آثرت الإظهار هى : قريش وثقيف وكنانة والأنصار وهذيل[(٣)].

ولذا فقد انقسمت القبائل العربية إلى طائفتين ، الأولى تؤثر الإدغام، والثانية تؤثر الإظهار[(٤)].

---

(١) النشر فى القراءات العشر لابن الجزرى (مطبعة مصطفى محمد بمصر) : ٢٧٤/٢.

(٢) فى اللهجات العربية : د. أنيس : ص٧٠.

(٣) أثر عن هذيل إدغام ألف المقصور فى ياء المتكلم وخالفت بيئتها الحجازية فى ذلك، فلعلها اقتصرت على هذه فقط، واللهجات لاتعرف الاطراد .

(٤) انظر : فى اللهجات العربية : د. أنيس : ص٧٠ ومابعدها.

وهاك بعض أمثلة هذه الظاهرة:

١) الفعل المضعف فى حالة الجزم أو سكون اللام فيه لهجات كثيرة:

أ) الإدغام مع التحريك بالفتح على كل حال، وهى لهجة بنى أسد وغيرهم من بنى تميم ، فيقولون : رُدَّ يابنىّ ، وإن تردَّ أردَّ.

ب) الإدغام مع الكسر على كل حال، وهى لهجة كعب وغنى ونمير، فيقولون : ردِّ.

ولهجة أهل الحجاز فك المثلين فى الفعل المضارع المضعف المجزوم بالسكون وفى فعل الأمر المبنى عليه ، قال تعالى: «وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ»[٢]، وقال تعالى: وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ[٣] »[٤].

وعلى اللهجة الأولى قوله تعالى: «وَمَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِى اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ[٥] » بدال واحدة مفتوحة مشددة بالإدغام، وقرأ ابن عامر وأبو جعفر بدالين مكسورة فمجزومة على لغة أهل الحجاز[٦].

وعلى اللهجة الأولى أيضا قول الشاعر:

فَغُضَّ الطَّرْفَ إنكَ مِنْ نُميْرٍ فَلا كَعْباً بَلَغْتَ ولا كِلَابا

---

(١) اللهجات العربية فى القراءات القرآنية : ص١٣١.

(٢) البقرة/٢١٧.

(٣) لقمان/١٩.

(٤) مميزات لغات العرب : ص٣٥.

(٥) المائدة/٥٤.

(٦) الإتحاف : ص٢٠١.

جـ) إذا اتصل الفعل المضعف بواو جمع، نحو: رُدُّوا، أو ياء مخاطبة، نحو: رُدِّى ، أو نون توكيد، نحو: رُدَّنَّ، اشترك الحجازيون مع غيرهم من العرب فى الإدغام.

د) إذا أدغم فى الأمر على لهجة تميم وجب طرح همزة الوصل، إلا أن الكسائى نسب إلى عبد القيس الإدغام مع همزة الوصل، نحو : اردّ واغضّ وافرّ.

هـ) المشهور فك الإدغام إذا اتصل الفعل المضعف بضمير الرفع البارز المتحرك، نحو: حللت وضللت، وشددنا ورددنا، وذلك لأنه يجب تسكين آخر الفعل إذا اتصل بضمير الرفع البارز المتحرك لدفع كراهة توالى أربع متحركات فيما هو كالكلمة الواحدة ، ولايمكن التسكين إلا بالفك.

ولهجة بكر بن وائل إبقاء الإدغام ، فيقولون: ردّنا، ومدّنا ، وردّتُ، أى رددنا، ومددنا، ورددت.

٢) المشهور فى هلم أن تلزم حالة واحدة سواء أسندت لمذكر أو لمؤنث، وسواء أكان مفرداً أو مثنى أو جمعاً.

فيقال: هلم يازيد، أو يازيدان، أو يازيدون، وهى لهجة أهل الحجاز، وبها جاء التنزيل العزيز، قال تعالى: «هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمْ»(١).

وقال تعالى: «هَلُمَّ إِلَيْنَا»(٢).

---

(١) الأنعام : / ١٥٠.

(٢) الأحزاب / ١٨.

وهى حينئذ مدغمة دائما لثقلها بالتركيب، ومن ثم التزموا فى آخرها الفتح، وزعموا أنها فى الأصل مركبة من هاء التنبيه ولم، أى ضم نفسك إلينا.

ولهجة نجد من بنى تميم أنها تتغير بحسب من تسند إليه، وحينئذ يدخلها الفك، تقول على لهجتهم: هلم يازيد، وهلمى ياهند، وهلما يازيدان أو ياهندان، وهلموا يارجال ، وهلممن يانساء[١].

(١) مميزات لغات العرب : ص٣٥ وما بعدها.

الفصل السابع

المشترك اللفظي والتضاد والترادف

أولا: المشترك اللفظي

تعريفه

هو كما عرفه أهل الأصول: «اللفظ الواحد الدال على معنيين مختلفين فأكثر دلالة على السواء عند أهل تلك اللغة»[1].

وذلك نحو لفظ المولى، فإنه يطلق على المالك ، والمعتق بكسر التاء، والمعتق بفتحها ، والمولى، وابن العم ، والجار، والحليف والصهر[2].

ولفظ الخال الذي يطلق على أخي الأم، والاختيال ، والبعير الضخم، والجبل الضخم، والسحابة الضخمة ، والنكتة السوداء في البدن، وضرب من البرود، والثوب يُخيّله الرجل على الميت يستره به، واللواء الذي يعقد للأمير[3].

ولفظ العين الذي يطلق علي الذهب، وعين الماء ، وكثرة المطر ، والنقد ، ونفس الشئ، والعين التي يبصر بها[4]، وعين الجيش الذي ينظر لهم (الجاسوس)،وغير ذلك[5].

---

(١) المزهر : ٣٦٩/١.

(٢) المنجد في اللغة لكراع النمل : ص٣٣٤.

(٣) نفسه : ص١٨٣ ، ١٨٤.

(٤) الأجناس من كلام العرب لأبي عبيد القاسم بن سلام بتصحيح امتياز علي عرشي (ط. المطبعة القيمة بالهند ط١ سنة ١٩٣٨م) : ص٨.

(٥) انظر المزهر : ٣٧٣/١ ففيه معان أخرى للعين.

ولفظ الهلال الذى يطلق على هلال السماء، والغبار ، والحجارة المرصوفة[١] بعضها إلى بعض ، وبقية الماء فى الحوض، والحية ، وأول المطر، وواحد الأهلة وهى الحدائد التى تضم مابين قبائل الرحل[٢].

ولفظ الأرض الذى يطلق على الأرض المعروفة ، وقوائم الدابة، والزكام ، والرِّعْدة[٣].

وقد أنشد للخليل ثلاث أبيات على قافية واحدة يستوى لفظها ويختلف معناها، هى :

ياويحَ قلبى من دواعى الهوى	إذ رحلَ الجيرانُ عند الغُروبِ
أتبعتُهم طَرْفِى وقد أزْمَعُوا	ودمعُ عَيْنى كَفَيْضِ الغُروبِ
كانوا وفيهم طَفْلَةٌ حـرّة	تفترّ عن مثل أقاحى الغُروبِ

فالغُروب الأول: غروب الشمس، والثانى جمع غَرْب: وهو الدلو العظيمة المملوءة، والثالث جمع غَرْب: وهى الوهاد المنخفضة[٤].

عوامل نشأته

نشأ المشترك فى اللغة العربية من عوامل كثيرة، منها:

---

(١) المرصوفة: المضمومة. (المصباح : وصف).

(٢) المنجد فى اللغة : ص١٠٤. وقبائل الرحل : أنحاؤه (جوانبه) المشعوب (المضموم) بعضها إلى بعض . (اللسان : قبل).

(٣) المنجد فى اللغة : ص١٠٧.

(٤) المزهر : ٣٧٦/١.

١) اختلاف اللهجات العربية

لقد أخذت العربية كما هو معلوم عن قبائل العرب المنتشرين فى شبه الجزيرة العربية ، واختلاف القبائل واختلاف البيئات أدى إلى وجود بعض أمثلة المشترك التى جاءها الاشتراك من تعدد اللهجات وتداخلها ، ولذا يقول أبو على الفارسى: «وأما القسم الثالث وهو اتفاق اللفظين واختلاف المعنيين فينبغى أن لايكون قصدا فى الوضع ولا أصلا، لكنه من لغات تداخلت، أو تكون كل لفظة تستعمل لمعنى ثم تستعار لشئ فتكثر وتغلب حتى تصير بمنزلة الأصل[١] ».

وجامعو المعجمات حين قاموا بجمعها ضموا تلك المعانى المتعددة للفظ الواحد دون أن يعنوا فى كثير من الأحوال بنسبة كل معنى إلى القبيلة التى كانت تستعمله[٢].

ومن القليل الذى روى لنا منسوبا إلى قبيلته لفظ (الهِجْرِس)، فهو القرد عند أهل الحجاز والثعلب عند تميم [٣]، ولفظ (الأَلْفَت) فهو فى كلام تميم الأعسر وفى كلام قيس الأحمق[٤].

وفى كتاب العين للخليل بن أحمد «الجُنْبُخُ: الضخم بلغة مضر، النون قبل الباء.

---

(١) المسائل المشكلة المعروفة بالبغداديات لأبى على الفارسى تحقيق: صلاح الدين السنكاوى (مطبعة العانى ببغداد) : ص٥٣٤.

(٢) انظر : فقه اللغة د. وافى : ص١٩٢.

(٣) اللسان : (هجرس: ص٤٦٢١) والمزهر : ١/ ٣٨١.

(٤) اللسان : (لفت : ص٤٠٥٢) والمزهر : ٣٨١/١.

والجُنْبُخُ: الخابيـة الصغيرة بلغة أهل السواد. والجُنْبُخُ : القملة الضخمة بلغة أهل اليمن»(١).

٢) الاستعمال المجازى

قد يستعمل اللفظ فى معنى مجازى ويشتهر استعماله فيه ويكثر ويغلب حتى يصير بمنزلة الأصل كما ذكر أبو على الفارسى فيما نقلناه عنه آنفا، وذلك كالحوت لنوع من السمك الذى قد استعير لبرج من بروج السماء وأصبح هذا الاستعمال مشتهراً حتى ظنه الناس أحد الحقائق ، ومازال كذلك حتى عد من الحقائق المؤكدة(٢).

٣) التطور الصوتى

قد ينال الأصوات الأصلية للفظ ما بعض التغيير أو الحذف أو الزيادة وفقا لقوانين التطور الصوتى، فيصبح هذا اللفظ متحداً مع لفظ آخر يختلف عنه فى مدلوله(٣).

ومثال ذلك ماورد فى المعاجم من أن الفروة جلدة الرأس، والغنى، وأصل الكلمة بالمعنى الثانى هو الثروة ، فأبدلت الثاء فاء على طريقة العربية فى مثل: جَدَث وجَدَف ، وحُثالة وحُفالة،(٤) وما أشبه ذلك(٥).

---

(١) العين : ٣٢٨/٤.

(٢) اللهجات العربية : د. نجا : ص١٠٨.

(٣) فقه اللغة : د. وافى : ص١٩٢.

(٤) الجدث والجدف: القبر ، والحثالة والحفالة : الردئ من كل شئ. (اللسان : جدف - حفل).

(٥) فصول فى فقه العربية : د. رمضان عبد التواب(نشر دار مكتبة التراث بالقاهرة ١٩٧٧ ط١) : ص٢٩٢.

٤) اقتراض الألفاظ من اللغات المختلفة

اقتراض الألفاظ شائع بين اللغات ، والعربية اقترضت من اللغات الأخرى بعض الألفاظ، وقد تشبه اللفظة المقترضة فى لفظها كلمة عربية لكنها ذات دلالة مختلفة ، فيؤدى ذلك إلى وجود بعض أمثلة المشترك، ومثال ذلك لفظة (السور) التى تطلق كما فى المعاجم على حائط المدينة وعلى الضيافة، فالمعنى الأول عربى، أما الثانى فهو لكلمة فارسية شرفها النبى صلى الله عليه وسلم كما قال صاحب القاموس حين نطق بها فى قوله صلى الله عليه وسلم: «يأهل الخندق قوموا فقد صنع جابر سورا». قال أبو العباس ثعلب: إنما يراد من هذا أن النبى صلى الله عليه وسلم تكلم بالفارسية. وصنع سورا، أى طعاما دعا إليه الناس[1].

آراء العلماء فيه

المشترك اللفظى جاء على خلاف الأصل، إذا الأصل دلالة اللفظ الواحد على معنى واحد، ولذا يقول أبو على الفارسى: «اعلم أن اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين هو الوجه والقياس الذى يجب أن يكون عليه الألفاظ، لأن كل معنى يختص فيه بلفظ لايشركه فيه لفظ آخر ، فتنفصل المعانى بألفاظها ولاتلتبس[2].

ولأنه جاء على خلاف الأصل فقد اختلف آراء العلماء القدامى فيه، وانقسموا إلى فريقين :

---

(١) نفسه : ص٢٩٠ ، ٢٩١ بتصرف .

(٢) المسائل المشكلة المعروفة بالبغداديات لأبى على الفارسى ص٣٣.

١) الفـريق الأول أنكر وجوده فى اللغـة ، وراح يؤول الوارد منه تأويلا يخرجـه من هذا البـاب، فـيـجعل الألفـاظ التى تدل على ذلك من باب الحـقـيـقـة والمجـاز، وحـجتـه أن اللغـة مـوضـوعـة للإبانة وأن الاشتراك فيـه إبهام ولبس وتعمـيـة وتغطيـة، ومثل ذلك ينزه عنه كلام العقلاء، وعلى رأس هذا الفريق ابن درستويه[١].

٢) الفـريق الثـانى يثـبـتـه ويعـتـرف به لكثـرة وروده فى الأسـاليب العـربيـة، وضـرب له عـدداً كـبـيـراً من الأمـثلة، ومن هؤلاء الخليل، وسـيـبـويـه، والأصـمـعى، وأبو عـبـيـدة، وأبو زيد، وابن فـارس، والمبرد، والثعالبى.

ويرى هذا الفريق أن المشـترك لايؤدى إلى الإبهـام لوجـود القـرائن التى تشعر السامع بالمراد وتصرفه عن اللبس والإبهام، فإذا قيل مثلا: خالى ذوجاه بين قومه ، عرف أن المقصـود بالخال فى هذا القول أخو الأم دون لبس أو مشقة.

والفريقـان قد تنكبا جـادة الحق فيـمـا ذهبا إليـه ، إذ من التـعـسف محاولة إنكار المشترك وتأويل جميع أمثلته تأويلا يخرجها من هذا الباب كما ذهب إلى ذلك الفريق الأول ، وذلك أنه فى بعض الأمثلة لاتوجد بين المعـاني التى يطلق عليـهـا اللفظ الواحد أية رابطة واضـحـة تسـوغ هذا التأويل ، ولذا يتعذر فى كثير من الأحيان صرفها إلى الحقيقة والمجاز.

ولم يكثـر ورود المشـترك فى اللغة على الصورة التى ذهب إليـهـا الفريق الثانى، وذلك أن كثيرا من الأمثلة التى ظن هذا الفريق أنها من

---

(١) هو عبد الله بن جعفر بن محمـد بـن درستويه الفارسى النحوى المتوفى سنة ٣٤٧هـ. مـن مصنفاتـه: شـرح الفصيـح ، والأضداد. (هدية العارفين : ٤٤٦/١).

قبيل المشترك يمكن تأويلها على وجه آخر يخرجها من هذا الباب، فمن هذه الأمثلة ألفاظ نقلت عن معناها الأصلي إلى معان مجازية أخرى لعلاقة ما وكثر استخدامها في هذه المعاني فلم يلاحظ فيها وجه المجاز، وأصبح إطلاقها عليها في قوة استخدام الشئ في حقيقته ، فعدت من المشترك وهي ليست منه[١].

وقد لوحظ أن الفريق الذي نظر إلى أمثلة المشترك على أنها كلها من الحقيقة والمجاز نظر إليها نظرة تاريخية، أما الفريق الآخر فقد نظر إليها نظرة تزامنية، إذ بحث في الكلمات ومعانيها في عصر خاص[٢].

وعلى أية حال فالمشترك اللفظي حقيقة واقعة في اللغة ولايمكن إنكاره ، ولكنه ليس بالكثرة التي ذهب إليها الفريق الثاني.

ثانيا: التضـــاد

تعريفه

هو دلالة اللفظ الواحد على معنيين متضادين ، كالسُّدفة للظلمة والضـوء، والناهل للعطشـان والريّان، والجَوْن للأبيض والأسـود ، والجلل للعظيم والحـقـيـر ، والسليم للسـالم والملدوغ، والصـريم لليل والنهـار ، والصارخ للمغيث والمستغيث.

وهو نوع من المشترك اللفظي.

---

(١) انظر: فقه اللغة : د. وافي :ص١٨٩ ، واللهجات العربية : د. نجا: ص١٠٩.

(٢) في اللهجات العربية: د. أنيس : ص١٩٣.

آراء العلماء فيه

اختلف آراء العلماء في وقوعه في اللغة بين ناف له ومثبت.

أولاً: النافون له

ذهب هؤلاء إلى إنكار وقوعه في اللغة، وقالوا كما ذكر ابن الدهان[١] في مقدمة كتابه الأضداد في اللغة: «ليس من الحكمة أن تقع الكلمة على الشئ وضده لما فيه من اللبس على السامع، والحكمة تقتضي غير ذلك»[٢]. وأولوا الأمثلة التي وردت له تأويلاً يخرجها من بابه، وفي مقدمة هؤلاء ابن درستويه الذي ألف كتابا في ذلك سماه «إبطال الأضداد»، ففي المزهر: «قال ابن درستويه في شرح الفصيح: النوء: الارتفاع بمشقة وثقل، ومنه قيل للكوكب قد ناء إذا طلع، وزعم قوم من اللغويين أن النوء السقوط أيضا، وأنه من الأضداد، وقد أوضحنا الحجة عليهم في ذلك في كتابنا إبطال الأضداد»[٣].

ثانيا: المثبتون له

ذهب هؤلاء إلى إثبات وقوعه في اللغة والقول بكثرته فيها، ومن هؤلاء الخليل بن أحمد، وسيبويه، وأبو عبيدة، وأبو زيد الأنصاري،

---

(١) هو سعيد بن المبارك بن علي البغدادي الأديب النحوي المعروف بابن الدهان المتوفى سنة ٥٦٩ هـ. من مصنفاته الأضداد في اللغة (هدية العارفين: ١/ ٣٩١).

(٢) الأضداد في اللغة لابن الدهان (ضمن نفائس المخطوطات بتحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين - منشورات مكتبة النهضة ببغداد): ص٩٢.

(٣) المزهر: ٣٩٦/١.

والأصمعى، وقطرب ، وابن دريد، والمبرد، وأبو الطيب اللغوى، وأبو على الفارسى، وابن فارس. والثعالبى، وعبد الله التوزى، وابن سيده، وابن الدهان، وأبو البركات بن الأنبارى، والصغانى، والسيوطى، ولبعضهم فيه مؤلفات مستلقة من أشهرها كتاب الأضداد لابن الأنبارى الذى أحصى فيه كثيرا من أمثلته[1].

يقول أبو على الفارسى وهو أحد المثبتين للأضداد فى اللغة: «وقد كان أحد شيوخنا ينكر الأضداد التى حكاها أهل اللغة، وأن تكون لفظة واحدة لشئ وضده.

والقول فى هذا أنه لايخلو فى إنكار ذلك ودفعه إياه من حجة من جهة السماع والقياس، فلا يجوز أن تقوم له حجة ولاتثبت له دلالة من جهة السماع ، بل الحجة من هذه الجهة عليه ، لأن أهل هذه اللغة كأبى زيد، وأبى عبيدة، والأصمعى ، ومن بعدهم، قد حكوا ذلك وصنفت فيه الكتب ، وذكروه فى كتبهم مجتمعا ومتفرقا ، فالحجة من هذه الجهة عليه لا له.

فإن قال: الحجة تقوم من الجهة الأخرى ، وهى أن الضد خلاف ضده، فإذا استعملت لفظة واحدة لهما جميعا ولم يكن لكل واحد من الضدين لفظ يتميز به من ضده ويتخلص به من خلافه أشكل وألبس، فعلم الضد شكلا والشكل ضدا والخلاف وفاقا ، وهذا نهاية الإلباس وغاية الفساد.

قيل له : هل يجوز عندك أن تجىء لفظتان فى اللغة متفقتان لمعنيين مختلفين؟

---

(١) انظر : المزهر : ٣٩٧/١ وفقه اللغة للدكتور وافى : ص١٩٣.

فلا يخلو فى ذلك من أن يجيزه أو يمنعه، فإن منعه وأباه صار إلى رد مايعلم وجوده، وقبول العلماء له ، ومنع ماثبت جوازه وثبتت عليه هذه الألفاظ، فإنها أكثر من أن تحصى وتحصر نحو : وَجَدْتُ الذى يراد به العلم(١) ، والوِجْدان(٢) ، والغضب(٣) ، وجلست الذى هو خلاف قمت، وجلست الذى هو بمعنى أتيت نجدا ، ونجد يقال لها جَلْس، فإذا لم يكن سبيل إلى المنع من هذا ثبت جواز اللفظة الواحدة للشئ وخلافه، واذاً جاز وقوعها للشئ وضده ، إذ الضد ضرب من الخلاف ، وإن لم يكن كل خلاف ضدا (٤) ».

أما قول النافين بأن التضاد يؤدى إلى اللبس على السامع فقد ذكر فى رده «أن كلام العرب يصحح بعضه بعضا ، ويرتبط أوله بآخره، ولايعرف معنى الخطاب منه إلا باستيفائه واستكمال جميع حروفه ، فجاز وقوع اللفظة الواحدة على المعنيين المتضاديين ، لأنها تتقدمها ويأتى بعدها مايدل على خصوصية أحد المعنيين دون الآخر ، فلا يراد بها فى حال التكلم والإخبار إلا معنى واحد ، فمن ذلك قول الشاعر:

كُلُّ شىءٍ ماخلا الموتَ جَلَلْ
والفتى يسعى ويُلْهِيهِ الأمل

---

(١) مثل : وجدتُ فلانا كريما ، أى علمت .

(٢) مثل : وجدتُ شيئا .

(٣) مثل : وجدتُ على فلان.

(٤) المسائل المشكلة المعروفة بالبغداديات لأبى على الفارسى ص٥٣٤، ٥٣٥، ٥٣٦.

فدل ماتقدم قبل (جلل) وتأخر بعده على أن معناه كل شئ ماخلا الموت يسير، ولايتوهم ذو عقل وتمييز أن الجلل هنا معناه عظيم»[١].

وكلا الفريقين قد غالى فى رأيه، وأسرف فيما ذهب إليه ، فمن التعسف إنكار التضاد ومحاولة تأويل أمثلته جميعاً تأويلا يخرجها من بابه، فبعض أمثلته لاتحتمل التأويل، ولم يكثر وروده فى اللغة على الصورة التى ذهب إليها المثبتون له ، فكثير من أمثلته يمكن تأويلها على وجه يخرجها من بابه.

ففى بعض الأمثلة استعمل اللفظ فى ضد ماوضع له للتفاؤل كالمفازة للمكان الذى تغلب فيه الهلكة ، فقد سميت بذلك تفاؤلا بالسلامة، وكالسليم للملدوغ، وبعضها استعمل فى ضده للتهكم،أو اتقاء التلفظ بما يكره التلفظ به، أو بما يمجه الذوق، أو بما يؤلم المخاطب، كإطلاق العاقل على المجنون أو الأحمق ، والأبيض على الأسود ، والبصير على الأعمى[٢] ، وقد يجيء التضاد فى الظاهر من انتقال اللفظ من معناه الذى وضع له إلى معنى آخر مجازى لعلاقة ما ، كإطلاق الكأس على القدح والشراب، وقد يجيء التضاد فى الظاهر أيضا من دلالة الكلمة فى أصل وضعها على معنى عام يشترك فيه الضدان فتصلح لكل منهما لذلك المعنى الجامع، كالصارخ فى إطلاقه

---

(١) المزهر : ٣٩٧/١ ، ٣٩٨.

(٢) فى المصباح المنير (خلف ص١٧٩): «يحكى أن بعض الملوك مر بحائط فرأى شجر الخلاف،فقال لوزيره: ماهذا الشجر؟ فكره الوزير أن يقول شجر الخلاف، لنفور النفس عن لفظه، فسماه باسم ضده ، فقال : شجر الوفاق، فأعظمه الملك لنباهته».

على المغيث والمستغيث، لأن المغيث يصرخ بالإغاثة والمستغيث يصرخ بالاستغاثة، فمعنى اللفظ متحقق فيهما ، وقد يكون سبب التضاد عوارض تصريفية كمختار لاسم الفاعل واسم المفعول، فالتضاد واقع فى اللغة ولكنه قليل(١).

عوامل نشأته

ثمة عوامل أدت إلى وجود التضاد فى اللغة، منها :

ا) اختلاف اللهجات العربية

لقد أدى اختلاف القبائل واختلاف البيئات فى شبه الجزيرة العربية إلى وجود بعض أمثلته ، ولذا يقول ابن الدهان فى مقدمة كتابه الأضداد فى اللغة: «وأقرب مايقال أن العرب شعوب وقبائل وبطون وأفخاذ وعمائر تتنوع، والعربية إنما هى مواضعة، فوضع بعضهم الجلل للشئ الحقير ، ووضع بعضهم الجلل للشئ العظيم ، ونقلت النقلة ذلك عنهم»(٢). وقال بعضهم : «إذا وقع الحرف على معنيين متضادين فمحال أن يكون العربى أوقعه عليهما بمساواة منه بينهما ، ولكن أحد المعنيين لحى من العرب والمعنى الآخر لحى غيره ثم سمع بعضهم لغة بعض ، فأخذ هؤلاء عن هؤلاء ، وهؤلاء عن هؤلاء ، فالجون الأبيض فى لغة حى من العرب والجون الأسود فى لغة حي آخر ثم أخذ أحد الفريقين من الآخر»(٣).

وقد نسبت إلى تميم استعمال السُّدفة بمعنى الظلمة ، ونسب لقيس استعمالها بمعنى الضوء(٤).

---

(١) انظر فقه اللغة : د. وافى : ص١٩٤ وما بعدها.

(٢) الأضداد فى اللغة لابن الدهان (ضمن نفائس المخطوطات) : ٩٢ .

(٣) المزهر : ١/ ٤٠١.

(٤) نفسه : ص٣٨٩ ، ٣٩٠.

٢) الاستعمال المجازى

للاستعمال المجازى دوره فى إيجاد بعض أمثلة التضاد، فقد يكثر ويغلب استعمال اللفظ فى معنى مجازى حتى يصبح فى قوة استخدام اللفظ فى حقيقته، كإطلاق لفظ الأمة على الفرد.

٣) التطور الصوتى

قد يلحق الأصوات الأصيلة للفظ مابعض التغيير أو الحذف أو الزيادة وفقا لقوانين التطور الصوتى فيصبح متحداً مع لفظ آخر يدل على مايقابل معناه(١) . ومن أمثلة ذلك قول بنى عقيل: لمقت الكتاب، أى : كتبته ، وقول سائر قيس: لمقت الكتاب، أى: محوته، هكذا يبدو التضاد فى الفعل (لمق) غير أننا إذا عرفنا أن هناك فعلا آخر بمعنى الكتابة هو (نمق) عرفنا أن بنى عقبل قد تطور هذا الفعل الأخير فى نطقها، فأبدلت النون لاما. والنون واللام من الأصوات المتوسطة فى العربية، تلك الأصوات التى يحدث فيها الإبدال كثيراً، وبذلك صار الفعل (لمق) فتطابق مع نظيره بمعنى محا، وتولد التضاد بين المعنيين عن هذا الطريق، وقد روى عن أعرابى أنه قال عن كتاب: لمقته بعد ما نمقته، أى: محوته بعد أن سطرته(٢).

---

(١) فقه اللغة : د. وافى : ص١٩٨.

(٢) فصول فى فقه العربية : ص٣٠٧.

ثالثا: الترادف

تعريفه

هو كما عرفه الإمام فخر الدين الرازى: الألفاظ المفردة الدالة على شئ واحد باعتبار واحد.

قال: واحترزنا بالإفراد عن الاسم والحد[(١)] ، فليسا مترادفين، وبوحدة الاعتبار عن المتباينين كالسيف والصارم ، فإنهما دلا على شئ واحد لكن باعتبارين: أحدهما على الذات ، والآخر على الصفة.

والفرق بينه وبين التوكيد أن أحد المترادفين يفيد ما أفاده الآخر، كالإنسان والبشر، وفى التوكيد يفيد الثانى تقوية الأول.

والفرق بينه وبين التابع أن التابع وحده لايفيد شيئا، كقولنا: عشطان نطشان»[(٢)].

آراء العلماء فيه

ظاهرة الترادف فى اللغة حظيت باهتمام القدماء من العلماء ، فمن جامعى اللغة من كان حريصاً على تلقى أمثلة لهذه الظاهرة من أفواه العرب وتسجيلها ، كأبى زيد الأنصارى، فقد «حكى أبو حاتم السجستانى قال: حدثنى أبو زيد قال: قلت لأعرابى: ماالمتكأكىء؟ قال: المتآزف قلت: وما المتآزف؟ قال: المحبنطئ، قلت: وما المحبنطئ ؟ قال: أنت أحمق.

ومضى وتركنى.

---

(١) أى الاسم وتعريفه .

(٢) المزهر: ٤٠٢/١، ٤٠٣.

قال السِّيرافى[١]: وذلك كله القصير[٢].

وقد أفردها جماعة بالتأليف كابن خالويه الذى ألف كتابا فى أسماء الأسد، وكتابا فى أسماء الحية[٣]، والرمّانى[٤] الذى ألف كتابا سماه «الألفاظ المترادفة»، وعبد الرحمن الهمذانى الذى ألف «الألفاظ الكتابية»، والفيروزابادى صاحب القاموس الذى ألف كتابا سماه «الروض المسلوف فيما له اسمان إلى ألوف»[٥].

ولكن كلمة العلماء لم تكن واحدة فى وقوع هذه الظاهرة فى اللغة، فمنهم من أنكر وقوعها فى اللغة ومنهم من أثبتها.

أولاً: المنكرون

يرى هؤلاء أن أمثلة هذه الظاهرة ليست متحدة المعنى وإنما بينها فروق فيه، فهى متباينة لامتفقة، ومن هؤلاء: ابن الأعرابى الذى يقول: «كل حرفين أوقعتهما العرب على معنى واحد فى كل واحد منهما

---

(١) هو أبو سعيد الحسن بن عبد الله السيرافى النحوى المتوفى سنة ٣٦٨هـ. الأعلام (١/٢٢٨).

(٢) نزهة الألباء: ص١٢٦.

(٣) المزهر: ١/٤٠٧.

(٤) هو على بن عيسى بن على الرمانى الأديب النحوى البغدادى المتوفى سنة ٣٨٤هـ (هدية العارفين: ١/٦٨٣).

(٥) فى القاموس (س ى ف) قال الفيروزابادى: «السيف م (أى معروف)، وأسماؤه تنيف على ألف، وذكرتها فى الروض المسلوف ج (أى الجمع): أسياف، وسيوف، وأسيف، ومسيفة كمشيخة».

معنى ليس فى صاحبه ، ربما عرفناه فأخبرنا به ، وربما غمض علينا فلم نلزم العرب جهله»[١].

وابن درستويه الذى يقول: «لايجوز أن يكون لفظان مختلفان لمعنى واحد ، إلا أن يجىء أحدهما فى لغة قوم والآخر فى لغة غيرهم، كما يجىء فى لغة العرب والعجم أو فى لغة رومية ولغة هندية».

وثعلب وابن فارس، يقول ابن فارس: «ويسمى الشئ الواحد بالأسماء المختلفة ، نحو : السيف ، والمهند، والحسام ، والذى نقوله فى هذا أن الاسم واحد وهو السيف، ومابعده من الألقاب صفات، ومذهبنا أن كل صفة منها فمعناها معنى الأخرى، وقد خالف فى ذلك قوم فزعموا أنها وإن اختلفت ألفاظها فإنها ترجع إلى معنى واحد وذلك قولنا سيف وعضب وحسام.

وقال آخرون : ليس منها اسم ولاصفة إلا ومعناه غير معنى الآخر، قالوا: وكذلك الأفعال ، نحو : مضى وذهب وانطلق ، وقعد وجلس، ورقد ونام وهجع، قالوا : ففى قعد معنى ليس فى جلس[٢] ، وكذلك القول فيما سواه، وبهذا نقول ، وهو مذهب شيخنا أبى العباس أحمد بن يحيى ثعلب[٣].

ومن هؤلاء أيضا أبو هلال العسكرى الذى ألف كتابا فى الفروق اللغوية، والثعالبى فى كتابه فقه اللغة.

---

(١) المزهر : ٣٩٩/١ ، ٤٠٠.

(٢) القعود عن قيام والجلوس عن حالة دون ذلك كالاضطجاع .

(٣) الصاحبى لابن فارس : ص١١٤ ، ١١٥ والمزهر : ٤٠٤/١.

ثانيا: المثبتون

هؤلاء يرون وقوع الترادف فى اللغة، ولاينظرون إلى أمثلته نظرة الفريق السابق، فهم لايحاولون تأويل تلك الأمثلة أو تخريجها، ولايرون تباينا بينها فى المعنى ، ومن هؤلاء سيبويه فقد قال فى كتابه: « اعلم أن من كلامهم اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين، واختلاف اللفظين والمعنى واحد ، واتفاق اللفظين واختلاف المعنيين .. فاختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين هو نحو : جلس وذهب ، واختلاف اللفظين والمعنى واحد نحو: ذهب وانطلق ، واتفاق اللفظين والمعنى مختلف قولك: وجدتُ عليه من المَوْجِدَة ، ووجدتُ إذا أردتَ وِجْدان الضالّة ، وأشباه هذا كثير »[١].

والذى يعنينا هنا قوله: «واختلاف اللفظين والمعنى واحد». وقد تابعه المبرد فى ذلك[٢] وغيره.

ومن هؤلاء أيضا الأصمعى، فقد روى «أن الرشيد سأله عن شعر لابن حزام العكلى ، ففسره ، فقال : يا أصمعى ، إن الغريب عندك لغير غريب ، قال : يا أمير المؤمنين ، ألا أكون كذلك وقد حفظت للحجر سبعين اسما ؟ »[٣].

ومنهم أبو العلاء المعرى، ففى معجم الأدباء أن أبا العلاء المعرى دخل على المرتضى فعَثَر برجل، فقال الرجل : من هذا الكلب؟ فقال المعرى: الكلب من لايعرف للكلب سبعين اسما[٤].

---

(١) الكتاب : ٢٤/١.

(٢) انظر المزهر : ٣٨٨/١.

(٣) الصاحبى : ص ٢١ والمزهر : ٣٢٥/١.

(٤) معجم الأدباء : ١٢٣/٣.

ومنهم حمزة الأصفهانى الذى جمع من أسماء الدواهى مايزيد على أربعمائة ، وذكر أن تكاثر أسماء الدواهى من إحدى الدواهى[١].

وأشهر هؤلاء ابن خالويه، وقد مر آنفا أن له كتابين أحدهما فى أسماء الأسد والآخر فى أسماء الحية ، وقد «حكى الشيخ القاضى أبو بكر بن العربى بسنده عن أبى على الفارسى قال: كنت بمجلس سيف الدولة بحلب وبالحضرة جماعة من أهل اللغة وفيهم ابن خالويه، فقال ابن خالويه: أحفظ للسيف حمسين اسما، فتبسم أبو على وقال: ما أحفظ له إلا اسما واحداً ، وهو السيف، قال ابن خالويه : فأين المهند والصارم وكذا وكذا ؟.

فقال أبو علي: هذه صفات، وكأن الشيخ لايفرق بين الاسم والصفة[٢]».

ويكاد يجمع الباحثون على أن أبا على الفارسى من منكرى الترادف لهذه الحكاية ، بل جعلوه من أشهر القائلين بإنكاره، ولكن هذا ليس بصحيح، فأبو على من القائلين بوقوع الترادف فى اللغة وليس من منكريه، وقد ظهر لنا هذا مما جاء فى كتابه «المسائل المشكلة المعروفة بالبغداديات»، يقول أبو على فى هذا الكتاب: «اعلم أن اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين هو الوجه والقياس الذى يجب أن يكون عليه الألفاظ، لأن كل معنى يختص فيه بلفظ لايشركه فيه لفظ آخر ، فتنفصل المعانى بألفاظها ولاتلتبس.

واختلاف اللفظين والمعنى واحد حسن بعد الحاجة إلى التوسع بالألفاظ، وبين أن هذا القسم لو لم يوجد لم يوجد من الاتساع ماوجد بوجوده ، ألا ترى أنه إذا سجع فى خطبة أو قفى فى شعر، فركب السين،

---

(١) انظر فقه اللغة للثعالبى : ص٣٠٩.

(٢) المزهر : ١/٤٠٥.

فقال: جلس، فجاء به مع مايشاكله، ولو لم يقل فى هذا المعنى إلا قعد ضاق المذهب فيه... وأيضا فإذا أراد التأكيد قال: قعد وجلس ، فتكون المخالفة بين الألفاظ أسهل من إعادتها أنفسها وتكريرها ، ألا ترى أن فى التنزيل (وَغَرَابِيبُ سُودٌ)[١]، والغرابيب هى السود عند أهل اللغة فحسن التكرير لاختلاف اللفظين، ولو كان غرابيب غرابيب لم يكن سهلا»[٢].

أما حكايته مع ابن خالويه فى مجلس سيف الدولة فيمكن حملها على أن أبا على أراد أن يبين لابن خالويه أنه بالغ وأسرف فيما ذهب إليه ، فليس الأمر بهذه الصورة المبالغ فيها، وأن ماذكره صفات للسيف غلب إطلاقها عليه ، وليست من أسمائه فى أصل الوضع.

فالمهند: السيف المصنوع فى الهند، والصارم : القاطع، ففى اللسان: «يقال: سَيْفٌ مُهَنَّدٌ وهِنْدِيٌّ وهُنْدُوَانِيٌّ، إذا عُمل ببلاد الهند وأحكم عمله. والمُهَنَّدُ: السيف المطبوع من حديد الهند»[٣].

وفيه أيضا: «سَيْفٌ صَارِمٌ وصَرُومٌ بَيِّنُ الصَّرَامَةِ والصُّرُومَةِ: قاطع لاينثنى. والصارمُ : السيفُ القاطعُ»[٤].

فهى فى الأصل صفات وإن كان غلب وكثر فيما بعد إطلاقها على المسمى حتى أصبحت فى قوة إطلاق الاسم عليه ، وقد نظر إليها ابن خالويه من هذه الجهة ، فثمة اختلاف فى وجهات النظر بين أبى على

---

(١) فاطر/٢٧.

(٢) المسائل المشكلة المعروفة بالبغداديات: ص٥٣٣ ، ٥٣٤.

(٣) اللسان : (هند) ص ٤٧٠٩.

(٤) نفسه : (صرم) ص ٢٤٣٨.

وابن خالويه، فأبو على نظر إلى أصل الوضع فعدها من الصفات، وابن خالويه نظر إلى ماصارت إليه وأصبحت تدل عليه عند إطلاقها فعدها من الأسماء[١].

أما حجة القائلين بالترادف فقد ذكرها ابن فارس ورد عليها ، وسنذكر لك قوله حتى يتبين لك وجهة الفريقين ، يقول ابن فارس: «واحتج أصحاب المقالة الأولى بأنه لو كان لكل لفظة معنى غير معنى الأخرى لما أمكن أن يعبر عن شيء بغير عبارته، وذلك أنا نقول فى «لاريب فيه» : « لاشك فيه» ، فلو كان «الريب» غير «الشك» لكانت العبارة عن معنى الريب بالشك خطأ ، فلما عبر عن هذا بهذا علم أن المعنى واحد.

قالوا : وإنما يأتى الشعر بالاسمين المختلفين للمعنى الواحد فى مكان واحد تأكيداً ومبالغة ، كقولهم:

* وَهِنْدٌ أَتَى مِنْ دُونِها النَّأْىُ وَالْبُعْدُ *

قالوا: فالنأى هو البعد.

ونحن نقول: إن فى «قعد» معنى ليس فى «جلس»، ألا ترى أنا نقول : قام ثم قعد، وأخذه المقيم والمقعد،وقعدت المرأة عن الحيض، ونقول لناس من الخوارج : قَعَدٌ، ثم نقول: كان مضطجعا فجلس، فيكون القعود عن قيام ، والجلوس عن حالة هى دون الجلوس ، لأن الجَلْس: المرتفع، فالجلوس ارتفاع عما هو دونه.

---

(١) لذا قال الفيروزابادى فى القاموس وقد مر بك: «السيف وأسماؤه تنيف على ألف، وذكرتها فى الروض المسلوف ج أسياف، وسيوف، وأسيف، ومسيفة كمشيخة».

وعلى هذا يجرى الباب كله.

وأما قولهم: إن المعنيين لو اختلفا لما جاز أن يعبر عن الشئ بالشئ، فإنا نقول: إنما عبر عنه من طريق المشاكلة، ولسنا نقول: إن اللفظتين مختلفتان فليزمنا ماقالوه، وإنما نقول: إن فى كل واحدة منهما معنى ليس فى الأخرى»[١].

والحق أن الفريقين قد أسرفا فى الرأى وبالغا فى القول، فإنكار الترادف ومحاولة تأويل جميع أمثلته وتصيد الفروق فى المعانى فيه من التعسف مافيه، فالعرب كانوا منتشرين فى شبه الجزيرة العربية وقد تضع قبيلة اسما لشئ ، وتضع قبيلة أخرى اسما للشئ نفسه، فيختلف الاسمان ويتحد المسمى، وهكذا، ثم تتداخل اللغات بسبب الاختلاط فيأخذ هذا من لغة هذا وهذا من لغة هذا.

ومما يؤيد ذلك ماجاء فى صحيح البخارى فى الحديث المروى عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «كانت امرأتان معهما ابناهما جاء الذئب فذهب بابن إحداهما، فقالت صاحبتها: إنما ذهب بابنك ، وقالت الأخرى: إنما ذهب بابنك، فتحاكمتا إلى داود ، فقضى به للكبرى، فخرجتا على سليمان بن داود فأخبرتاه ، فقال: ائتونى بالسكين أشقه بينهما، فقالت الصغرى: لاتفعل يرحمك الله، هو ابنها، فقضى به للصغرى، قال أبو هريرة : والله إن سمعت بالسكين إلا يومئذ، وما كنا نقول إلا المُدْية»[٢].

---

(١) الصاحبى لابن فارس : ص١١٥ ، ١١٦ . وانظر المزهر : ٤٠٤/١ ، ٤٠٥.

(٢) صحيح البخارى (ط الشعب) : ١٩٨/٤.

أما القول بكثرة المترادف فلا يخلو من مبالغة، لأن كثيراً من أمثلته يمكن إخراجها من بابه على وجه من المجاز أو غيره ، ولذا فالرأى عندى أن الترادف أمر واقع فى اللغة ولكنه بالقدر الذى يتناسب مع وجوده فيها دون مبالغة أو غلو أو إسراف.

اسباب نشاة الترادف

من أسباب نشأته ما يلى :

١) اختلاف اللهجات العربية،وذلك بإن تضع قبيلة اسما لشىء وتضع قبيلة أخرى اسما للشىء نفسه «من غير أن تشعر إحداهما بالأخرى ثم يشتهر الوضعان، ويخفى الواضعان أو يلتبس وضع أحدهما بوضع الآخر»[١] كما يقول أهل الأصول. ولذا يقول ابن جنى: «كلما كثرت الألفاظ على المعنى الواحد كان ذلك أولى بأن تكون لغات لجماعات اجتمعت لإنسان واحد من هَنّا ومن هَنّا»[٢]. وقد مر آنفا قول أبى هريرة رضى الله عنه الذى يؤيد ذلك ، وهو من دَوْس[٣].

٢) إطلاق صفات على شىء ما ، ثم تفقد هذه الصفات عنصر الوصفية مع مرور الزمن، وتصبح أسماء لايلحظ الناطق باللغة ما كانت عليه أولا، ولاسيما حين يراعى مفهومها فى عصر معين، كإطلاق الصارم أو المهند على السيف، فقد أصبح كل منهما يستعمل على

---

(١) المزهر : ١/٤٠٥ ، ٤٠٦.

(٢) الخصائص : ١/٣٧٤.

ألسنة الشعراء ولايعنى بهما سوى المعنى العام المفهوم من السيف.

٣) الاستعمال المجازى، فقد تستعمل بعض الكلمات استعمالا مجازيا فى معنى من المعانى يطول العهد عليه فيصبح حقيقة ، ويكون لهذا المعنى الجديد الذى انتقل إليه اللفظ بالمجاز لفظ آخر يستعمل فيه استعمالا حقيقيا، فتوجد كلمات مستعملة بمعانيها الأصلية الحقيقية جنبا إلى جنب مع تلك التى أخذت معانيها عن طريق المجاز.

والمعانى الأصلية الحقيقية هى المعانى الحسية التى يتفرع عنها عادة عن طريق المجاز مايشيع من معنويات.

٤) استعارة بعض الكلمات من لغات أجنبية كان للعرب فى الجاهلية وصدر الإسلام اتصال واحتكاك بأهلها ، مثل الحرير والسندس والإستبرق ، والبحر واليم[١].

شروط الترادف عند المحدثين

يجمع المحدثون من علماء اللغات على إمكان وقوع الترادف فى أى لغة من لغات البشر، ولكنهم يشترطون شروطاً معينة لابد من تحققها حتى يمكن أن يقال إن بين الكلمتين ترادفا هى :

١) الاتفاق التام فى المعنى بين الكلمتين على الأقل فى ذهن الكثرة الغالبة لأفراد البيئة، ويكتفى اللغوى الحديث بالفهم العادى لمتوسطى الناس، فإذا تبين أن العربى يقصد من لفظ شيئا

---

(١) فى اللهجات العربية : د. أنيس : ص ١٨٢ ، ١٨٣ بتصرف .

لايستفاد من الآخر حكم بعدم الترادف، كأن يظهر دليل قوى على أن العربى كان يفهم من كلمة جلس شيئا لايستفيده من كلمة قعد.

٢) الاتحاد فى البيئة اللغوية، ومعنى هذا أن تنتمى الكلمتان أو الكلمات إلى لهجة واحدة أو عدة لهجات بينها ترابط قوى، فيجب ألا يلتمس الترادف من لهجات العرب المتباينة، فالترادف بمعناه الدقيق أن يكون للرجل الواحد فى البيئة الواحدة الحرية فى استعمال كلمتين فأكثر فى معنى واحد، يختار هذه حينا وتلك حينا آخر، وفى كلتا الحالتين لايشعر بفرق بينهما إلا بقدر مايسمح به مجال القول أو الأسلوب.

ولم يفطن المغالون فى الترادف إلى مثل هذا الشرط، بل عدوا كل اللهجات وحدة متماسكة، وعدوا الجزيرة العربية كلها بيئة واحدة، وإنما البيئة الواحدة تتمثل فى اللغة النموذجية الأدبية أو فى لهجة واحدة أو مجموعة منسجمة من اللهجات.

٣) الاتحاد فى العصر، فالمحدثون حين ينظرون إلى المترادفات ينظرون إليها فى عهد خاص وزمن معين، ومعنى هذا أن يكون اللفظان المعبران عن معنى واحد قد ثبت وجودهما فى عصر واحد حتى يمكن أن يحكم بالترادف، فإذا بحث عن الترادف يجب ألا يلتمس فى شعر شاعر من الجاهليين ثم تقاس كلماته بكلمات وردت فى نقش قديم يرجع إلى العهود المسيحية مثلا. وهذا ماجعل ابن خالويه وأمثاله يرون للسيف ونحوه أسماء عدة، فالمتنبى حين استعمل الصارم والبتار والهندى واليمانى للسيف لم يكن يعمد إلى كلمة الهندى وفى ذهنه صفات خاصة تتصل

ببيئة الهند التى صنع فيها، ولم يكن يعمد إلى كلمة الصارم وفى ذهنه اعتبار آخر لايراه فى كلمة أخرى كالبتار مثلا، وإنما يذكر هذه الكلمات ويعنى بها السيف ليس غير .

٤) ألا يكون أحد اللفظين نتيجة تطور صوتى للفظ الآخر، وذلك كالجَثْل والجَفْل بمعنى النمل، فحين يقارن بين الكلمتين يلاحظ أن إحدى الكلمتين يمكن أن تعتبر أصلا والأخرى تطور لها، فهما فى الحقيقة كلمة واحدة، ولذا لايعد مثل هذه الكلمات من الترادف.

هذه هى شروط الترادف عند المحدثين ، وإذا طبقت هذه الشروط علي اللغة العربية اتضح أن الترادف لايكاد يوجد فى اللهجات العربية القديمة، وإنما يمكن أن يلتمس فى اللغة النموذجية الأدبية[١].

من فوائد الترادف

للترادف فوائد، منها كما جاء فى المزهر: «أن تكثر الوسائل- أى الطرق - إلى الإخبار عما فى النفس ، فإنه ربما نسى (المتكلم) أحد اللفظين أو عسر عليه النطق به، وقد كان بعض الأذكياء فى الزمن السالف ألثغ[٢]، فلم يحفظ عنه أن نطق بحرف الراء، ولولا المترادفات

---

(١) فى اللهجات العربية: د. أنيس: ص١٧٨ ، ١٧٩ ، ١٨٠ بتصرف.

(٢) هو واصل بن عطاء، فإنه كان لايحسن نطق الراء ، ولم تعرف لثغته إلا صغيرا لإبداله كل لفظ فيه راء برديفه، حكى أن بعض الناس أراد تعجيزه فدفع إليه ورقة ليقرأها كتب فيها : «أمر أمير الأمراء أن تحفر بئر فى الصحراء ليشرب منها الشارد والوارد»، فقرأ : « حكم حاكم الحكام أن تبحث عين فى البادية ليستقى منها الحادى والبادى»، فعُلم أن يمّه لايعبر ، وغوره لايسبر .
(مميزات لغات العرب : ص ٤٢ ، ٤٣).

تعـينه على قـصـده لما قـدر على ذلك. ومنهـا التـوسع فى سلوك طرق الفصحاحة وأساليب البلاغة فى النظم والنثر، وذلك لأن اللفظ الواحد قد يتأتى باستعماله مع لفظ آخر السجع والقافية والتجنيس والترصيع وغير ذلك من أصناف البديع...

قد يكون أحد المترادفين أجلى من الآخر فيكون شرحا للآخر الخفى ، وقد ينعكس الحال بالنسبة إلى قوم دون آخرين»[١].

تم الكتاب بتوفيق الله وعونه

وصلى الله على سيدنا محمد

وعلى آله وصحبه وسلم

---

(١) المزهر: ٤٠٦/١.

المراجـــع

١- الإبدال لابن السكيت تحقيق د. حسين شرف ط الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية بالقاهرة ١٣٩٨هـ- ١٩٧٨م.

٢- إتحاف فضلاء البشر فى القراءات الأربع عشر للبناء الدمياطى تصحيح وتعليق على محمد الضباع طبع ونشر مكتبة ومطبعة المشهد الحسينى بالقاهرة.

٣- الإتقان فى علوم القرآن للسيوطى طبع ونشر مكتبة ومطبعة مصطفى الحلبى الطبعة الرابعة ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.

٤- الأجناس من كلام العرب لأبى عبيد القاسم بن سلام بتصحيح امتياز على عرشى- ط المطبعة القيمة بالهند- الطبعة الأولى ١٩٣٨م.

٥- الاحتجاج بالشعر فى اللغة للدكتور محمد حسن جبل- نشر دار الفكر العربى بالقاهرة.

٦- الأدب العربى وتاريخه فى العصر الجاهلى للدكتور /ج. هيوارث دن نشر مكتبة الثقافة العربية.

٧- أساس البلاغة للزمخشرى ط دار مطابع الشعب - القاهرة ١٩٦٠م.

٨- إصلاح المنطق لابن السكيت شرح وتحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون طبع ونشر دار المعارف بمصر الطبعة الثالثة ١٩٧٠م.

٩- الأضداد فى اللغة لابن الدهان (ضمن نفائس المخطوطات) تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين - منشورات مكتبة النهضة ببغداد.
١٠- الأعلام لخير الدين الزركلى ط المطبعة العربية بالقاهرة ١٣٤٦هـ-١٩٢٧م.
١١- الاقتراح للسيوطى نشر دار المعارف - حلب - سوريا.
١٢- الاقتضاب فى شرح أدب الكتاب لابن السيد تحقيق مصطفى السقا ود. حامد عبد المجيد - الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨١م.
١٣- ألف باء ليوسف بن محمد البلوى - عالم الكتب ببيروت.
١٤- البرهان فى علوم القرآن للزركشى تحقيق محمد أبو الفضل ط عيسى الحلبى - الطبعة الثانية.
١٥- بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة للسيوطى تحقيق محمد أبو الفضل ط مطبعة دار إحياء الكتب العربية- الطبعة الأولى ١٣٨٤هـ-١٩٦٤م.
١٦- تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدى ط المطبعة الخيرية بالقاهرة ١٣٠٧هـ.
١٧- تاريخ آداب العرب لمصطفى صادق الرافعى ط مطبعة الأخبار بمصر ١٣٢٩هـ-١٩١١م.
١٨- تاريخ الأدب العربى لبروكلمان ترجمة الدكتور السيد يعقوب بكر والدكتور رمضان عبد التواب ط دار المعارف بمصر ١٩٧٥م.

١٩- تثقيف اللسان وتلقيح الجنان لابن مكى الصقلى تحقيق الدكتور عبد العزيز مطر - نشر دار المعارف ط مطابع سجل العرب.

٢٠- التقريب للنووى ط مطبعة محمد على صبيح بمصر ١٣٨٨هـ-١٩٦٨م.

٢١- الثقافة العربية أسبق من ثقافة اليونان والعبريين لعباس العقاد -ط مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب.

٢٢- جمهرة أنساب العرب لابن حزم الأندلسى تحقيق وتعليق عبد السلام هارون ط دار المعارف - الطبعة الرابعة.

٢٣- جمهرة اللغة لابن دريد . نشر دار صادر بيروت (ط الحلبى بالقاهرة).

٢٤- حاشية الخضرى على ابن عقيل للشيخ محمد الخضرى ط عيسى الحلبى (دار إحياء الكتب العربية).

٢٥- حاشية الصبان على شرح الأشمونى على ألفية ابن مالك ط عيسى الحلبى (دار إحياء الكتب العربية).

٢٦- الخصائص لابن جنى تحقيق محمد على النجار- نشر وطبع دار الهدى للطباعة والنشر - بيروت - الطبعة الثانية.

٢٧- دراسات فى جغرافية العالم الإسلامى للدكتور محمود أبو العلا -نشر دار الكتاب العربى بمصر ١٩٦٥م - الطبعة الأولى.

٢٨- درة الغواص فى أوهام الخواص تحقيق محمد أبو الفضل ط دار نهضة مصر ١٩٧٥م.

٢٩- سر صناعة الإعراب لابن جنى تحقيق مصطفى السقا وآخرين ط مطبعة مصطفى الحلبى - الطبعة الأولى ١٣٧٤هـ-١٩٥٤م.

٣٠- شرح درة الغواص لشهاب الدين الخفاجى تحقيق الدكتور محمد رياض كريم (رسالة دكتوراه).

٣١- شرح شافية ابن الحاجب للرضى تحقيق محمد نور الحسن وآخرين ط دار الكتب العلمية - بيروت -١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.

٣٢- شرح شذور الذهب فى معرفة كلام العرب لابن هشام ومعه كتاب منتهى الأرب بتحقيق شرح شذور الذهب تأليف محمد محيى الدين عبد الحميد ط مطبعة السعادة بمصر - الطبعة السابعة ١٣٧٦هـ-١٩٥٧م.

٣٣- شرح ابن عقيل على الألفية ط مطبعة دار إحياء الكتب العربية بمصر.

٣٤- شرح قطر الندى وبل الصدى لابن هشام ومعه كتاب سبيل الهدى بتحقيق شرح قطر الندى تأليف محمد محيى الدين عبد الحميد نشر المكتبة التجارية الكبرى بمصر - الطبعة التاسعة.

٣٥- شرح الكافية للرضى - دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة الثالثة ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

٣٦- الشعر والشعراء لابن قتيبة تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر - دار التراث العربى للطباعة - الطبعة الثالثة ١٩٧٧م.

٣٧- شفاء الغليل فيما فى كلام العرب من الدخيل لشهاب الدين الخفاجى بتصحيح محمد عبد المنعم خفاجى - المطبعة المنيرية بالأزهر.

٣٨- الصاحبى لابن فارس تحقيق السيد أحمد صقر ط مطبعة عيسى الحلبى بالقاهرة.

٣٩- صبح الأعشى للقلقشندى ط المطبعة الأميرية بالقاهرة ١٣٣١هـ - ١٩١٣م.

٤٠- صحيح البخارى ط دار مطابع الشعب.

٤١- ضحى الإسلام لأحمد أمين - نشر مكتبة النهضة المصرية ١٩٧٤م- الطبعة الثامنة.

٤٢- طبقات الحفاظ للسيوطى تحقيق على محمد عمر نشر مكتبة وهبة بالقاهرة - الطبعة الأولى ١٣٩٣هـ- ١٩٧٣م.

٤٣- طبقات الشافعية لأبى بكر بن هداية الله الحسينى تحقيق وتعليق عادل نويهض - دار الآفاق الجديدة - بيروت - الطبعة الأولى ١٩٧١م.

٤٤- طبقات النحويين واللغويين لأبى بكر الزبيدى تحقيق محمد أبو الفضل - ط دار المعارف - الطبعة الثانية.

٤٥- طلبة الطلبة لأبى حفص عمر بن محمد النسفى ط المطبعة العامرية ١٣١١هـ.

٤٦- الظواهر اللهجية فى شرح ابن عقيل للدكتور شعبان عبد العظيم- ط مطبعة حسان بالقاهرة ١٤٠٥هـ- ١٩٨٤م.

٤٧- العرب فى سوريا قبل الإسلام لرنيه ديو ترجمة عبد الحميد الدواخلى - نشر الدار القومية للطباعة والنشر.

٤٨- العربية ولهجاتها للدكتور عبد الرحمن أيوب ط مطابع سجل العرب ١٩٦٨ - الطبعة الأولى.

٤٩- علم اللغة للدكتور على عبد الواحد وافى - دار نهضة مصر للطبع والنشر بالقاهرة - الطبعة السابعة.

٥٠- العين للخليل بن أحمد تحقيق د. مهدى المخزومى و د. إبراهيم السامرائى - منشورات وزارة الثقافة والإعلام بالجمهورية العراقية (١٩٨٠-١٩٨٥م) والجزء الأول منه بتحقيق د. عبد الله درويش ط مطبعة العانى ببغداد ١٣٨٦هـ-١٩٦٧م.

٥١- غاية النهاية فى طبقات القراء لابن الجزرى - نشر ج. برجستراسر - دار الكتب العلمية - بيروت ط٣ -١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

٥٢- الفائق فى غريب الحديث للزمخشرى تحقيق محمد أبو الفضل وعلى محمد البجاوى ط عيسى الحلبى (دار إحياء الكتب العربية) الطبعة الثانية .

٥٣- فصول فى فقه العربية للدكتور رمضان عبد التواب- نشر دار مكتبة التراث بالقاهرة ١٩٧٧م - الطبعة الأولى.

٥٤- فعلت وأفعلت للزجاج بتعليق محمد عبد المنعم خفاجي منشور مع فصيح ثعلب والشروح التى عليه ط المطبعة النموذجية بالقاهرة - الطبعة الأولى ١٣٦٨هـ - ١٩٤٩م.

٥٥- فقه اللغة للدكتور على عبد الواحد وافى- دار نهضة مصر للطبع والنشر بالقاهرة - الطبعة الثامنة.

٥٦- فقه اللغة وسر العربية لأبى منصور الثعالبى تحقيق مصطفى السقا وآخرين ط مطبعة مصطفى الحلبى - الطبعة الأخيرة ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م.

٥٧- الفهرست لابن النديم - نشر دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت.

٥٨- الفوائد المجموعة فى الأحاديث الموضوعة للشوكانى تحقيق عبد الرحمن اليمانى - دار الكتب العلمية - بيروت.

٥٩- فى اللهجات العربية للدكتور إبراهيم أنيس - نشر مكتبة الأنجلو المصرية - الطبعة الرابعة.

٦٠- القاموس المحيط للفيروزابادى ط مطبعة مصطفى الحلبى- الطبعة الثانية ١٣٧١هـ ١٩٥٢م.

٦١- القياس فى اللغة العربية لمحمد الخضر حسين - المطبعة السلفية بالقاهرة ١٣٥٣هـ.

٦٢- الكتاب لسيبويه تحقيق وشرح عبد السلام هارون - نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٧م.

٦٣- الكشاف للزمخشرى - دار الفكر للطباعة والنش - ط١ - ١٣٩٧هـ-١٩٧٧م.

٦٤- لحن العامة لأبى بكر الزبيدى تحقيق د. عبد العزيز مطر - دار المعارف ١٩٨١م.

٦٥- لسان العرب لابن منظور تحقيق عبد الله الكبير وآخرين ط دار المعارف.

٦٦- اللغة العربية خصائصها وسماتها للدكتور عبد الغفار هلال ط مطبعة الحضارة العربية ١٩٧٦م - الطبعة الأولى.

٦٧- اللغة العربية عبر القرون للدكتور محمود حجازى ط مطابع دار الكاتب العربى ١٩٦٨م.

٦٨- لهجات العرب لأحمد تيمور ط مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.

٦٩- اللهجات العربية للدكتور إبراهيم أبو سكين ط مطبعة الفاروق الحديثة ١٤٠٦هـ -١٩٨٦م.

٧٠- اللجهات العربية للدكتور إبراهيم نجا ط مطبعة السعادة بمصر.

٧١- اللهجات العربية فى القراءات القرآنية للدكتور عبده الراجحى . نشر دار المعارف بمصر ١٩٦٨م.

٧٢- المجاز بين اليمامة والحجاز لعبد الله بن محمد بن خميس -منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر بالرياض.

٧٣- مجالس ثعلب لأبى العباس ثعلب شرح وتحقيق عبد السلام هارون ط دار المعارف بمصر- الطبعة الثالثة.

٧٤- المختار من كتاب بلوغ الأرب فى معرفة أحوال العرب لمحمود شكرى الألوسى - اختيار محمد خالد الصحفى ط مطبعة الصاوى الحديثة بالقاهرة.
٧٥- مختصر فى شواذ القرآن من كتاب البديع لابن خالويه تحقيق ج. برجستراسر - نشر مكتبة المتنبى بالقاهرة.
٧٦- المخصص لابن سيده الأندلسى ط بولاق.
٧٧- المزهر فى علوم اللغة وأنواعها للسيوطى تحقيق محمد أحمد جاد المولى وآخرين ط عيسى الحلبى (دار إحياء الكتب العربية).
٧٨- المسائل المشكلة المعروفة بالبغداديات لأبى على الفارسى تحقيق صلاح الدين السنكاوى ط مطبعة العانى ببغداد.
٧٩- مستقبل اللغة العربية المشتركة للدكتور إبراهيم أنيس ط مطبعة الرسالة بالقاهرة ١٩٦٠م.
٨٠- مشاهير علماء الأمصار لمحمد بن حبان البستى بتصحيح م. فلايشهمر - درا الكتب العلمية - بيروت.
٨١- المصباح المنير للفيومى تحقيق د. عبد العظيم الشناوى ط دار المعارف بالقاهرة.
٨٢- معالم اللهجات العربية للدكتور عبد الحميد أبو سكين ط مطبعة الأمانة بالقاهرة.
٨٣- معانى الحروف للرمانى تحقيق د. عبد الفتاح شلبى- نشر دار نهضة مصر بالقاهرة ١٩٧٣م.

٨٤- معانى القرآن للفراء تحقيق محمد على النجار ط مطابع سجل العرب بالقاهرة ١٩٦٦م.

٨٥- معجم الأدباء لياقوت الحموى - دار إحياء التراث العربى ببيروت - الطبعة الأخيرة.

٨٦- معجم قبائل العرب لعمر رضا كحالة ط مؤسسة الرسالة - بيروت ١٩٨٢م - الطبعة الثالثة.

٨٧- مغنى اللبيب لابن هشام ط عيسى الحلبى (دار إحياء الكتب العربية).

٨٨- مفاتيح الغيب لفخر الدين الرازى - نشر دار الغد العربى بالقاهرة - الطبعة الأولى ١٩٩٣م-١٤١٣هـ.

٨٩- مميزات لغات العرب لحفنى ناصف ط مطبعة السعادة بمصر ١٣٣٠هـ.

٩٠- منار السالك إلى أوضح المسالك لمحمد عبد العزيز النجار ط مطبعة الفجالة الجديدة بالقاهرة.

٩١- المنجد فى اللغة لأبى الحسن على بن الحسن الهنائى المشهور بكراع تحقيق د. أحمد مختار عمر وضاحى عبد الباقى ط مطبعة الأمانة بالقاهرة ١٣٩٦هـ- ١٩٧٦م.

٩٢- نزهة الألباء فى طبقات الأدباء لأبى البركات الأنبارى تحقيق محمد أبو الفضل - نشر دار نهضة مصر بالقاهرة.

٩٣- نسيم الرياض فى شرح شفاء القاضى عياض لشهاب الدين الخفاجى - ط المطبعة العثمانية ١٣١٧هـ.

٩٤- النشر فى القراءات العشر لابن الجزرى ط مطبعة مصطفى محمد بمصر.

٩٥- نظريات فى اللغة للدكتور أنيس فريحة - دار الكتاب اللبنانى - بيروت ١٩٧٣م - الطبعة الأولى.

٩٦- النهاية فى غريب الحديث والأثر لابن الأثير تحقيق طاهر الزاوى ومحمود الطناحى - نشر المكتبة الإسلامية - الطبعة الأولى ١٣٨٣هـ-١٩٦٣م.

٩٧- هدية العارفين لإسماعيل باشا البغدادى ط استانبول ١٩٥١م- منشورات مكتبة المثنى ببغداد .

٩٨- الوسيط فى الأدب العربى للشيخ أحمد السكندرى والشيخ مصطفى العنانى ط مطبعة المعارف ١٩٢٨م- الطبعة السابعة.

٩٩- وفيات الأعيان لابن خلكان تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ط مطبعة السعادة بالقاهرة - الطبعة الأولى ١٩٤٨م.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

رقم الإيداع ١٩٩٦/٨٠٩٧
الترقيم الدولى .I.S.B.N
977-19-1225-9

التركى- للكمبيوتر وطباعة الأوفيست - طنطا